الجربي: في بلاغة الأندلس: مناحم الغزالي ورسالة عصروها قولًا نصًا
البرجية مطوية

اللغوية في الأندلس
مناهج العربية في حديث عصر مدرسة الطواط

المكتبة المصرية، مصر الجديدة، بيروت
حقوق الطبعة والنشر محفوظة للمؤلف

1967
الى والدي و الى اخوتي ادوار وروبير ورفيق
يعالج هذا الكتاب تاريخ الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف (92 - حوالي 500 - 1111 - حوالي 1061).

وهذه فترة طويلة من الزمن استطاعت الأندلس خلالها أن تشارك في النهضة اللغوية، وأن يكون لها نصيب واضح في الجهود العلمية عامة. فبرز من علمائها جماعة ممن وقفت مؤلفاتهم على قدم المساواة مع المؤلفات المشرقية، ومن هؤلاء الزبيدي وابن القوطية وابن سيده وآخرون ممن وقفت عندهم وعينت لهم أمكنتهم في تاريخنا اللغوي. ون_campaign_عدن_هم_من_هذا_القوم_قد_سبقت_ها_الكم_اللغوي_و_البناء_الذي_امتد_حتى_ نهاية_القرن_الثالث_الهجري_إلى_طور_الしよう_والنضج_في_القرن_الرابع_ثم_أخيرا_طور_الكحل_في_القرن_الخامس.

وقد نهاية هذه الفترة ملأها سياسيا وثقافيا فارقا في حياة الأندلس، ذلك أن سيادة الأندلسيين انفسهم قد تضاءلت عندما انتهت هذه الفترة وأصبحت الأندلس ولاية تابعة للدولة المغربية - ان صح التعبير - وأصبحت الكوارث التي تحل بالأندلس بناها شاملة من التفرغ الذي يهيئ لانتاج الأصيل. وليس في هذا اتخاذ اكاديميات الأندلسية بعد هذه الفترة، ولكنه سبب جوهر حدا بي إلى إشارة هذه الوقفة عند نهاية العصر الذي يدعى في التاريخ الأندلسي «عصر ملوك الطوائف».
الحياة اللغوية في الأندلس بعد هذه الفترة تتمثل فصلا جديدا
بخصائصه - قوية كانت أو ضعيفة - وربما تمكت في المستقبل من رصد
هذه الحركة حتى نهاية الحكم العربي في تلك البلاد. ففي الرغم مما
دهم الأندلس قد أنجبت علماء افذاذا من أمثال ابن مضاء القرطبي صاحب
نظرية العوامل.

وقد يلاحظ قارئ هذا الكتاب كيف أن الحياة اللغوية في الأندلس
قد تأخرت في نشأتها - بحكم الوضع الطبيعي للفتح والاستيطان - عن
الحياة اللغوية في الشرق، ولذا كانت بواكيرها تعتمد على الشرق اعتمادًا
كلياً، ولكن المنهج الذي رأيه أسلمه المناهج في تناول البحث، لم يبح لي
التصدي للحياة اللغوية في الشرق على نحو منفصل لا في نشأتها ولا في
تطورها، فاللغة في الشرق وحركتها المتطورة قد دخلت في بناء هذا البحث
على النحو المدرج الذي حققه في واقعها الحالي. ولذلك وجدت من
المناسب ان اصد المؤثرات الشرقية حسب التطور الزمني دون ان افردها
بالبحث والنظر في فصل مستقل بذلك. ثم ان تاريخ اللغة في الشرق قد
حظي بالعناية وكتب فيه بعض افذاذ الدارسين، فهناك كتاب «العربية»
للاستاذ يوهان فوك، وكتاب «اللغة والنشر» للدكتور حسن عون،
فالوقوف عند تاريخ طويل لغة في الشرق لا يوجد في مثل هذا البحث ان
يكون تلخيصا لجهود الآخرين، وقد أتفقاني عن ذلك ان كنت، كلما وجدت
ذلك ممكنًا، أشير الى العلاقات بين الشرق والمغرب، واللى أثر اللغويين
المشاركة في اللغويين الأندلسيين، وبنى طبيعة هذه العلاقات من تبع
وتحليل ومعارضة ودراسة وتتلطيد. وان لم تتمحى صورة
واضحة لآثار الشرق في الدراسات اللغية الأندلسية، ولم يغتن المشرق
حقه في ما قدمه الأندلس من خدمات، تمثل في العلماء المهاجرين والكتب
المهاجرة ورحلات الطلاب الإندلسيين إلى الشرق، وكذلك لم أحاول ان
أعطي للأندلس في ميدان اللغة أكثر مما تستحقه من تقدير.

ولا بد لي - وأنا في معرف الحديث عن أعداد هذا البحث - أن
تذكر الصعوبة التي لاقتها في بناء بحثي متدرج متماسك. فقد حاولت
جهدي أن أجعله صورة لوحدة عضوية نامية، وكان أشق ما عانيته كون
هذا البحث في بنائه العام جديدًا أحاول رصف لبناته لأول مرة. فان
انشغالي بالبناء قد استغرق من جهدي الشيء الكبير الذي كان يمكن ان
يصرفني لولاه إلى التعمق في تصور التغيير الكبرى، وأذن لتمكنت من
أن أجمل بعض الجوانب لغة يبعث على مزيد من الرضى والتقدير. ولكنني
لست نادما أن كان هذا البحث رائدة في الجهود أو شبه الجهود، إذ أنني
اليوم، بعد أن عشت مع هذا الكتاب أكثر من ثلاث سنوات مفعمة بالجهد
الدائم والعمل المتواصل، أحس باتني قد اقترب بناء سليما في جملته.
وهذا لا يعني اني توصلت إلى الکمال - فما ابعد ذلك من جهود بني
الإنسان - بل اني لارحب بكل توجيه يسدد خطواتي في هذه السبيل
الشاقة.

وقد كانت قصتي مع المصادر قصة طويلة مضنية، فان المادة مبعثرة
في كتب الترجمة والتاريخ والفقه. وقد زاد في هذه الصعوبة اني لم أجد
من العالم ما يهديني إلى الجادة، اعني انه لم تكن هناك دراسة موجهة
تعميني على تتبع المصادر المفيدة. وكم من مرة حسبتني أفوز بشيء ينير
لي الطرق و كنت اخرج من القراءة صفير اليدين كما بدت. وليس هذا
تعبيرا عن الأسف وانما هو تعبر حقيقي عما يصادفه المرء في بحثه من
عناء ومشقة.
وتصبح بحثي هذا بكتاب ما تزال مخطوطة. وقد واجهتي صعوبة
بالغة في الحصول على المخطوطات التي يمكن أن تفيدني، رغم أنني حاولت
جهدي الحصول عليها. وأني لأعتقد سبب الحظ اذ أن بعض جوانب
هذا البحث ظلت متعتقة لعدم الحصول على المخطوطات اللازمة جميعها.
وان كنت استدركت جانبا كبيرا منها بعد أن احتفظت بالكتاب، قبل
نشرته، مدة سنتين يتمكن من الحصول على بعض المخطوطات الهامة.
وهذه الصعوبة بالذات تجرني إلى الشكوى من القصور الشديد الذي
تعانيه مكتباتنا في ما يتعلق بالمصادر القديمة ذات الأهمية والخطر.

وقد حاولت جهدي ان تتصل هذه الدراسة اتصالا وثيقا بالمصادر
الأصلية، ليكون اشد الداما بالنهج العلمي. ولم اعتمد من المراجع الا
الموثقة التي اتخذت سبيلها لتكون معتمدة للدارسين والباحثين.
واقتصرت من هذه الراجع على عدد ضئيل ككتاب فجر الإندلس للدكتور
حسين موسى، والمعجم العربي للدكتور حسين نصار، وما كتبه
بروفسور وربيرا والدكتور احسان عباس من الباحثين الثقاف.

وكان يمكن لهذا البحث أن يستوعب دراسة خطيرة، هي دراسة
العامة الإندلسية. ولكن منعني من ذلك أمران هامان، أولهما ان مثل
هذه الدراسة يمكن ان يفرد لها بحث خاص، وثانيهما، وهو الاهتمام
بالعامة الإندلسية قد تأثرت بالإسبانية القديمة تأثرها واضحًا مما يجعل
حديقي عنها، وأنا آجل الإسبانية القديمة، امرا لاحقا بالمستحيل. وأود
لأرى من تيسرت له سبيل هذا البحث ومقدماته ان يقوم به خدمة لتراثنا
وحياتنا اللغوية بخاصة.
أود أن أشير هنا إلى منهجي في الدراسة، فاني قدرت
هذا المنهج بعد تأمل وتمعن شديدين في طبيعة الحياة اللغوية عبر قرون
أربعة، ولهذا حاولت أن أظهر بوضوح اتجاهات هذه الحركة اللغوية
وتطورها خطوة خطوة، واعتقد أن هذه الخطة قد سمحت بتتبع
التيارات العامة، من جهة وسيحت، من جهة أخرى، بإبراز التطور الذي
واجهته الحركة منذ بدايتها، مع دخول العرب إلى الأندلس، حتى الفترة
التي جعلتها حداً لنهاية دراستي.

وقد حاولت أن تكون هذه الدراسة متكاملة ليس فيها فجوات ولا
تشويش ولا خروج عن الموضوع مما لا يفيد في أثر العمل العلمي،،. ولذا
تراني لم أحقق كثيراً بالتقدمات الطويلة التي آراؤهم معتمد الدارسين في
هذه الأيام، فمثلا لم أتحدث عن السياسة إلا في المواقف الضرورية للغاية،
وحيث كانت السياسة ذات أثر فعال في توجيه الحياة اللغوية، وعندئذ
كنت أوجز أكثر ما يمكن الإيجاز.

وأخيراً كلمة مودة وامتنان وتقدير لاستاذي الكريم الدكتور احسان
عباس، لما بحاني به من عطف صادق، ورعاية اخوية مخلصة، وما قدم
لي من وقته وعلمه وخبرته. ولقد كان لهدف العلمية البالغة ولهذه
الصورة في البحث ولايديه البضائع الأخرى التي لا تحصى أبلغ الاثر في
هذا الكتاب، وفي حياتي العلمية عامة.

كما واتن اتوجه بالشكر العريق للأخوة والأخوات الذين ساعدوني
في اخراج دراستي هذه، وخصوص بالذكر منهم الاثنين سلماً صموئي
وسلمي صابع والسيدان ادوار مطلق ورفق مطلق، وقد اتاح لي السيد
محمد رضوان الدابة فرصة الإفادة من بعض المخطوطات، فله مني عميق
الشكر والتقدير. كما أقدم شكري للسيد شريف الاتصاري ناشر الكتاب،
والسيد سامي حنينه اللذين تحملان كثيراً من العبء والمشقة.
وأرجو أن يكون قد اسهمت في إبراز حقبة غامضة من تاريخ حياتنا
اللغوية، واقتضتها مكتبتنا العربية ما يسدد فراغاً ولو بسيطاً، فذلك
على ضافة شأنه يمنحني الرضى، ويميزني بشكورة علمية متواضعة.

إلى مطلق

بيروت - حزيران (يونيو) 1967
الكتاب الأول

الحركة اللغوية في الأندلس حتى أواخر القرن الثامن لـ إجراي
1 - حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي

كانت إسبانيا قبل الفتح العربي تحت حكم القوط الغربيين Visigoths وهم من القبائل التوتونية التي اجتاحت الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع الميلادي، واستطاعوا عند سقوط الدولة الرومانية الاستقلال بحكم إسبانيا (ودعنا أجزاء من فرنسا) في القرن الخامس تحت زعامة "يوريك" (477 م) متخذه مدينة طليطلة عاصمة لهم. وكان القوط أقلية لا يتجاوز عددها 400 ألف نسمة في بلاد يبلغ سكانها 6 ملايين. وكانوا يختلفون عن السكان المحكومين من ناحيتين: (1) أنهم يدينون ببداية آريوستي وليست باليه المسيح ولا يجعلون للعدراء مكانا متنزا في العقيدة. (2) أنهم يتكلمون لغة جرمانية بينما يستعمل السكان لغة رومانية أو لاتينية عامة. ولذلك فإنهم من الناحية الدينية وجدوا بعد فترة من الزمن أن لا بد لهم

Henri Terrasse, Islam d'Espagne p. 3.

(1) ويشير إليه فيما بعد باسم "تراس".

المؤرخة اللغوية
من التخلVy عن الآرية واعتناق الكاثوليكية مذهباً رسمياً في إسبانيا منذ عهد الملك ريكاريدو عام 871، وبعد هذا التحول اعتبرت اللغة اللاتينية لغة رسمية في البلاد، وأصبح ولاء القوط للبابوية شديداً، وأصبحت طليطلة مركزاً لاستقلال كبيرة يقيم فيها أسقف كبير يمثل البابا ووفوده.

وقد كان المتظر بـ هذا التحول في اللغة والمذهب ان تنصهر الفروق القائمة في المجتمع الإسباني حينئذ، وتتشرب إسبانيا من الوحدة الثقافية والاجتماعية، ولكن عوامل أخرى كانت تعمل عليها في المجتمع فتجمع الانصهار مستحيلاً مـ ن ذلك (1) اقرار الفوارق الاجتماعية بين الطبقات، فقد تكونت من العائلات القوطية وكبر رجال الدين وعشر المهد الروماني طبقة ارستقراطية تتمتع بامتيازات لا حصر لها. (2) اقرار الفوارق بين الاجناس والأديان ولذلك اضطهد اليهود - مثلًا - بشدة، حتى إنهم تُسقيه واقه ما لجهم من اضطهاد دبروا القيام بثورة عامة قبل سبعين عامًا من التنح العربي. (3) نظام الاقطاع الذي جعل قسمًا كبيرًا من الناس رقيق أرض أو عبّدًا، يعملون لاسعاد الأقلية الفنية.

ويرسم دوري صورة قاتمة لحال إسبانيا في أيام القوط، ويمارضه .

مؤرخون آخرون فيؤكدون أن إسبانيا تحت حكم القوط كانت تتمتع بالرفاهية. ويحمل دوزي على رجال الدين لأنهم كانوا ضالعين مع السلطة الحاكمة لا يهمون إلا ما يتعلق بهم. وأنهم لم يحاولوا انعاش الطبقات المضطهدة من كوبتيها، ولا عملوا شيئا لتحسين أحوال الناس إلا القليل منهم. ولكن ليس من هم وأنا أدرس الجانب اللغوي، أن أصور الوضع الاجتماعي إلا بمقدار تأثيره في حياة اللغة. فقد أصبحت اللغة اللاتينية هي لغة الثقافة حينئذ، وكان الناس يتكلمون لغة رومانية دخلتها بعض الأنفاق من أصل برومي بسبياق للغة هي أثر الفاتحين. وعلى هذا الأساس الثقافي اللغوي في أساسه وجدت حضارة علمية إسبانية مركزها الإدارية والمدارس الدينية، وكانت أشبيليا من أهم مراكز هذه الثقافة. وأنتيمي أيريدور الإشبيلي (336 م)، الذي قام بدور الوسيط في نقل الفكر اليوناني الروماني إلى القرون الوسطى، ومن أهم آثاره كتاب له في الاشتقل اللغوي، ومعنى هذا أن إسبانيا لم تكن دون معالم ثقافية حين دخلها العرب، وإذا كان لنا أن نلاحظ المظاهر القوطية في حياة إسبانيا بعد الفتح العربي، فيجب أن نطلع إلى طبقة "المستعربين".

Maurice Legendre, Nouvelle Histoire d'Espagne
pp. 73 seq.
Spanish Islam p. 222 seq.

(1) انظر مثلا
(2) تراس : 11
(3) تراس : 14، وفجر الأندلس : 29
الذين ظلوا يحافظون على لغتهم الرومانية وهي التي أصبح العرب يسمونها "عجمية الأندلس"، وعلى الثقافة الأندلسية وعلى طراز الأندلس.

الفتح العربي بعد الفتح العربي

العرب: كان الجيش الذي دخل به طارق إلى الأندلس (92 هـ / 711م) يبلغ اثني عشر ألفا أكثرهم من البربر وليس فيه من الجند العربي الأقل ضعيل، وتأخذ عدد البربر الداخلين إلى الأندلس عندما نجح طارق في مهمته، يقول الرازي حسب نقل المقرئ: «وتسامع الناس من أهل بر العدوى بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغام فيها، فأخذوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع، وتهاربا من السهل ولحقوا بالجبال».

هذا النص يعني أن عدد البربر المهاجرين ازداد في أثناء الفتح، وان كان لا ينبغي أن هناك عربا دخلوا معهم في تلك الفترة، ثم لحق موسى بن نصير بطارق في جيش عربي يبلغ اثني عشر ألفا، وسمي هؤلاء "الطالة الأولى" من العرب، ثم كانت طالة بلج بن بشر الفاسي (133/ 741) وهي تضم عشرة آلاف من الشاميين القيسيين، وقد سمي الذين

(1) تراص: ۲۲۰
(2) نفح الطيب ۱: ۲۴۳، وفجر الأندلس: ۱۲۷.
استقروا قبل طاعة بلغ باسم البلدين تمسنا لهم عن المهاجرين الشاميين الجدد، كما ان البلدين كان معظمهم من اليمنية. غير أن يجب أن نقدر أن هجرة العرب في عهد الولادة والعهد الأموي لم تقتصر على هذه الأعداد، بل كان هناك أقبال عام على الهجرة، يقول المقرى: "فأعلم أنه لما استقر قدم اهل الإسلام بالأندلس وتنام فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب وساداتهم همهم إلى الحلول بها، فنزل بها من جرائم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم".

ويمثل العرب الأندلسيون الاتساب إلى كل من القططائيين والعبدائيين - أي عرب الجنوب وعرب الشمال - إلا أن القططائيين كانوا أكثر عدداً، ويضم هؤلاء القططائيون قبائل الازد والانصار - وكان جزء الأنصار باحية هيئة طويلة، وهم أكثر القبائل بالأندلس في شرقها وغربها - وجدام وجذام ودجيل وذي رعين وكلب، ومنهم حضرمون حلوا ببرسية وغشائنا وراشيلية وببوليس وفرطية، وهم كثير بالأندلس. ويضم عرب الشمال من ينتمون إلى قريش خاصة أو إلى كنائس عامة، ومن ينتمون إلى قيس عيلان أو للقبائل المتفرعة من قيس عيلان مثل سليم وهوازن وكلاب ونسير ومن ينتمب

(1) انظر نفح الأندلس : 356.
(2) نفح الطيب 1 : 271 وفجر الأندلس : 368.
(3) النفح 1 : 274.
(4) المصدر نفسه 1 : 275.
(5) المصدر نفسه 1 : 279.
اُلِيَ ريبة مثل أسد والتمر بن قاسط وغلب وبكر، وكان من قبائل تعليم خلق كثير بالأندلس.

وقد درس الدكتور حسين مؤس نظارة استيطان العرب في الأندلس دراسة تفصيلية يحق أن أجعلها معمدي في هذه المقدمة، لما لها من قيمة في توضيح البيئة العنصرية والاجتماعية التي تكونت فيها الجهود اللغوية، قال: «ومن يستطيع أن يقول بصفة عامة أن العرب استقروا على طول خطوط الفتح الأول، فنرى منزلهم تنشر ابتداء من الجزيرة الخضراء، وتماً معظم المنطقة الواقعة جنوب نهر شيل، وحوض الوادي الكبير، ثم تكثر بصورة ظاهرة في اقليم أشبيلية، وتستمر على طول الوادي الكبير وفروعه. وعند اقليم أشبيلية تنثر منازل العرب في نفس الاتجاه الذي سار فيه موسى، وتكثر في نواحي أونبة وبلدة واحة، وتتصل حتى بطلية ثم نواحي طليطلة والجبارة وقلمة أيام ودرودة وحوض أفره الأوسط حول سرقة في منطقة واسعة تشمل حوض نهر جللق والخهبة. ومن أحوال قرطبة يمتد خط عربي آخر على طول طريق طارق بن زبiad حتى طليطلة مارا بلغة رباح. ومن حوض الوادي الكبير انساح العرب شرقا، فناماً نواحي ما يعرف

(1) المصدر نفسه 1: 272 وانظر تفصيل ما وردته المقرى عن العرب الذين استوطنوا الأندلس 171-719 .
عادة بشرق الأندلس، وهي نواحي بلنسية وتدمير (مرسية) ولقنت والمرية ومالقة» ۱.

ويرى الدكتور مؤس أيضا أن المدنيات والقحطانية لم يتخذ أي منهم ناحية ينفرد بالسكنى فيها إلا في القليل من المواضع ۲، وقد رسم جدول بتوزيع القبائل في كل ناحية، دل على أن الكتلة اليمنية كانت أقوى في نواحي أشبيلية وغرب الأندلس وان اليمنيين كانوا كثيرين في أقاليم البيرة وغرناطة وجيان وان غالبية من نزولا سرقسطة هم من الخراج وعذرة وقضاء وتبجي وكبدة وجذام وهي كلها قبائل يمنية وأن مرسية وطيبة وبلنسية غلب عليها عرب الشمال. أما قرطبة فقد نزلى من كل قبيلة من العرب، وظل العنصر العربي طوال عصور الأندلس غالبا على أشبيلية واستجة ورية وقيرة والجزيرة الخضراء والبيرة وجيان ومالقة وتدمير وسرقسطة وشذونة وقرمونة وبلبة وواجهة وأونية. أما العرب الذين نزلى الريف فقد اتخذوا لأنفسهم حصونا يعتمسون فيها مثل قلعة يحصب (قلعة بني سعيد) في أقاليم غرناطة وقلعة خولان (بين الجزيرة الخضراء وأشبيلية) ، ومنهم من أنشأ قرى كاملة ظلت تحل أسماء أصحابها كمنزل طي جنوبى مرسية

(۱) لجاء الأندلس : ۲۷۱-
(۲) المصدر نفسه .
(۳) لجاء الأندلس : ۲۷۲- ۲۷۵.
ودار بلي شمالي قرطبة، وكَان هؤلاء العرب يفدون رجالاً لا نساء
معهم فتازوجون من نساء غير عربيات، ولذا فإن الأجيال الثانية منهم
ربما جاز اعتبارهم مولدين.

ب- البربر: رأينا منهم الفوج الذي دخل مبع الفتح، ثم تلك
الافواج التي سارعت إلى الهجرة لما سمعت من نجاح طارق في فتوحاته،
ولقرب أفريقيا من الأندلس كان كثير من البربر يهجرون اليها أملاً في
ظروف معيشية أكثر ملاءمة. وكان البربر في بداية الاستيطان أكثر
عدداً من العرب، ولعلهم في البداية أيضاً اجتمعوا مع العرب وعرف
الفريقان مما باسم البلدين ضد الشاميين المهاجرين، وكان أكثرهم من
قبائل مطغرة ومديونة ومكناسية وهوارة أو ما يسمى «البر»;
ثم جاءت الهجرات التالية بأساس من فرع «البرنس»، وقد درس
سيزار دوبلر منزل البربر في الأندلس من مراحله لأساس المواضع
البربرية، وأكثر هذه الاماكن التي اكتشفها تقع في البرتغال. ويعد
اليث الذي أورده ابن حزم في الجمهرة عن بيوتات البربر في الأندلس
على أن أئمة الثغر كانوا منهم، أي أن معظم سكان النواحي الشمالية
كانوا من البربر. وهذه المجموعة التي ذكروا ابن حزم تكمن خطاً

المصدر نفسه: ٢٧٦.
المصدر نفسه: ٢٧٦.
فجز الأندلس: ٢٧٩ - ٢٨٠.
فوين الأندلس: ٣٨١ - ٣٨٢.

٢٤
وحدثا: "يبدأ من نواحي جبال البرت عند لاردة ووشقة ثم ينحدر إلى
ناحية مدينة سالم (قاعدة الثغر الأوسط فيما بعد) فقد نزلها بنو سالم
من البرانس وألقوها اسمهم، وسكن إلى جوازهم بنو الفرح وبنو
عوسجة. وفي الدائرة الواصلة التي تحيط بمدينة سالم والتي تضم
شتيرية والسهلة ووادي الحجارة نجد كتلة بحرية ضخمة تعمر هذه
الناحية كلها في أحواز طليطلة ... وتتمد هذه الكتلة البرية شرقا
فتشمل ترول حيث نزل بنو غزلون وناحية ألبون حيث نزل بنو قاسم
ثم تصل هذه السلسلة البرية ... فتشمل مناطق طليبية (جنبي
طليطلة) ومدارة وقورية بين التاجه والدوبره، ثم تصل إلى ساحل
المحيط عند قلتهيرة».

ويقول الاستاذ لي برونسال في حديثه عن البربر: "وقد
اضطرهم العرب في أكثر الاحيان على الاقامة في المرتفعات مما جعلهم
قليل الحظ والنعم، وصاروا عرضة للقحط والجفاف الذين نزل في
بعض السنين مما حمل بعض جماعات من هؤلاء البربر على العودة
إلى أفريقية 2 وناقش الدكتور مؤنس هذه
الدعو فيذهب إلى أن الاقامة لم تكن مدروسة وانما كانت قائمة على
المصادفة، ولو أن الفتح سار في طريق غير التي سار فيما لم تكن

1) فجر الأندلس: 284.
2) برونسال: 168.
العرب حيث تكاثروا

جـ السود: وكانت في الأندلس عدا العرب والبربر جماعة من السود، وقد ظل عددهم قليلا وظلوا يعملون في الجنود.

دـ اليهود: كذلك كانت هناك جماعات من اليهود واقعة تحت الاضطهاد في أيام القوط، وهم من القائات التي رحبت بالفاتحين وتعاونت معهم وقد ظلوا يعتمدون بمركز طيب في أكثر العصور. وبلغ بعضهم في العصور التالية درجة الوزارة، وعمل كثير منهم أطباء في بلاد الأندلس، بل إن حركة بعث اللغة المغارية والادب العبري بدأت في أسبانيا تحت رعاية الخنازير الأندلسية، وكان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم، واستمر اليهود منذ زمن مبكر فاخذوا لغة العرب وأذاعوا.

هـ الموالي: وكان في الأندلس جماعة كبيرة من الموالي، وكان أهمهم أولئك الذين ارتبطوا بالولاء مع البيت الأموي ومنهم ناس من البربر أنفسهم، وقد زادت أعدادهم في الأندلس زيادة عظيمة وكثروا بعد سقوط الدولة الأموية في الشرق، كما دخل في ولاء بنية أمة عدد كثير من أهل الأندلس. وقد كانت رابطة الولاء هذه التنسا لشرف المنزلة، وقد اعتمد عليهم عبد الرحمن الداخل كثيرا في ارساء حكمه.

(1) انظر فجر الأندلس : 287- 289، والصفحة: 370
(2)
وظل أمراء بني أمية يطولون المراكز المتنازعة في الإدارة وغيرها. ومن عائلات الموالي المشهورة بنو شهيد وبنو فطيس وبنو حدير وبنو مغيط.

و- السكان الأصليون: وهناك السكان الأصليون وهم يسمون عجم الأندلس» أو «عجم الدنيا»؟ فمن أسلم منهم أطلق عليهم المسالة» أو «الأسالة» وأولاد هؤلاء المسالة يسمون المولدين، وأما من بقوا على دينهم فهم ذاته» أو «معاهدة» أو المهادون - أي من لهم عهد من المسلمين. ومع الزمن أخذ عدد الذمة يتناقص ويكثر عدد المسالة والمولدين، ولم زار ابن حوقل الأندلس في خلافة عبد الرحمن الناصر كان ما يزال عدد الذمم ومعاهدة كثيراً، قال: «وبالأندلس غير ضيعة فيها ألف من الناس لم تدمن وهم على دين النصرانية، روم، وربما عصوا في بعض الأوقات ولذا بعضهم إلى حصن فطُـن قُـمهم لأنهم في غاية العقو والترمذ ...». و يقول بروفيسال في وصف فئات المسالة والمولدين:

1.ợ نظر فجر الأندلس: 397ـ ـ 413ـ.
2. ًًًً أطلق على هؤلاء لفظ المستعربين Mozarab وهو لقب يظهر ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي، وذلك تميزا لنصارى الأندلس عن غيرهم من نصارى قشتالة والفرنجة، إذ كان نصارى الأندلس مستعربين حقا في الثقافة واللغة واساليب الحياة، وكانت صلواتهم تقام بلغة خاصة هي عجمية الأندلس وهي خليط من الرومانية القديمة واللاتينية الدارجة والقوطية والعربية، ولكن عرب الأندلس لم يستعملوا هذه اللغة المستعربين» (انظر فجر الأندلس ص: 425ـ ـ 428ـ).

3. صورة الأرض: 161ـ.
» هؤلاء المسلمين الجدد زاروا في القرى تربية المواشي والزراعة وفي السواحل الصيد والصناعات البحرية بينما كانوا في المدن يقومون هم والموالي بالحرف والتجارة، وهذا فئة بين الدور القوي الذي قام به المولدون في ميدان الاقتصاد العام للبلاد وهم يشكلون القسم الأكبر من سكان الأندلس. وقد برهن الامويون على أفضل سياسة وأحكمها عندما ساعدواهم على الارتقاء وسمحو لكثير منهم بالاغتناء وبالتفاصل في المجتمع الإسلامي ... وكانت سياسة الاميين لا سياسة القهر هي المثمرة في شر الأسلام، وما لبثت هذه السياسة أن أثرت وأهدت النظام الاموي بجماعة كبيرة من ذوي القيم العليا الذين استطاعوا باستقامتهم — غير مرة — أن يقبضوا الخلافات السياسية التي كانت تتشب بين العناصر المهاجرة من عرب وبرابرة ... وليس ثمة ما يمكن أن تؤكد أنه إذا كانت الأندلس منذ القرن الحادي عشر قد تألفت في ميدان الفكر فانها كانت مدينة بذلك إلى هؤلاء المولدين»

(1) Levi Provençal, Hist. vol. 3 pp. 180-81

(2) المصدر نفسه: 184.
3- حال اللغة بين هذه الأجناس المختلفة

في التقاء هذه الأجناس المختلفة صورة عمياء على التصور لما
يمكن أن تكون عليه حال اللغة واسطة التفاهم بينها جميعاً، ولذا لا بد
من أن يخطو الدارس في أنتان شديدة كي يأمن مواقع الزوال وهو يحاكم
الروايات القليلة التي وصلتنا عن تلك الأوضاع اللغوية. ولا بد أن
أقرر باديء ذي بدء ما يمكن أن يعد تحسين حاصل، ولكننا اننا
أقرره للخروج منه بنتائج معتدلة.

1- حين دخل العرب إلى الأندلس جاءوا معهم بلغتهم العربية
ولكن هؤلاء العرب كانوا ينتمون إلى قبائل مختلفة، وغالب عليهم
السيرة اليمنية، ولذا كانت لغة الحديث بينهم على تفاوت يسير، وان
اجتمعوا جميعاً حول اللغة القرآنية، وبخاصة حين تكون الكتابة تعبيراً
عن تلك اللغة.

2- وأدخل البربر لغتهم البربرية، على أن نذكر أن قدم عهدهم
ال kursi بالعربية جعل اللغة العربية لديهم لغة الدين والكتابة، فإذا
كانوا يتحدثون فيما بينهم باللغة البربرية، فقد كان تفاهمهم مع زملائهم
الفائحين بالعربية أمرًا طبيعيًا، ويتقول برونزمان: «وتلمذ القرن التاسع
لم يعد أحد يتكلم باللغة البربرية بالأندلس» إلا في نطاق بعض


29
البلات ملوك الطوارف المنتمين إلى أصل بربري كبي زيري الصنهازيين
بغرنطة، وسوف تعود اللغة البربرية إلى الظهور في إسبانيا عند قدم
المملوكيين (المراقبين) غير أن البربر كانوا آشدون غيرهم خضوعا
لأثر البيئة الأندلسية، فقد اجتهد معظمهم في التجربة، وارتبطة بمن
يجاورهم من السكان الأصليين بالصهر والقراءة وأخذوا عن أمهاتهم
الإسبانيات لغة الحديث فكانوا أسرع اندماج في بيتهم الجديد.

3- وليس هناك ما يشير إلى أن اليهود قبل الفتح العربي كانوا
يستخدمون اللغة البربرية في غير الطقوس الدينية، فلما جاء الفتح كانوا
من أسرع القبائل تعرفا، حتى نشأت بينهم في عصر ملوك الطوارف
حركة بعث اللغة البربرية.

4- وأما السكان الأصليون فكانت لهم لغتهم الخاصة بهم تلك
اللغة التي كانت دارجة بينهم قبل الفتح وهي اللغة التي يقولون فيها
الاستاذ مندث بدأل: ان اللغة التي كان يتكلمها أهل أيبيريا قبل
القرن الحادي عشر الميلادي لا يمكن تعرفها إلا على وجه التقرب، نظرا
للغة الأصلية التي يعتمد عليها، وكل ما يمكن قوله أنها كانت تضم
ألفاظاً قليلة من لغة القوط، أما بقيتها فكانت لهجات مختلفة من اللاتينية
العامة <Latin Vulgar>.

(1) FJ al-Andalus: 365-376
Ramon Menendez Pidal: Origines del Espagnol (3a ed. Madrid 1950)
(2) مقدمة الكتاب، وقد ورد هذا في <FJ al-Andalus س: 417 حاشية (1)>.
العرب عندما سمعوها «العربية» أو «عجمية أهل الأندلس»، وهي اللغة التي كان يحسنها «الذمة» و«المستالة» كما ظل يحسنها المولدون» و«إضافة للهم عدد من البربر والعرب ولكنها لم تبق على نقاءها الأول بعد الاختلاط باليهود والصليبيين، خاصة وأن العرب من هؤلاء دخلوا البلاد دون زوجات واتخذوا نساءهم من أهل البلاد.

5 - فالعربية إذن هي لغة السكان الأصليين، وتحديد طبيعتها أمر عسير فهل هذه العربية هي نفس اللغة التي أصبحت لغة الحديث بعد دخول العرب، يقول الدكتور مؤسس: (وبديهي أن أولئك جميعاً يعني فتات العرب) لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثاني، فقد غلت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد، اختلطت بها لغة العرب ونشأت عن ذلك «عجمية أهل الأندلس» أو «القليبية» كما يسمىها ابن حزم 1. أما أن لغة العرب اختلطت بها شيء بديهي، وأما أن نتيجة هذا الاختلاط هو ما يسمى «عجمية أهل الأندلس» فرغم أنه يدعو إلى التوقف، لأن نعلم أن عجمية الأندلس هي ما كان موجوداً قبل الاختلاط، ولان مثل هذا القول يجعلنا ننسى حركة الاستعمرات القوية، وهذه الحركة تعني أن السكان الأصليين تعلموا اللغة العربية بسرعة، وأصبحوا قادرين على التفاهم مع السادة الجدد، واذن فلا بد أن نسبة العناصر العربية في اللغة الناشئة من هذا

(1) فجر الأندلس: 277.
اللغة كانت أكبر من نسبة العناصر غير العربية، وإذا صح هذا التقدير كان من لقاء اللغتين لغة ثالثة هي «العربية العربية الأندلسية» للاعجمية»، وإذا فاذا سلمنا أن البربر في الأندلس لم يتسكنوا طويلًا بلغتهم فرأى أن هناك ظاهرة فريدة في اللغة بالأندلس إذ هي تقوم على ثلاثة مستويات: لغة عجمية فيها قليل من اللفاظ العربية، لغة عربية هي أداة الكتابة والانشاء، ولغة دارجة عامة معظم ألفاظها عربية وقد دخلتها بعض اللفاظ العجمية. وهذه الثالثة هي التي كانت لغة الحديث اليومية، وهي التي تمثل من بعد في الازجال الأندلسية. وهذا لا يعني أن العربي لم يكن يحسن «اللغة العجمية» أو أن المولد ذا اللغة العجمية لم يكن يستطيع الكتابة باللغة العربية. ولكن لا بد من أن نفترض وجود عامة قريبةشبه بالعربية ولا نفهم ما يرد في المصادر مصدرا ببعض يقول العامة كما ومن أمثال العامة كما مما هو عربي عامي دارج، وبه أيضًا نفهم كيف يمكن أن تكون الازجال الأندلسية شيئا آخر غير الذي تبنيه العجمية.

ولا بد أن حركة الاستعراض كانت قوية وخاصة بين الأجيال الناشئة، وهذا هو الذي تعتبر عنه ساحة ألفارو حين قال: «ان اخواتي المسيحيين يستمتعون بقصائد العرب وحكاياتهم فهم يدرسون مؤلفات علماء الكلام والفلسفة المسلمون لا لينقضوها وإنما ليحرزوا أسولوبا عربيا صحيحا ناصعا. أين تجد اليوم بين الناس من يقرأ التعليقات والشرح اللاتينية على الكتاب المقدس؟ أين من يدرس...»
الأنجيل والاسفار وأعمال الرسل ؛ وأسفاح السبع المسيحين المتميّزين بمواهبهم لا يعرفون آدابهم أو أدبهم الديني أو أدبهم العربي ولا يعرفون آدابهم الديني أو أدبهم العربي وهم يدرسون الكتب العربية بهم وهم يجمعون منهما مكتبات كاملة مهما تبلغ تكلفتها، وهم يُغنيون بمحاسن الأدب العربي في كل مكان. فإذا ذكرت لهم الكتب المسيحية أشباحاً معرضاً وقالوا إنها لا تستحق اهتماماً، يا للحسرة! لقد نسي المسيحيون لكثرة وما تكاد تجد واحداً في كل ألف يستطيع أن يكتب إلى صديقه رسالة بلغة لاتينية سليمة. فإذا كان الأمر كتابة العربية فما أكثر من يستطيعون التعبير عن نعومهم بنال اللغة في براعة عظيمة بل هم ينظرون أشعاراً تتفوق في صحتها السلكية على ما ينظمه العرب أنفسهم.1. وقد يقال أن القارئ في هذا كان مغالياً في حاسمه، وأنه كان داعياً للعودة إلى اللاتينية، ولذلك فهو يغزق في الانخراط إلى مجري الثقافة العربية رجاء أن يلتف الناس بقوة النذير، وقد يقال أن هذا كله ينصب على اللغة المكتوبة، وكل هذا حق، ولكن كيف يمكن أن تكون عملية الاستعراب بهذه القوة؟ ثم تظل "عجمية الإندلس" هي اللغة الوحيدة المحكية في البيت والشارع وفي كل ناحية من نواحي الحياة اليومية؟ ذلك أمر من العسير تقبله، واذن فلا بد أن تكون لغة الحدث اليومي عربية في معظمها مشوبة ببسط من الألفاظ والتراكيب العجمية.

Dozy, Spanish Islam p. 267. (1)
7 - ولم تكن «عجبية الأندلس» مفهومة لدى جميع العرب
حتى مطلع القرن الثالث (أي بعد ما يزيد على مائة عام من الاستيطان).
ذكر الخشفي أن القاضي سعيد بن سليمان (في زمن عبد الرحمن بن
الحكم ٢٠٦ - ٢٣٨ / ٨٢١ - ٨٥٢) قضى في المسجد الطي أن مرضى
صر الدار، ثم قام منصرفًا إلى داره فلما هم بدخول الدار فإذا بوالد
نصر الفتى مقبلا وأعانه بين يديه، وكان أعجي لسان فصاح على
البعد بالعجمية كلموا القاضي يثبت علي أكمله، فقال القاضي قولوا له
بالعجمية ان القاضي قد أدركته الملالة والسامة، فهذا قاض يفصل
بين الناس ومن المنظرة أن يكون بين شهوده أناس من لا يحسن العجمية،
و كذلك بين المترافعين إليه، ولكنه يقول: قولوا له بالعجمية
(أي ترجموا له ما يقول) فهو لا يحسن التكالم بهما. أما أن بعض
الشهود كانوا أحياناً ممن لا يحسنون العجمية فثابت من نص آخر
وأورد الخشفي أيضًا قوله: «وكان حيئًا بالمدينة شيخ أعجمي
السان يسمى نير وكان مقدما عند القضاة مقبول الشهادة مشهورًا في
العامة بالخبر وحسن المذهب، فأرسل فيه الوزراء وسألوه عن القاضي
فقال بالعجمية: ما أعرفه إلا أنني سمعت الناس يقولون إنه إنسان سوء
وصغره باللفظ العجمي»، وتقدم قليلا في الزمن إلى أيام الأمير

(1) قضاة قرطبة: ٩٦.
(2) قضاة قرطبة: ٤٨ والحديث عن القاضي يخامر الذي ولي القضاء
سنة ٨٣٥/٢٠٢،
محمد بن عبد الرحمن (238 - 273 / 852 - 886) فنجد قاضياً آخر يفهم الكلام بالعجمية ويحدث بها، وذلك هو سليمان بن أسود، فقد كان في وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار يتردد إلى مجلسه ولا يقوم إلا إذا قام القاضي، وكانت لابن عمار بغلة هزلية تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد قد اضناها الجهد وغيرها الجوع، فتقدمت امرأة إلى القاضي فقالت له بالعجمية: يا قاضي أنظر لشقيتك هذه، فقال لها بالعجمية لست أنت شقيتي، اننا شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار.

وعلى مر الزمن أصبحت هذه العجمية مفهومة لدى الأكترية من الناس، لا لأنها لغة التخطيط، بل لأن ظروف الحياة الإندلسية اقتضت هذه الملازمة بين الإجناس المختلفة بحيث يفهم كل فريق لغة الفريق الآخر، وخاصة وإن المرأة التي تسيطر على حياة البيت لم تكن في الغالب عربية. ولهذا ما نكاد نصل الى عصر أمراء الطوايف حتى نجد قبيلة بلي العربية شاذة من بين القبائل إذ يذكر ابن حزم: «أنهم لا يحسنون الكلام باللتينية، نساؤهم ورجالهم» 2، وذكر النساء في هذا النص هام جداً لأنه يدل على أن رجال قبيلة بلي لم يتزوجوا من النساء الجرائر والجواري الإجنبات، ومن ثم ظلت العربية وحدها لساناً لهم.

(1) المصدر نفسه: 118.
(2) جمهرة الأنساب: 415 (الطبعا الأولى).
ومن قبائل بلدي سكان شتات وقراها — وأكثرهم من عرب اليمن — فقد ظلوا يحافظون على اللغة العربية الصريحة إلى عهود متاخرة.

وبرببل الدين ذكرهم ابن حزم كانوا يسكنون شمال قرطبة أي أنهم من أهل الآرياف، وهذا وجه الغرابة في عدم احساسهم الكلام باللاتينية» وكذلك هو وجه الغرابة في محافظة قرى شتات نفسها على صريح اللغة العربية، ذلك أنه يجب أن تقيم فرقا بين المدن والريف في شتات اللغة. فإذا كانت العامية العربية شائعة في المدن، فإن الآرياف قد غلبت عليها لهجة عجمية مشوبة ببعض العربية، أولاً لاشتراك العناصر العربية فيها في شتات الحياة الزراعية وتألما تدريجاً، ثانياً لقلة الثقافة اللغوية إلا لم يستطيع الرحلة إلى المدن، ولذا لا يستبعد شيوع العجمية الأندلسية في الآرياف والبوادي بالأندلس، وذلك هو ما يذهب إليه الاستاذ لفي بروفسال حين يقول: «ومن الطبيعي أن يكون ذلك (أي غلبة الرتبة الإسبانية) أظهر في الآرياف منه في المدن».

8 هل هذه »اللاتينية« التي يتحدث عنها ابن حزم هي »عجمية الأندلس«؟ لقد ذكرت من قبل رأي مندث بدل في أن هذه العجمية كانت »لهجات مختلفة من اللاتينية العامية فيها ألفاظ قليلة من لغة القوط«، وعندما ذكر ابن حزم تلك اللغة التي سماها »اللاتينية«

(1) الوضوح المطى: 6
Levi Provencal, Hist. vol. 1 p. 77 (2)
ذكرها في معرض كلماته عن لغة الحديث، غير أنه ذكر اللغة اللاتينية في كتابة "التقريب لحذ المنطق" فقال مرة: "على أن السؤال بما والسؤال بأي قد يستويان في اللغة العربية ويونب كل واحد من هذين اللفظين عن صاحبه ويقعن بمعنى واحد، ومن أحكم اللغة اللاتينية عرف الفرق بين المعنين اللذين قصدنا في الاستفهام، فإن فيها للاستفهام عن العام لفظ غير لفظ الاستفهام عن أبعاد ذلك العام بيان لا يخل على صاحبه أصلاً. وقال في الحديث عن الكلمة: "وهذه عبارة لم تمثل اللغة العربية غيرها وقد تشارك فيها الكيفية، وهذا يستبين في اللغة اللاتينية عندما استبانة ظاهرة لا تخلت، وهي لفظة تختص بها الكلمة دون سائر المقولات العشر، وللكيفية أيضا في اللاتينية لفظ يختص بها اختصاصاً بينا لا أشكال فيه، دون سائر المقولات لا يوجد لها ترجمة مطابقة في العربية". 

وقعنا احتمال إلى لغة ذات قواعد وأصول، وأكثر الظن أن ابن حزم لم يعن باللاتينية هنا ما عناه حين تحدث عن قبائل بلي، فاللاتينية هنا— فيما يخيل اليه— لغة مكتوبة، إلا إذا افترضنا أن الفرق بين العجمية المحكية والاخرة المكتوبة فرق ضئيل أو معدوم، وعندئذ نستطيع أن نقول في اطلاعنا أن هذه العجمية لم تغل عليها عناصر دخيلة بحيث تصبح رطابة دارجة.

(1) التقريب: 150.
(2) المصدر نفسه: 52 وانظر أيضا ص 54.

37
ويقول الأستاذ نكل أن هذه الأعجمية تمثلت في ثلاث لهجات:

- وهي الأرغونية والبلنسية والقشتالية. ويبدو أن هذه الهجات لم تكن متباعدة احدها عن الآخر، وأن نصارى قرطبة كانوا لاجدتهم العجمية - يستطيعون فهمها والترجمة عنهم يتحدث بها. وهذا يبدو واضحًا في تاريخ الوفود العاجية على بلاد قرطبة، ففي سنة ١٣٩٣ / ٨٧١ وفد بون فيليو سفير بريتال حاكم امارة برشلونة على الحكم المستنصر، فجلس الحكم لاستقبال الوفد يوم السبت أربع خلدون من شهر رمضان من العام المذكور وتوجه في رسل بره بن شنير: جهمور بن الشيخ في قطيع من الجند ومعه النفر من كبار النصارى بقرطة المترجمين فقاموا بالترجمة عنه اليهم وعنهم إليه. وفي موضع آخر ذكر ابن حيان هؤلاء المترجمين وفهم أصبع ابن نبيل قاضي نصارى قرطبة واصطفهم عيسى بن منصور وقومهم معاوية بن لب ومطران ابنته عبد الله بن قاسم. وكذلك قام هؤلاء المترجمون بدور الترجمة عندما تلقي الحكم رسل حلوية عمة الطاغية أمير جليلة وفي هذه المرة فقد القاضي أصبع بن عبد الله بن نبيل ما كان له من حظوة لدى الخليفة لأنه لم يعجب عن أن ينقل عن الرسول كلامًا فيه بعض الجفاء في مخاطبة الخليفة وأمر بصرف الرسول وترجمتهم.

Nykhl : Hispano — Arabic Poetry p. 3.

Page 38
وأقصى ابن أصبغ عن قضاء النصارى. وهذه المواقف جميعا تدلنا على أن بعض نصارى قرطبة كانوا يحسون الترجمة عن وفود قشتالة وبرشلونة وملكيجة وإذا لم يكن هؤلاء التراجمة من المتوسعين في اللغات كان من الحق أن نفترض أن معرفتهم بهذه اللهجات كانت ناشئة عن قربها من العامية "الأم". ويجب أن نلاحظ جلال المناصب التي كان يحتلها هؤلاء الترجمون بحيث لا نفترض أنهم كانوا يتخلون من الترجمة مهمة خاصة، ثم أن اختيارهم من نصارى قرطبة دليل على أن اتفاق "العجمية الأم" لم يكن أمرًا ميسرا لكثير من المسلمين، ولم يكن الأمر مقاما رسميا خليقا لاستطعنا القول أيضا أن الحكم وباطنه لم يكونوا يعرفون من "العجمية" ما يمكنهم من التفاؤل المباشر مع هؤلاء الرسل الأجانب.

10 وننا في التفرقة بين هذه العامية ولفة الحديث التي سميت "عامة" ما نستنتج من قول ابن بسام في حديثه عن عمل الوشاح في الخريجة: "ياخذ اللفظ العامي والعجمي وسميه المركز". فهما نواعن ممن اللفظ احدهما يسمى عاميا والآخر يسمى عاميا، ونحن نعرف مما تبقى من موشحات أن الخرجة الإعجمية شيء غريب عن...
العربية، وإن خالطته أحياناً ألفاظًا مأخوذة من لغة الفرس، كما نعرفه خراجات عامية، ألفاظها عربية كلها وليس فيها لفظة واحدة أعمياء.


ال الإمام 1 2 1.

(2) تثقيف اللغة: الورقة: 4 نقلاً عن تاريخ الآداب الأندلسي 1 2 1.

(3) بيضية الوعاة: 1 3 1.

(4) الإمام 1 4 1.

40
البلدة بأمة أخرى تتبدل لفتها بديلا لا يخفى على من تأمله، وفشي صفحات "نحن المورمون" للزبيدي ألفاظ كثيرة لا بد أنها كانت سامية، وكان العامة يستعملونها في الأندلس كقولهم للإمير من الروم "النقاس" بدلاً من التوسم ويجرون الكرم على "كرمات" وفي النسبة إلى قبيلة كلب "كلبي" بكسر الكاف، وقيلون للحظيرة تكون في الدار "حيرا" بدل "حائر" (ومنه حير الزعالي) وقيلون لموقف الدابة "سلب" بدل "صصب" وقيلون دفتر بكسر أوله إلى غير ذلك من ألفاظ وإستعمالات.

4 - مقام اللغة عند الأندلسيين

قد تحمينا الصورة السابقة على التوهم بأن اللغة العربية تضعفت أمام هذه المنافسة القوية التي كانت تلقاها من المجمية ومن اللهجات العامة الدارجة، ولولا التراث الأندلسي الغزير الذي وصلنا، لما استطعنا أن نضع إلى تلك الصورة صورة أخرى تبيّن قوة اللغة وسيطرتها واضطلاعها بالفكر كله في ستة الميادين، والحقيقة التي لم أستطع أن أدرسها في هذا البحث هي تاريخ اللغة في خدمة النواحي الفكرية وتميز الأندلس بطابعها اللغوي على مر الزمن، فذلك انا أعلم دراسة تحتاج رسالة مستقلة، أما في هذا البحث فقد قصرت جهدى على درس اللغة نفسها في تطورها.

المصدر نفسه.
(1) لحن العوام: 288, 289, 290, 137, 12, 156.
(2) لحن العوام: 288, 289, 290, 137, 12, 156.
ورسمت لحياتها خطًا متدرجًا مع الزمن من خلال جهود علمنائها في التدريس والتاليف. فيجهود المفكرين والشعراء والكتاب من ناحية، وجهود علماء النحو واللغة من ناحية أخرى لم تنهزم اللغة الفصحى أمام المنافسة القوية التي لقبتها من جارتها العجيبة والعالمية، ولا ريب في أن للناحية الدينية والسياسية أثرهاما في احتفاظها بقوتاكنا، ولكن الناحية الدينية كانت موجودة في المغرب مثلا، ومع ذلك فإن المغرب، بسعته الشامل، لم يحقق في ميدان اللغة بعضاً يسيراً مما حققه الأندلس في العصور التي هي موضوع هذه الدراسة. ولقد اجتاز أبو علي القالي المغرب إلى الأندلس فكانت شهادته في الحال اللغوية لدى الاقوام التي مر بها على النحو الآتي: "لما ذكرت القيروان وانا أعتبر من أمر به من أهل الأمصار فأجدهم درجات في العبارات وقيلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضيع من بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايضة، قال أبو علي: فقدت ان نقص أهل الأندلس عن مقدار من رأيت في أفيهم تقدر نقصان هؤلاء عن قبليهم فسأحتاج إلى ترجمانٍ في هذه الأوطان ... فكأن يصل كلامه هذا بالعجب من أهل هذا الافق الإندلسي في ذكائهم ويتغطى عنهم عند المباحثة والمناقشة".

وليس لنا أن نحمل هذا الكلام محمل المجملة من القالي فقد وجد في الأندلس بيئة لغوية صالحة، حقاً انها لم تكن لتقارن بما كان قد تم في

(1) نفع الطيب 4: ٥٠٠
لمشرق وكلها كانت على نأي هذا القطر أحسن حالا من أكثر بلدان المغرب. ولذلك أعتقد أن عناية الأندلسيين باللغة كانت باللغة وهذا يظهر في أسلوب التعليم الذي اتبعه للجديدين، وأنا استند هذا من شهادة ابن خلدون لاعتقادي أنه يصور ما كان عليه الحال في العصور الأولى من تاريخ التعليم بالأندلس، فهو يحدثنا أن الأندلسيين يجعلون القرآن أصلاً في التعليم ولكنهم لا يقفون عند ذلك كما يفعل سائر أهل المغرب وناما يخطبون في تعليمهم رواية الشعر والترسل و الأخذ بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط. إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شا بعض الشيء في العربية والشعر والبصرهما. ويطبق ابن خلدون على هذا المنهج التعليمي لدى الأندلسيين قوله: "وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في الناس العربي؟. وناما أحكم بأن كلام ابن خلدون ينطبق على العصور التي درستها من استشهاده بعد هذا التعليم توا بذهب أراد القاضي أبو بكر ابن العربي أن يحدثه في نظام التعليم. إذ أن ابن العربي قد حسب نظامه الجديد تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كأن هو مذهب أهل الأندلس، قال: \"لا أن الشعر ديوان العرب ويدعو الى تقديمه وتثقيم.\"

(1) المقدمة : ١۲۴۳
(2) المقدمة : ١۲۴۳
العربية في التعليم ضرورة فضاد اللغة ». ومن رأى ابن العربي تأخير درس القرآن إلى المرحلة الثالثة بعد الحساب وبدأ يخالف ابن العربي مذهب أهل بلده في شيء ويتبره على شيء ، وابن العربي يشهد أواخر عصر ملوك الطوائف وتعلم في المشرق وعاد إلى الاندلس أيام المرابطين. فما يقوله ابن خلدون عن الطريقة الجارية لدى أهل الاندلس ينطبق على العصور التي أدرسهها لأن ابن العربي لما ينتقد الوضع الذي كان جاريا عليه الحال قبل عودته من رحلته.

ويتحدث ابن خلدون أيضاً في موضوع آخر عن هذه الملكة التي حدثت لأهل الاندلس في الة دان العربي يقول : « وأهل صناعة العربية في الاندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والثقة في الكثير من التراكيب في مجال تعليمهم ، فيسبق إلى المتذدي كثير من الملكة أثناء التعليم ، فتنقطع النفس لها وتستعد إلى تحصيلها وقبولها »? . فابن خلدون يملح هذه الملكة باعتقاد الاندلسيين على حفظ الأصول حتى أن الاندلس لما كانت تضيع منها العربية ظلت هذه الملكة موجودة في أهلها : " لان أهل اللسان العجمي الذين يعمق ملكتهم انها هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلاً لغة في الاندلس ».

(1) المصدر نفسه.
(2) المصدر نفسه : 1782.
(3) المرامة : 1284.
5 - عوامل فعالة في تطور المناية باللغة في الأندلس

ولقد اقتصر الأمر على هذه الروح في الحفاظ على لغة الدين من باب القيام بما تتطلبه العبادات، والحفاظ على لغة رسمية للدولة تبلغ في التعبير عن سياساتها أسمى الأساليب المقبولة في كل عصر، لكان هذا النشاط التعليمي وحده عامل قويًا في ترسيخ هذه الملكة اللغوية في الأندلس. ولكن في كل عصر من هذه العصور التي سأتناولها بالدرس كانت هناك عوامل أخرى هامة في تنمية هذه الملكة وتضوير حركة التدريس اللغوي ومجالات التأليف، وفي طبيعة هذه العوامل هجرة الأندلسين للاختيار عن علماء اللغة في الشرق والسعى إلى لقائهم ورواية الأصول عنهم، وكانت هذه الرحلة أحيانًا توقفت عند حدود الأندلس نفسها وأحيانًا تتجاوزها إلى القرون، وأحيانًا كانت تأتي على ارتفاعات كثيرة من المناطق الثقافية في الشرق، فنناiled إذن ثلاث درجات من الرحلة صغيرة ووسطى وكبيرة. ثم هناك هجرة بعض المشارقة من علماء اللغة يضيفون إلى جهود أخوائهم الأندلسين في هذا الميدان جهودًا جديدة، وحركة الكتب الشرقية على مر الزمن إلى الأندلس حتى أننا نجد ثقافة كل جبل تال في الأمور اللغوية لا تقتصر على الأصول القديمة وعلى ما ألقاه الأندلسون، بل يضاف إليها دائمًا ما يجد من مؤلفات مشرقة. وقد تآزرت هذه العوامل جميعًا ووجدت في حرص بعض الحكام الأندلسين على تطوير الحياة الثقافية عامة ومنها اللغة عامل قويًا حافزًا إلى
التأليف والافية.

ولست أعني إذ أذكر هذه العوامل أنها كانت مقصورة الآثر على الميدان اللغوي، وإنما هي عوامل عامة لها آثرها في جميع جوانب الحياة العلمية بالأندلس. غير أن دراستي هذه تنحو نحو تبيان الحركة اللغوية، ولذا لم أتحدث عن هذه العوامل هنا الاستاذ صلتها بهذا المجال وحده، فذلك حسبي منها، ولم يكن من اليسير دراسة آثر كل عامل منها على حدة لتشابكها وتضافرها معا. وعلى هذا فقد وظفت عددها في كل عصر من العصور محاولًا أن أضع إلى جانبها عوامل أخرى جديدة نشأت من تطور الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية العامة، ليكون بناء هذا البحث بناء تكاملياً متدرجاً.
الفصل الأول

بايبر كركر اللغويات في الأندلس

1 - نشوء طبقة المؤذبين اللغويين

اجتمعت الحاجة إلى تعليم اللغة الناشئة من الأندلسين مع الدوافع المتعددة التي كانت تشجع على الرحلة على خلق طبقة من المعلمين اخذت على عاتقها تدريس اللغة وال نحو في مدن الأندلس، وبخاصة قرطبة وهي يومية دار القوم وعاصمة الدولة. ويمكن أن نطلق على هذه الجماعة

كان جل اعتمادي في كتابة هذا الفصل على طبقات الزيدي وتاريخ ابن الفرضي، وما ذلك إلا لأن أكثر المصارف التي تتحدث عن هذه الفترة لم تصلنا، كما أن كتب المشاركة عالياً فيها يتصل بهذه الحقبة. غير أنني لم اكتف بها بل كنت أجد المصادر الأخرى مسموعة على ذلك.
اسم «المؤدبين» فبذل اسم غرفهم الأندلسيون، وإن كانت هذه اللحظة في المشرق تنصر إلى الذين كانوا يعلمون إبناء الخصاصة. غير أن المؤدبين في الأندلس قاموا بالمهمتين معاً فمنهم من كان يؤدب أولاد الخصاصة، ومنهم من كان يعلم إبناء العامة في المساجد. وتدد الروايات التي اوردها أبو بكر الزبيدي في كتابه «طبقات النحوين واللغويين» على قيامهم بهذين الأمرين، فكان المسلم طاهراً يؤدب بني هشام وبني حدير، وهما عائلتان من أشراف قرطبة، وكان صالح بن معافى يؤدب عند يني فطيس واستأدب الحكم المستنصر لبنيه 500 شاش بن سعيد المعروف بورش 1. وكان جابر بن غيث مؤدياً لولد الوزير هاشم بن عبد العزيز، استجاب له ذلك من لبلة إلى قرطبة 2. وكان ابن أربع مؤدب لامير المؤدبين عبد الرحمن الناصر، وكان أبوه محمد بن أربع يؤدب أبناء الخلفاء 3. وكان هشام بن الوليد الغافقي يؤدب الأمير عبد الرحمن 4. ومن المؤدبين الذين لم يختصوا بأبناء الخصاصة الغازي ابن قيس الذي «كان ملتزمًا للأداء بقرطبة أيام دخول الإمام عبد الرحمن

1) طبقات الزبيدي: 317, 299, 297.
2) المصدر نفسه: 289، وتاريخ ابن الفضلي 1: 121.
3) طبقات الزبيدي: 306.
4) المصدر نفسه: 308.
ابن معاوية رضي الله عنه الأندلس ۱. وابن العمر عبد الواحد بن سلام المعروف بالاحذب الذي توفي سنة ثمان وتسع مائتين (۸۳۵ م) وكان من أهل العلم بالتحكيم والتأديب ۲. ومنهم أحمد بن نعيم الذي أدب بجيان وطليطلة ۳. وجابر بن غيث المتوفى سنة تسعة وخمسين ومائتين (۹۱۱ م) الذي "كان من أحد الناس في التأديب، فقلت من تأدب عنه الا وتعلق من العلم بمسكة" ۴.

ومنذ البداية كان هؤلاء المؤدبين قد اتخذوا التعليم حرفية يعيشون بها، دون أن يخالجهم شك في ان الاجر الذي يتلاقون حق من حقوقهم بل لقد جرت العادة ان يقبض المؤدب جعله كما بلغ احد تلامذته مرحلة الانتقاص والحذق لما تعلمه. وقد اعرف هذا الجهل في الأندلس بالحذقة ۵، وتمسك بها المؤدبين وأبوا ان يتنازلوا عنها، وعندما حاول بعضهم ان يسبيم هذا الحق انكره ذلك ولجأوا الي تحكيم حذقه من قدماء المؤدبين قضى لهم باستمرار أخذ الحذقة اذ كان ذلك

المصدر نفسه: ۲۷۶.
المصدر نفسه: ۲۷۹.
المصدر نفسه: ۲۸۷.
المصدر نفسه: ۲۸۹.
المصدر نفسه: ۲۷۸.

الحركة اللغوية: ۴۹
وإذا استثنينا دور الخصاية، حيث كان ابناؤهم يتلقون العلم على
أيدي أولئك المؤدبين، وجدنا أن المجعل الذي شهد نشاط هؤلاء
المؤدبين هو المسجد. وهذه حقيقة يجب أن تتذكرها حين تمثل الدور
ال hưởngٌ الذي قامت به هذه الطبقة، ذلك أن الأندلس لم تعرف ما عرفه
الشرق من أمر المدارس، وإنما بقي التعليم فيها قاسرا على المساجد، أو
على دور المعلمين أنفسهم؟ حتى في المستوى الابتدائي الخالص كان
المؤدب يجمع طلبه في المسجد، ويدل نص اورده الخشني على ان
القاضي كان يجلس للحكم في الخصومات في ناحية من المساجد وفي الركن
الثاني الذي يقابله جلس مؤمن بن سعيد مع من جلس إليه من الأحداث
من رواية الشعر وطلاب الأدب. وأكبر الظن ان الامر لم يستمر
كذاك، وإن الطلبة المبتدئين - دون غيرهم - قد أفردت لهم دور خاصة
يحفظون فيها القرآن، وأصبح القائمون فيها طبقة من المعلمين يسمون
المكتبين، وإن ظلت كلمة مؤدب العامة تطلق عليهم، وفي زمن الحكم

(1) المصدر نفسه.
(2) انظر طبقات الزيدية: 362: 362.
(3) فضية فراني: 3.1 - 4.1، أما مدى النظام في هذا المدرسة
فبديل عليه سائر النص، إذ يقول الخشني: "فناجح حدنان من
جلاس مؤمن في شيء رفع احدهما يده بخف فضربه صاحبه
.. الخ".
المستنصر كثر عدد هذه الكتابة، قال ابن عزاري: «من مستحسنات افعاله وعبادات اسمه اتخاذ المؤذين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين، القرآن حوالي المسجد الجامع، وبكل ريض من أرباض قرطبة، وأجرى عليهم المرتبة وعهد الهم في اليافع والنصب ابتداء وجه الله العظيم، وعد هذه المكتبة سبعة وعشرون مكتباً، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثية، وباقيها في كل رض من أرباض المدينة.»

وكان نشاط هؤلاء المؤذين يتناول فروعًا من العلم فيها الفقه والحديث والأخبار والشعر. غير أن ما يهمنا في هذا المقام أننا هو مدى اثرهم في النواحي النحوية واللغوية، ووجب أن لا نغفل أن تصور ما كانت تحسن الجماهير الغالبة من هؤلاء المؤذين في هذه النواحي، فقد لخص لنا الزيدي في عبارة جامعة طبيعة التحصيل اللغوي والنحوي الذي كانت تضطلع به تلك الطبقة من الناس فقال: «لم يكن عند مؤذني العربية ولا عند غيرهم من من عنى باللغة كبير علم ٢٠٠٠ وذلك أن المؤذنين اننا كانوا يعانون اقامة الصناعة في تلقيين تلاميذهم العمال»

(١) البيان المغربي ٢٥٨، وقد ذكر ابن حيان في حوادث سنة ٦٩٣/١٠٠٥ أن الخليفة الحكم أحمد تحتيب حواتي السراجين بسرب قرطبة على المسلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة (انظر المتنبي، نسخة مدريد، الورقة: ١١٥).
وأما شاكلها، وتقريب المعاني لهم في ذلك، ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وغواصتها، والاعتلاء لمساندها، ثم كانوا لا ينظرون في إمالة ولا ادغام ولا تصريف ولا ابنته، ولا يجيبون في شيء منها ...» 1.

وإذا كان هذا الحكم أكثر شيء انطباقا على عامة المؤذين فإنه يصيب من بعض نواحيه أيضا أكابر المشهورين منهم، إذ كان اهتمامهم كثيرا ما يدور حول أمور ابتدائية تتناول جانب الصواب والخطأ، وقد يعجز بعضهم عن توجيه الحكم في أبسط المسائل اللغوية، هذا جودي النحو وهو من أبرز المؤذين المبكرين ينكر أحدهم في حلقة على الشاعر عباس ابن ناصح عدم تشديد ياء النسب من لفظة «نصراني» في قوله 2:

يشهد بالخلاص نوتيها لله فيها وهو نصراني فلا يستطيع المؤدب أن يقول شيئا في تجويز هذا التخفيف، ولذا نجد أن كثيرا مما يدور في مجالس هؤلاء المؤذين ازنا يتناول بعض شؤونه سيرة من مثل: » تقول للمرأة: أنت تؤدين كما فكيف تقول للنسوة؟" 3 أو يدور الخلاف الحاد حول أيها أصعب عند العرب: سودتك أو سيديتك؟، وهكذا.


1) طبقات الزيدي: 366 - 377.
2) المصدر نفسه: 279.
3) المصدر نفسه: 312.
4) المصدر نفسه: 295.

52
على أنى أحسب أن هذا الحكم يجيء جائزًا في حق بعض البارزين
من هؤلاء المؤدين، فقد كان كثير منهم يحسنون من المستوى اللغوي
والنحو ما يرتقي فوق ما تقوم بكم، وكان بعضهم ذا أصالة في تعليمه
وأو تأليفه، بل إن الاندلسيين أنفسهم اتخذوا بعضهم مشلا أعلى في
الفصاحة، فكانوا إذا استفصحوا رجلا قالوا: ما هذا الآب أبو حرشا
وضربو مثل بفصاحة بكر الكناني فقالوا: «أفضل من بكر الكناني».
ومثل ذلك قالوا في الرشاش أحد أهل الحفظ للغة.

وكان كثير من أفراد هذه الطبقة يتزولون في نفس الناس منزلة
الاحترام لا لمدى ما أحرازوه من ثقافة فحسب وإنما لأن بعضهم كان يجمع
في شخصيته بين الاخلاص في أداء الواجب التثقيفي والتقوى، وقد
وصف ناس منهم بالصلاح، وله هذه الناحية الدينية هي التي كانت
تكسبهم ثقة الناس فيعهدون اليهم بتنقيق أبنائهم.

وكانت قرطبة - حكم مركزها - تجذب إليه أكثر المشتغلين
بالمعلومة اللغوية، فهي مستقر الغازي بن قيس وعبد الله ابنه وعبد الملك
ابن حبيب ومحمد بن اسماعيل الحكيم والقلط وآخرين والمذاكر.

1. المصدر نفسه: 281.
2. المصدر نفسه: 283.
3. المصدر نفسه: 284.
4. راجع أمثلة من هؤلاء المؤدين الذين أيضًا في ترجمه: ابن عبد الله محمد
ابن عبد الله، طبقات الزريدي: 263، وترجمة "اللغة" المصدر
نفسه: 297، وترجمة صاحب بن معاي: 299. 53
وغيرهم كثيرين. وقد اجتذبت إليها كثيراً من علماء المدن الإندلسية الأخرى مثل جودي النحوي وهو موروري الأصل والخشي وهو جاني الأصل. ولكن بعض علماء اللغة آثروا ببلاد أخرى إندلسية، فلم يجذبهم قرطبة إليها، ومنهم خصيب الكلبي بمورور، وأحمد بن نعيم الذي نقل بين جيان وطليطلة، وأحمد ابن باتري بقرموثة، وثابت وابنه القاسم بسرقسطة، وأبو عمرو بن حاج؛ ومحمد بن سيد وغير بن عمر، وأبنا وقاص القرشي، والموروكي، والقصدر، وأبو عمرو الموروري باشبيلية. ولكن هذا لا ينبغي أن أكثر النشاطا، كما كان في العاصمة، وأنه لم يكن يقاربه في هذه الراحة الإندلسية، وهي يومنا تشبه أن تكون عاصمة ثانية.

2- الرحلة ولقاء العلماء المشارقة

ولم يكن تحصيل هؤلاء المؤديين مقصورة على تجوالهم طلبًا للعلم في المدن الإندلسية أو لما أسماه «الرحلة القصيرة»، بل تقلهم الترحال إما إلى القيروان وهو يومنا من مراكز العلم المشهورة واما إلى الشرق، حيث كانوا يسعون للقاء العلماء المشهورين، قبل أداء فريضة الحج أو بعد أدائها. ولم أصبح الإندلسية العائل إلى وطنه يشرف في نظر قومه لأنه غدا يروي عن «الشيوخ» لم تعد الرحلة العلمية أمراً منوطاً بالنية.
الدعاة للحج بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة، وخاصة لدى الطلبة القادرين على تحمل أعباء السفر، وهي أعباء جسيمة لا يستهان بها سواء آكنت الرحلة بحرية أم بحرية وما أن حل القرن الثالث حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هذين يسعون إليه كأنه "فريضة ثقافية" يؤديونها، وهي تطول أو تقصر حسب الفترة التي يراها الطالب كافية لتحقيقه، أو تسعده عليها ظروفة وأوضاعه المادية، ومن الطبيعي أن تكون الرغبات العلمية لدى هؤلاء الراحلين متنوعة متباينة، فمنهم من يؤثر رواية الحديث، ومنهم من يطلب الفقه، ومنهم من يلقي شراء المشارقة، ومنهم من يطلب اللغة والنحو، وكثير منهم يجمع عددا من هذه الفروع العلمية والأدبية في تحصيله، وانما يهمنا في هذا المقام أولئك الذين استأثرت اللغة بجهودهم - في الأكثر - وعادوا ومعهم كتب لغوية من المشرق أو آثروا التأديب باللغة والنحو، وقدموا هذين العلمين على سائر ما حصلوه. وقد لقي بعضهم مشاهير اللغويين في البصرة والكوفة، أمثال الأصمعي والسجستاني والكسائي، بل توغل بعضهم في الطلب، فلقي الأعراب وشافهم وأخذ اللغة عنهم مباشرة، ولا تستعفنا المصادر دائماً على تبن الآساندة المشاركة الذين تثقوف عليهم أولئك الراحلون، من مؤدين وغير مؤدين - وهم كثر - ولكنني أقف عند نماذج من نتيج اولئك الإعلام:

٥٥
1- جوري النحوي (ـ 198 / 814) لقي الكنسائي والفراء وغيرهما.

2- الكنسائي بن قيس (ـ 199 / 815)، أدرك الأشعري ونظرائه.

3- محمد بن عبد الله بن سوار، لقي ابا حاتم والرياضي.

4- قاسم بن أسعد، لقي ابن قتيبة والمبرد وثعبان.

5- محمد بن عبد الله الناصري، لقي الرياضي وابا حاتم.

6- محمد بن عبد السلام الخشني، لقي الازمي وابا حاتم والرياضي.

7- الاقشتين (ـ 307 / 920)، لقي ابا جعفر الدينوري والمازني، واتسخ عن نسخة الأول كتاب سيبويه وأخذه عن الثاني.

8- منذر بن سعيد البلوطي، لقي ابن ولاد بمصر.

وينقسم هؤلاء العلماء الذين تفهم الاندلسيون المهاجرون في مدرستين (إذا استدنا ابن ولاد الذي ينتمي لمصر، وابا جعفر الدينوري

(1) طبقات الزبيدي: 278.
(2) المصدر نفسه: 277.
(3) المصدر نفسه: 282.
(4) تاريخ ابن الفضي: 405.
(5) طبقات الزبيدي: 289.
(6) المصدر نفسه: 290.
(7) المصدر نفسه: 305.
(8) المصدر نفسه: 319.
الذي قضى أكثر حياته بمصر (أو) هما مدرستا البصرة والكوفة.
والتي ترتبتهم في هاتين الفتيتين:

<table>
<thead>
<tr>
<th>طبقة اللغويين والتحويين الكوفيين</th>
<th>طبقة اللغويين والتحويين البصريين</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>علي بن حمزة الكسائي</td>
<td>عبد الملك بن قريب الاصمعي</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو زكريا يحيى بن زياد القراء</td>
<td>عمرو بن عثمان بن قنبر، سبويه</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن زياد بن الأعرابي</td>
<td>أبو عثمان بكر بن محمد المزني</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبدالقادر بن سلام</td>
<td>أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني</td>
</tr>
<tr>
<td>يعقوب بن السككية</td>
<td>العباس بن الفرخ الرياشي</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو المهسن محمد بن يزيد المبرد</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أبو محمد عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>محمد بن الحسن بن دريد</td>
</tr>
</tbody>
</table>

ومن هذا التثبت يمكننا أن نرى كيف أن حملة اللغة والتحوي في الأندلس كانوا في أغلب الأحيان تلامذة الطبقة الأولى من اللغويين والتحويين المشارقة، وأنهم منذ البداية نشروا في بلدهم أصول المدرستين التحويتين النموذجتين، مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، إلا أن تلامذة مدرسة البصرة كانوا ظاهرين في الأندلس على نظرائهم، كما أصبح كتاب سبويه لديهم هو غاية المتعلمين بالدراسات النحوية، وهذا أمر سينال مزيدا من الوضوح في القرون التالية. ومن امثلة الاهتمام بهاتين

57
الدرستين ما لقيه زعيم المدرستين: سيبويه والكسائي. فلقد رحل الاقتضى إلى المشرق ولقي إيا جعفر الدينوري واتسمى كتاب سيبويه من نسخته، وأخذ عن رواية، وأخذ عن المازني. وأما أبو وهب بن عبد الرؤف فقد طالع كتاب سيبويه ونظر فيه. وقد قرأ الكتاب على محمد بن يحيى الرباحي وأخذ عنه رواية. وكان جودي النحوي اول من ادخل كتاب الكسائي. وأما «البغر» فقد وضع مؤلفاً في شرح كتاب الكسائي.

3 - رحلة لفؤيين مشارقة إلى الأندلس
وتقابل هذه الرحلة الأندلسية إلى المشرق هجرة بعض المشارقة إلى الأندلس ممن لهم اهتماماً باللغة وال نحو، ولدينا بعض اسماء هؤلاء الرحلين في هذه الفترة، وهما... أقول عدداً بكثير من نظراتهم الأندلسية للراحين إلى المشرق، ولم تكن غايتهم من الرحلة طلب العلم لان المشارقة كانوا يرون أنهم أوفر نصياً من الأندلسين في الشؤون العلمية، ولذلك كانت لهم من الرحلة غايات أخرى منها التجارة، أو التكسب عمامة، أو أسباب أخرى خاصة. ومن هؤلاء الراحين أبو جعفر

(1) طبقات الزبيدي: 030.
(2) المصدر نفسه: 221.
(3) المصدر نفسه: 236.
(4) المصدر نفسه: 278.
(5) المصدر نفسه: 297.

58
أحمد بن محمد بن هارون البغدادي، وهو من ذلك الفريق المشرقی الذي كان يظن الأندلس قطرا متأخرا في الأمور العلمية، فلما شاهد ما فيها من نهضة علمية خرج معجبًا بمارأى قال من سأله بعد عودته منها إلى المغرب: كيف تركت الأندلس؟ قال: والله لقد رأيت بها ما لم أتوهم أن آراه مع ناي دارها، لقد رأيت فيها وشرا ونحوين وآداباً...! ويبدو أن هذا البغدادي دخل الأندلس متجمساً وتجول فيها أعواماً، ولكن من الناحية العلمية نجد أن بعض الأندلسين أجلوا عنه، كما أنه جلب معه بعض كتب ابن قتيبة وبعض كتب عمرو ابن بحر الجاحظ.

ومن المهاجرين رجل يعرف بالعمجي، وقد هاجر إلى الأندلس من العراق ولا نعرف كثيرا عنه سوى أنه ضن بكتبه ومنهها من الطلبة وأستدعى الناس للإملاء عليهم بطرية فهرع إليه الناس بما في ذلك تلامذة الخشني، وكانت اللغة من املاءاتها. 

وقد أحدثت هجرة المشارقة بعض المنافسة بينهم وبين علماء الأندلس، فقد اتفت تلامذة الخشني عنه ولقوا بالعمجي، فما كان من

(1) ورد في طبقات الزبيدي: ۲۴۶ أن اسمه محمد بن هارون، ولعل هذا سهوا فقد ذكره ابن الفضي في تأريخه (۱: ۷۴) في من اسمه أحمد» من الغرباء.
(2) طبقات الزبيدي: ۲۹۶.
(3) تاريخ ابن الفضي ۱: ۷۴.
(4) طبقات الزبيدي: ۲۹۸.
أحد المخلصين للخضري إلا أن جلس في مجلس المجلي وخطأ في بعض ما يورده من اللغة، فكان ذلك سبباً في انفضاض الناس من حوله، ولم يعرف الخضري ما قال به صديقه من أجله استدناه وقبل بين عينيه شاكراً.

وقال له: «نعم مستودع العلم أنت!».

وتبدو هذه المنافسة على وجهها الواضح في حالي أبي محمد الأعرابي وهو المهاجر الشرقي الثالث الذي تحدثنا عنه المصادر بوضوح، قدم هذا الأعرابي من الحجاز ونزل بإشبيلية على رؤية أبو إبراهيم بن حجاج 2 وسميه ابن حيان الأعرابي العذري، أما الزبيدي فيدعوه الأعرابي العامري، وقد كان «فصيح النهجة ذا قضع من الشعر مستحسنًا» 3، وربما أثار ما حصله من منزلة عند صاحبه ابن حجاج تفوس المشتغلين باللغة عليه، فناصبوه العداوة وتبثوا سقطاته 4، فكان قاسم بن محمد أحد أقرباء ابن حجاج كثير المنازعة له. وكان العامري يعتمد التقليل من شأن اللغويين امثال قاسم هذا، أو حسب ما روى الزبيدي كان «قليل الالتفات إلى أهل العلم بالعربية مظهراً للغنى.

المصدر نفسه.

1) أباهيم بن حجاج: كان وفلاً على أشبيلية من قبل عبد الله بن محمد. قال حيان بن خلف لما ملك إبراهيم بن حجاج أشبيلية وقومته وما بالاهما، ارتفع ذكره، وبعد صيته، أتخذ لنفسه جنداً ورثهم الإزراقة كاثب السلطان. وكان فظاً على أهل الريب، قامعاً لأهل الشر. ومدجح الشعراء ومنهم ابن عبد ربه. ومات عام 238/951، (انظر البيان الغرب 2: 188 - 195).

2) القسم: 13.

3) طبقات الزبيدي: 312.
عنهم». ويبدو أنه كان يلقي عليهم المسألة في شؤون اللغة والنحو استخفافاً بهم، وامتناناً لهم في الآن واحد. من ذلك قوله لقاسم المذكور «يا اباه عمرو أقول للمرأة انت تؤدين كما، فكيف تقول للنسوة؟ فقد اختلط علي ذلك بسبب دخول امصاركم ومختالتي لكم».

وفي قوله هذا تمس تجاهه بين يحصلون اللغة من أهل المدن عن طريق التعليم، واعتداده بأعراضه، ومن سقطاته التي تتبناها بالتفصيل، قوله ذات يوم حين شكر إبراهيم بن حاجج: «أيها الأمير ما سيدتكم العرب الأكثورة، فانظر إلى الكلوتر الخولاني عليه قوله سيدتكم بإليا وقال له: يا اباه محمد العلماء بالعربية عندنا لا يقولون الا السودتان، فقال:

يخطئون ولا يصحرون، فأناشئ اباه إبراهيم إبداء الكلوتر، وقال: يتسرون على الأعراب في لغاتهم ويعارضون من ينطق بالسليطية!!! فخجل أبو الكلوتر وكتب بالخبر إلى يزيد بن طلحة العبسي المعروف بالفصيح، وكان من أشهر من بعري الأندلس من العلماء بالعربية، فأجابه أن المعروف سوتيك بالواو، وقال فهل ما ذكره الأعرابي لغة لقومه. فعرض أبو الكلوتر جوابه على الأمير إبراهيم فلم يزدد الأعرابي بذلك إلا محاكاة ولجاجة. وشهد شكريه إبراهيم نصرة وعصبة، وأحضر يزيد ابن طلحة فوجبه، وذهب إلى تثبت قول الأعرابي فقال له يزيد أصلح

(1) المصدر نفسه.
(2) المصدر نفسه.
الله الامير ان بيان العلم ليس يجي من جهة الغالبة وانما يصح بالانصاف...

على أن الفائدة العلمية التي كان ينقلها أمثال هؤلاء المهاجرين المشارقة لا توازي ما كان ينقله الراحلون الاندلسيون، أولاً: لقلة المهاجرين، ثانياً: أن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا من طراز عال في علمهم واطلاعهم، ثالثاً: أن هدفهم لم يكن علمياً في الغالب، ولذلك فإن الأثر الذي أحدثه المهاجرون في ورود القلم بعد ظاهرة ضئيلة الأثر في الحياة العلمية بالأندلس.

۴- هجرة الكتب الشرقية الى الاندلس

وأيا كان الأمر فإن هؤلاء الراحلين، من اندلسيين ومشاريع، هم الذين غذوا الدراسات اللغوية والنحوية في الاندلس، لا بما جلبوه من علم مروي فحسب، وإنما بالكتب التي هاجرت معهم. وستظل هجرة الكتاب المشارق في هذا العصر وفي ما تلاه من عصور ظاهرة هامة في تجديد التيار العام الذي تسير فيه الحياة اللغوية في الاندلس، فهي التي تقرر نوع الكتاب المتداول لدى المدرسين والطلاب، وهي التي توجه أيضا حركة التأليف الإندلسي.

ومن الطبيعي أن تكون أشد الكتب ذيوعا في هذه الفترة هي كتب

(1) طبقات الزبيدي: ٢٩٥، والمتنبي: ١٤.
الأعلام التي ظهرت قبل نهاية القرن الثالث، وقد مر بها كيف ان ابا جعفر البغدادي ادخل كتب ابن قتيبة والجاحظ الى الاندلس، وكيف ان الأقدمين اتسخ كتاب سبيسيه، وهب ان المصادر لم تحدثنا تقليلا عن سائر الكتب التي دخلت في هذه الفترة فلستا بعدد عن الصواب حين تصور أن كثيرا من كتب الاصمعي والكسائي والقراء والمازني وابن ولاد قد عرفها الاندلسيون وتداولوها، وذكر بعض الرواة ان وهب بن تافع أخذ كتب أبي عبد عن علي بن ثابت وإلي جعفر محمد بن وهب الموجودة وهو أول من أدخلها الاندلس، وأول من أخذت عنه، ثم أدخلها الخشني بعده 1. واهتم الاندلسيون الرافضون أيضا بكتاب السين للخيل، فيقال ان قاسم بن ثابت وإليا اول من أدخله الى الاندلس؟ كذلك رواه في المشرق موهب بن عبد القادر الباجي وكتبه، وجمع هذا الرجل وقرج جمل من الكتب الشرقية في عودته الى وطنه، ولكنه توفي قبل ان يبلغه، وكان من نصيب كثير من كتبه ان تصل مع المرافقين له من أهل بلده؟ كذلك اهتم منذر بن سعيد بهذا الكتاب فرواه بمصر عن ابي العباس بن ولاد، وأدخله نسخة منه عند عودته الى قرطبة، وهي نسخة وقعت من بعد للحكم المستنصر، وطلب الى علماء اللغة يومئذ

(1) تاريخ ابن الفضي 2: 160. وقد توفي وهب المذكور سنة 877/77.
(2) المصدر نفسه 1: 463.
(3) المصدر نفسه 2: 152. 
مقارنة على غيرها من النسخ، وظهرت كثيرة التصحيف والخطأ والتبديل.

غير أن بعض هذه الكتب لقي من القبول أكثر مما لقبه سواه. ونخص بالذكر كتاب سيبويه وكتاب العين لخيل وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد وكتاب معاني القرآن لابن قتيبة. وإذا كان الأول والثاني من هذه الكتب لم يضح اثرهما تماماً إلا في القرن التالي، فإن الكتابين الثالث والرابع، كتب الغريب المصنف ومعاني القرآن، يفسران لنا طبيعة التأليف في هذا العصر الذي تحدث عنه، الأمر الذي سأوضحه بعد قليل.

وأود أيضاً أن أميز الغريب المصنف من هذين الكتابين نظراً لما لقيته.

كتاب أبي عبيد على اختلاف موضوعاته من اهتمام علماء الأندلس في هذه الفترة. وقد انتقلت رواية هذه الكتب إلى المثقفين الأندلسيين من خمس طرق: أ - طريق طاهر بن عبد العزيز (   918 / 305). وكان هو أول من ادخل هذه الكتب إلى الأندلس 2. ب - طريق محمد بن عبد السلام الخشني وهو ثاني راوية نقل هذه الكتب إلى الأندلس 3.

(1) جدولة المتنبي: 47، تاريخ ابن الفرضي 2: 142.
(2) لأبي عبيد القاسم بن سلام عدد كبير من المؤلفات منها: الغريب المصنف، الأمثال، غريب الحديث، معاني القرآن، كتاب في القراءات، كتاب في الأموال (إناء الرواة 3: 14 - 15).
(3) طبقات الزبيري: 297، تاريخ ابن الفرضي 1: 243.
(4) تاريخ ابن الفرضي 2: 16.
جـ طريق عيسى بن شذاقتـ ـ طريق عيسى بن أيوب ـ.

وهؤلاء الأربعة تتصل روايتهما مباشرة عن علي بن عبد العزيز تلميذ أبي عبد ـ طريق وحـ بن نافع الذي أخذ كتاب أبي عبد عن علي بن ثابت ـ. وهذه الطرق جميعاـ وربما وجد غيرها يدل على مبلغ ما ليقـه مؤلفات أبي عبد من اهتمام الراحلين ـ غير أن أبرز الرواة الاندلسيين جميعاـ مـن كانت تؤخذ عنه هـذه الكتب هو محمد بن عبد السلام الخنفي.

5ـ النشاط الشفوي في ميدان اللغة

وينبغي أن النشاط التأليفـي في هذا العصر ظل ضعيفا محدودا المجال، وإن حياة اللغة على جميع الجوانب الشفويـ ففجأ قرأ تراجم عشرات المنشئين باللغة وال نحوـ من ترجم لهم الزيدي وابن العبسي فلا نجد في ترجماتهم ذكرًا لكتب ألقوها. وحسب المترجم في هذه الناحية أن يقول: «كان من أهل العلم بالعربية واللغة»، أو يقول: «كان له حظ من اعراب ولغة»، أو يقول: «كان له بصر تام بال نحوـ واللغة»، أو يقول: «كان متقدما في معرفة لسان العرب والبصـر

(1) المصدر نفسه 1 : 375.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه 2 : 160.
(4) طبقات الزيدي : 287.
(5) المصدر نفسه : 314.
(6) المصدر نفسه : 327.

الحركة اللغوية ـ5
بلغاتها» ١، وما أشبه ذلك من تعليمات ليس فيها دقائق تفصيلية.

وقد يشير كل ذلك إلى أن أكثر جهود الأندلسين يوماً صرفت في تدريس الكتب المهاجرة أو في المناقشة الشفوية لأمور جزئية. وفي هاتين الناحيتين لا تضمن علينا المصادر بعض الأخبار المفيدة. فقد ذكر الزبيري أن يوسف البلوطي الذي كان يؤدب عند بني حدير «كان يقرأ عليه كتاب الأدب وكتاب يعقوب في إصلاح النطق، ونحو ذلك من كتاب اللغة» ٢.

ولا ريب أن كتاب الأدب في هذا النص يعني كتاب "ادب الكاتب" لابن قتيبة (أو أدب الكتاب كما يدعى أحياناً) ٣، وكان موسى بن أزهر الاستجبي العالم اللغوي: "يقرأ عليه شرح الحديث والغريب المصنف" ٤. ومما المناقشة الشفوية في المجال الأكبر لطلاب اللغة والنحو والمتطلعين إلى معرفة ما خفي عليهم من شؤون هذين العلمين.

ولنا في "المذكرة" مثل نموذج من هذا القبيل. و "المذكرة" هذا هو المنذر بن عبد الرحمن، لقب بهذا اللقب، "لا أنه كان إذا لقي رجلاً من أخوانه قال له هل لك في مذكرة باب من النحو، فلهج بهذه الكلمة وأكثر منها حتى نيز بها" ٥. وكان أطالعه في العربية موفوراً، ولذلك كان علمه ضرحاً من الرواية التي ينحو بها منحى الاحجية. شاهد يوماً.

---

(١) تاريخ ابن الفردي ١: ٤٤٠.
(٢) طبقات الزبيري: ٢٣٣.
(٣) المصدر نفسه: ٢٩٩.
(٤) المصدر نفسه: ٣١٠.
سيفا مع القائد ابن أبي عبيدة فأخذوه وسمى أجزاءه بما سمتها به العرب، فعجب جميع من شهد المجلس من سعة علمه وصحة فظته. كذلك كان هذا النشاط الشفوي مصدرًا كبيرًا للمعرفة اللغوية، وخاصة في أوائل هذه الفترة، إذ لو كان التأليف اللغوي متوفرًا يومًا في قرطبة لما كان الأمير نفسه يرسل البريد إلى عالم لغوي يعيش في منطقة نائية.

ليسأله عن مسألة لغوية جري الاختلاف فيها بين علماء اللغة في العاصمة. يقسم الزيد بن في ترجمة حسب الكلبي: "كان خصي ساكبا بمرور... وكانت المشيخة من أهل مورور يذكرون أن الفراق كان يأتي من قرطبة من الخليفة محمد رضي الله عنه إلى خصب يستفتح في الكلمة من اللغة والمسألة من العربية تحدث عندهم". ولا يخلو هذا الاتجاه الشفوي من محاكات يستدعيها اللحاج في الجدل أحيانا كما لا يخلو من التنافس والتحسس بين ذوي الحرفة الواحدة المنافسين على اكتساب قلوب الطلبة. حسبما هي الحال في كل زمان ومكان.

ومن صور هذا التحسس ما نشأ بين أحمد بن بشر بن الاغضب وعبد الملك ابن شهيد من ناحية، وبين عفيف بن مصطفى نظامي من ناحية أخرى. فقد استخرج الاثنان الأولان من كتاب العين حروفًا مهملة ونسخًا من ذلك دفعتهما ولقيا عفرا بالكتاب، وقصدهما من ذلك أن يثبتا

(1) طبقات الزبيدي: 311.
(2) المصدر نفسه: 281.
عليه عدم الاطلاع وأن يوقع عليه تهمة الغفلة، ولكن عفيرا أبطل جميع ما جاء به وأسقطه وتفى أن يكون من كلام العرب، واضطر خصمه إن ينزل على حكمه ويحترف بعمله ويبطئ إلى الحق.

كذلك فإن ذلك الجدل الشفوي لم يكن يخلو من تعامل للدلالة على سعة الرواية، فعلى الرغم من أن حال ابن عمرو بن حاجج الذي كان ينحو نحو الغرب والتقر في اللظة 2، وحال سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش فانه كان أيضا شديد التقر في كلامه 3. غير أن هذه الظاهرة الأخيرة من أهل الظواهر لدى لوبيي الأندلس شيوعا، وما ذلك إلا لأنهم سيشعرون بعد قليل بالمحافظة على سلامة اللغة دون الأسراف في اتجاه غرائبه. فمن الظواهر التي تلت النظر في تاريخ اللغة في الأندلس تسب الخطا إلى الكتابة. وقصة ابن فطيس الوزير الذي كتب الجخط بالطاء في رسالة واتكر عليه الزيدي ذلك، فلم يصح إليه، ليست إلا نموذجا واحدا من هذا الخطا 4. وقد أشار الزيدي إلى أن هذا اللون من الخطا ضمنه الشعراء أشعارهم واستعملة جلة الكتابة. ولا نظن أن كلام الزيدي ينصر إلى عصره فحسب وإنما ينصر بنفس القدر

1. المصدر نفسه: 299.
2. المصدر نفسه: 312.
3. الغرب: 111.
4. لحن العوام: 8، لم يذكر الزيدي اسم الوزير، وإنما ذكره صاحب الحوار والتكملة، انظر 5: 73.
5. المصدر نفسه: 7.
6 - حركة التأليف اللغوي حتى أواخر القرن الثالث

ذلك هو حال النشاط الشفوي في ميدان اللغة. فإذا ذهبنا تتلمس النشاط في التأليف وجدنا شارة حفريت إليها مجالس التدريس من ناحية، والاحتراء للكتب المشرقة المهاجرة من ناحية أخرى. وآكبر ما يميز التأليف اللغوي في هذه الفترة عدم انصاسه عن الحديث. وذلك هو الأثر المباشر الذي تركه كتاب "الغريب المصنف" لابي عبيد القاسم بن سلام في تفسير اللغويين الاندلسيين. فأبرز المؤلفات اللغوية التي ظهرت يومئذ انها تتعلق باللغة من حيث صلتها غريب الحديث. وهؤلاء المؤلفون فريقان، فريق ألف كتابا أو كتاب ولكن المصادر لم تذكر شيئا عنها، وفريق نعرف كتابهم باسمائها. فمن الفريق الأول:

1 - جودي التحوي (ـ ـ ١٩٨/٤١٤)، وله تأليف في النحو.

2 - ابن أبي غزالة. له كتاب آلله في العربية.

3 - خصيب الكلبي. له كتاب مصنف في اللغة نحو مصنف أبي عبيد.

4 - أبو بكر بن خاطب المكفو (بكر بن خاطب حسب رواية ابن...)

(1) طبقات الزبيدي: ٢٧٨.
(2) المصدر نفسه: ٢٨١.
(3) المصدر نفسه.
الفرصي). له تأليف في النحو.

5- أبو الاصغع عثمان بن إبراهيم البرشقي. له تأليف في النحو.

6- يحيى بن عبد الرحمن الملقب بالأبيض (367/877).

الف في النحو كتاباً أخذه الناس عنه.

7- أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي، الملقب بالبغل. له كتاب

في شرح كتاب الكسائي.

ومن الفريق الثاني:

1- عبد الملك بن حبيب (329/940). غلبته عليه شهرته في الفقه والحديث، ولكن كان جامعاً لضرور الثقافة الإسلامية.

وقد ذكره ابن الفرضي في كتابه طبقات الأدباء فجعله صدراً فيهم وقال:

أنه كان فقيهاً مفتياً نحويًا لغويًا نسبه أخباراً عروضية فاضتاً شاعراً محسناً مترسلاً حاذقاً. وله مؤلفات جمة يهمها منها في الجانب اللغوي كتبه

(1) المصدر نفسه: 379، تاريخ ابن الفرضي 1: 112.
(2) المصدر نفسه: 374.
(3) تاريخ ابن الفرضي 2: 179.
(4) طبقات الزردي: 397.
(5) ترجمته في: طبقات الزردي: 282، تاريخ ابن الفرضي 1: 373، جدوى المقتبس: 373، بقية اللمس رقم 1.37،

الدبيحة المذهب: 154، تذكرة الحفاظ: 537.
(6) الدبيحة المذهب: 154.
في غريب الحديث، كذلك سماه ابن الفضلي في ثبت كتب عبد الملك.
واعاد ابن فرحون ذكره بهذا الاسم. ثم ذكر ابن الفضلي في ترجمة مجاهد بن أصبغ الباجي قوله « وقرأت انا عليه كتاب شرح غريب الموطأ
لابن حبيب » 1، يبدو أنهما قسمان من كتاب واحد 2.

٢ - محمد بن عبد السلام الباجي (٠/٨٦٦/٣٨٦/٨٩٩). رحل إلى العراق وغيره من البلاد، وكان من شيوخ محمد بن المنيرة، ومحمد ابن وهب المسري صاحبا ابن عبد القاسم بن سلام وعنهما أخذ كتب
ابن عبد وأدخلها الأندلس. وقد أقام في هذه الرحلة متجولا خمسا
وعشرين سنة. وغلب عليه طلب الحديث وحفظ اللغة لئله لقي في أثناء رحلته أيضا كثيرا من أئمة اللغة كالسجستاني والرياشي والزيادي فأخذ
عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية الأصمعي، وغيره. وكان تدريس اللغة
في قرطبة يمثل جانا من نشاطه. وقد ألف في شرح الحديث كتابا فيه
من الغريب علم كثير.

٣ - قاسم بن ثابت (٠/١٠٥/٣٠٤). رحل مع ايه ثابت.

---

(1) تاريخ ابن الفضلي ٢: ١٤٨.
(2) راجع الدبيج الذهب: ١٠٠.
(3) ترجمته في: طبقات الزبيدي: ١٩٠، تاريخ ابن الفضلي ٢: ١٦٩،
جهوة المقتبس: ٣٥٤، بغية الملتسم رقم: ٢٤، ذكره الحفاظ: ٨٤٩.
(4) ترجمته في طبقات الزبيدي: ٣٠٦، تاريخ ابن الفضلي: ١٢٠٨،
جهوة المقتبس: ٣١٤، بغية الملتسم رقم: ٣٠٠،
وانهاء الرواة: ٣٢١: ١٣٤، بغية الوعاة: ٣٧٦، الدبيج
الذهب: ٢٣٣، فهرسة ابن خير: ١٩١، وفتح الطيب: ٢٠٠.
الي المشرق سنة 288/901، وعني هو وأبوه بجمع الحديث واللغة.
وكان قاسم مقدماً بالمعرفة في الغريب والتحريف. وقد ألف كتاباً في شرح غريب الحديث ومعانيه، وهو المسمي بكتاب «الدلائل»، وبلغ من جودته أن نال عليه ثناء العلماء. روى الزبيدي عن القاضي أنه قال: «لم يلف بالياندلاس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث، وقد طالعت كتبنا أثناءكم ورأيت كتبنا الشيشني في شرح الحديث، وطالعته فما رآيته صنع شيئاً، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب».
وقد بلغ من اعجاب القاضي به أن أخذ على ولد القاضي وما كان ولده أهلاً إلا يؤخذ عنه. وقال فيه ابن حزم: «ما شاه أبو عبيد إلا بتفقد العصر». وقال الحميدي: أن ابنه ثابت زاد في هذا الكتاب زيادات، وفاز بهم في ذلك، إذ أن المصادر الأخرى ذكرت أن ثابت الهب هو الذي أكمل الكتاب بعد أن نقل ابنه في حياته، أما ثابت الهب فقد روى الكتاب عن جده إذ كان صغيراً حين توفي أبوه. وعند ثابت الهب انتقلت روايته في سائر الأندلس على مر الزمن. ومن نظر إلى طرق الرواية التي أثبته ابن خير لهذا الكتاب، عرف مبلغ ما أحرزه من شيوخ لدى علماء الأندلس من بعد.

هذه ثلاثة كتب في اللغة، أو أن شئنا الدقة قلنا في غريب الحديث.

(1) طبقات الزبيدي : 309.
(2) جذوة الغنيم : 312.
(3) فهرسة ابن خير : 191.

72
لم تصلنا، ولكننا إذا استأسنا بحكم القالي عليها عرفنا أن ثالثها، وهو كتاب قاسم، كان أكثرها اتقانًا، حتى عند مقارنته بأمثاله من كتب أهل المشرق. ولهذا قال الزبيدي: "لو قال اسماعيل (القالي) أنه لم ير بالشرق كتاب أكمل من كتاب قاسم في معناه لما رددت مقالته". 1

و فيما عدا ما تقدم ذكره من مؤلفات نحوية و نحووية، عرفت اسماؤها أو لم تعرف، لا نعرف جهدا آخر يستحق التتويج سوى ما صنعه زيد بن سليمان الحجري المعروف بالبارد (ـ 300 / 913)، فانه جمع بين الأبواب في كتاب الاختفاء، و اقتدى الناس به، وكانت الابواب مرفقة. 2

7- أشهر المدرسين وتلامذتهم

على أننا إذا اقتصرنا في النظر إلى النشاط اللغوي على التأليف حرمنا ذلك رؤية الجانب الأكبر من هذا النشاط المتمدد على حلقات التدريس. ففي كل حلقات تخرج أكثر تلامذة اللغة وال نحو في

(1) طبقات الزبيدي : 3.9، يقول: وقد بلغ من أكبار الأندلسيين لهذا الكتاب أن حملوا قول القالي "لم يمؤلف بالأندلس" - ولم يقل "لم يمؤلف بالشرق" محملًا نسبه فيه إلى التخصص (انظر تاريخ ابن الفرجي 1: 4 ـ).

(2) طبقات الزبيدي : 3.8، والتكملة : 321، وذكر القوطي هذا عنه في إثبات الرواة 2 : 15، و فيه الرواة : 25. وإغلب الزمن أن الاختفاء المثار إليه هو سعيد بن مسعدة الأوسط، المتوفي سنة 211/ 826 أو 215/ 830. أما كتابة المثار إليه فيليس من اليسير تعبيته لأن له عدة كتب (انظر الأنباء 2 : 42).
الاندلس ولم يكن المرحلون إلى المشرق العادون بالكتب الشرقية إلا أستاذة لأولئك العشرات من الطلبة الذين اتجهوا وجهة الدراسات اللغوية والتحوية. وليس من اليسير ان نحصر أستاذة اللغة في هذا المقام وتلامذتهم الذين غلبت عليهم الثقافة اللغوية. ولهذا اكتنف بأن أعرض ثلاثة نماذج متفاوتة للتعرف الى الجهود الدراسية في ميدان اللغة، وعدد من تخرج في هذه الدراسات من أصبحوا حملة اللغة في القرن التالي.

وأبرز المدرسین اللغويين ممن تخرج على يديه أكبر عدد من الطلبة هو قاسم بن أصبغ الباني! وقد سمع في رحلته من علي بن عبد العزيز تلميذ أبي عبيد كما سمع من ابن قتيبة والمرد وثعلب. ولكن الطلبة كانوا أكثر إلهاء أقبالًا ليدرسوا عليه كتب ابن قتيبة. وهذا جدول بداريسي اللغة الذين أخذوا عنه:

(1) ترجمة قاسم بن أصبغ في تاريخ ابن الفرشي 126
(2) اعتمدت في حصر أسماء الطلبة على كتابي ابن الفرشي والزبيدي، والآن ومنهما أكثر عناية بذكر الشيوخ والطلاب في الترجمات التي أوردها.

74
فيهولا عدا ممن درسوا على قاسم ثم كانت اللغة أهم بضاعة لهم. وثاني هؤلاء المدرس هو الخشني، وليست قلته العدد في تلامذته دليلاً على أنه كان أقل حظاً من قاسم بن أصبع ولكن أكثر الطلبة الذين درسوا على الخشني انا اتجهوا وجهات علمية أخرى غير الوجهة اللغوية. وهذا جدول بأهم تلامذة الخشني اللغويين

(2
الخشني

<table>
<thead>
<tr>
<th>ابن طاهر بن عبد الرحمن إلاشي</th>
<th>ابن إسحاق الحكيم الخولاني (البقل)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>يزيد بن طلحة العبسي</td>
<td>مерж بن مالك الأغسي</td>
</tr>
</tbody>
</table>

والنموذج الثالث يمثل محمد بن عبد الله بن الفازي، وهذا جدول بتلامذته:

(3
محمد بن عبد الله بن الفازي

<table>
<thead>
<tr>
<th>ابن الأغسي</th>
<th>عبد الحكيم بن إسحاق</th>
<th>عبد الأغسي</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>يزيد بن طلحة العبسي</td>
<td>عبد الرحمن بن غير</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
(1) أن الطالب لم يكن يكتفي بالتردد إلى مدرسة واحد ومن أمثلة ذلك الحكيم (۲۲۴) ويزيد بن طلحة (۲۲۴) وابن الإمام الخولاني (۲۲۴) وابن الأغس (۲۲۴).

(2) أنه لم ينل من هؤلاء الطلبة شهرة العالم في القرن التالي سوى آلزكيدي وابن القوطية، وهما من تلامذة قاسم بن أصبغ.

هؤلاء جميعاً سيكونون أساتذة اللغة في القرن الرابع هـ وهم المبكرن في الإخذ عنهم من تلامذتهم. وباستثناء الزكيدي وابن القوطية كان من الممكن أن تظل صورة القرن الرابع Mane حيث النشاط اللغوي المحلي تدرسا ومناقشة وما إلى ذلك من نشاط شفوي. وليس من استبان القول في هذا الموطن أن أشير إلى أن صورة القرن الرابع اللغوية قد تغيرت كثيراً عن هذَا، إذ كانت حافلة بألوان من التأليف اللغوي المتنوع. ومعنى ذلك أن هناك عوامل تدخلت في توجيه الحياة اللغوية في ذلك القرن، وهي ما سئنف عنه في الفصل التالي.

8 هل كان هذا النشاط اللغوي الشفوي وقفاً على العناصر العربية في الأندلس.

ذلك سُأل قد يضطر الدارس إلى طرحه في كل حقبة من حقب هذه الدراسة، ولكن أهميته في هذا المقام اشد، لأن الإجابة عليه يمكن أن تصور لنا إلى أي حد ترتب العناصر غير العربية في الأندلس، وأثبتت تشارك بهجودها في دراسة اللغة العربية.

أن الترجمات التي وصلتنا لهؤلاء العلماء لا تشير دائما إلى أسبابهم،

77
كما أن النسب العربية التي تطلق عليهم لا تدل على أنهم عرب أصالة، إذ كان من حق الموالي أن يتخذوا تلك النسب. ولكن الأخبار اليسيرة التي لدينا تدل على أن الموالي والبربر وبعض المولد الآندلسية شاركوا في هذا النشاط. فكان الاقتنيان مولى الأمير منذر بن محمد ١. وكان عافى ابن سعيد مولى بني سيد ٢. وكان والد عباس بن ناصح عبد الملك مزاحمة بنت مزاحم الثقفي ٣. وكان محمد بن زيد مولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم ٤. وكان قاسم بن أصبغ مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ٥. وكان ثابت وابنه قاسم من أصل بربري ينسبان إلى عوف بالولاء، قال زكريا بن خطاب: "هم من البربر يتولون زهرة بن كلاب". وقالوا أيضاً في حديثه عن ثابت: "هو مولى بني زهرة مولى علاقة، وهم من البربر، وانتماء البربر إلى ولاة زهرة في ذلك الشرق وذلك الشرق (سرقسطة) كثير جداً لا ترى أحداً من البربر يذكر غير ولاة زهرة، إلا الشاذ منهم". ومن أشهر من عرف باللغة من مسلمة الدمة عبد الله بن عمر بن الخطاب من أهل الشام ٦. ويقال أن عبد الملك ابن حبيب السلمي انها كانت نسبته إلى سليم بالولاء وقيل أنه من أتفههم ٧.

---

(١) طبقات الزبيري: ٢٥٠.  
(٢) المصدر نفسه: ١٣٤.  
(٣) المغرب: ١٩٤.  
(٤) طبقات الزبيري: ٢٣٥.  
(٥) فهرسة ابن خير: ١٩٣.  
(٦) المصدر نفسه.  
(٧) تاريخ ابن الغرر: ١٥٠.  
(٨) الدبياج المذهب: ١٥٤.
الكتاب الثاني
الحركة اللغوية في الأندلس
في القرن الرابع الهجري
الفصل الثاني

عوامل النضج اللغوي في هذا القرن

1- العوامل الجديدة

أ- تمهيد:

هذا هو عصر عبد الرحمن الناصر (1300-1350 / 913-961) وابنه الحكم المستنصر (1356-1371 / 966-987) والحاجب المصور ابن أبي عامر (393/1002) على التوالي. وفيه بلغت الأندلس ذروة المجد السياسي والوحدة السياسية في ظل الأمويين والعمريين،

الحركة اللغوية 81
كما بلغت فيه قرطبة من العمران أقصى ما وصلت إليه، فأصبحت الدولة خلافة (بعد أن كانت امارة) تشمل أكثر أجزاء الأندلس، فهي قبالة الانتظار في الناحية السياسية والحضارية، أما في الناحية السياسية، فآية هذا الذي بلغته أصداء شهرتها في العالم الخارجي تلك الوفود التي وفدتها في أيام الناصر وابنه الحكم لتعقد أواصر التحالف والصداقة مع الدولة الأموية في الأندلس. ذكر صاحب النفح نقلًا عن ابن حيان وغيره أنه "لم تبق امة سمعت بها (أي الناصر) من ملوك الروم والأفرنج والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى، فإنه هادئ ورغب في موادعته، وكان وصول أرسلته في صغر سنة 338/949، 1 أو 375/967، حسب قول ابن خلدون 2. كذلك ترددت مثل هذه الوفود إلى قرطبة أيام ابنه الحكم المستنصر 3. ولم تكن هيبة الحكم في أيام المنصور بأقل مما كانت عليه في أيام الناصر والحكم المستنصر. وأما في الناحية الحضارية فان قرطبة والزاهرة والزهراء على مقربة منها أصبحت مثلها نموذجا لأرقي ما بلغته المدينة يومئذ في شكلها المادي.

(1) نفح الطيب 1: 343، وآزهار الرياض 2: 272.
(2) تاريخ ابن خلدون 4: 142.
(3) راجع نفح الطيب 1: 370، وآزهار الرياض 2: 288، في المتنبي (مخطوطة مدرية) أخبار ضافية عن كثير من هذه الوفود بيسن 973/376 هـ - 971/373 هـ.

82
وكان كل هذا يتطلب اهتماما خاصا بالناحية الثقافية حتى تكتمل الصورة الحضارية. فإذا قلت أن هذا العصر يميز بنهضة عامة في نواحي العلم بالنسبة للعصر السابق فما ذلك إلا لأن عوامل إيجابية جديدة قد دخلت في توجه الحياة الثقافية في هذه الفترة. وليس من قبيل الرمز أن أقول أن هذا العصر افتتح بإنشاء أكبر مكتبة عرفتها الأندلس واختتم بخراب هذه المكتبة. فقد اتفق أن كانت البداية بداية ارتفاع الخط الحضاري والثقافي في تاريخ الأندلس، وكانت النهاية تبدد الوحدة السياسية والمجد السياسي، وخراب العمران الذي شهدته قرطبة في عصورها الذهبي. يقينا أن العوامل السابقة من: رحلة إلى الشرق، وهجرة للكتب الشرقيّة، ونشاط في حلقات التدريس، وحياة مرفقة في التأليف، ظلت تعمل فعلا في هذا العصر كما فعلت في العصر السابق، ولكن انضاف إليها عوامل جديدة جعلت جنبا من هجرة الكتب ومن حركة التأليف والتدرّس نفسها إمرا قاسما على التنظيم والتشجيع الرسمي. وفي هذه العوامل الجديدة يعزى أكثر الفضل للحكم المستنصر الذي أشرف على تنفيذ المخططات الثقافية يوم كان ولاية للعبد في حياة أبيه، ويوم أصبح خليفة بعدا. فقد كان الحكم نفسه مثقا، ويمكننا

(1) راجع تشجيع الحكم لضروب الثقافة العامة في كتاب: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيدبة قرطبة: 34-52 وقد وردت فيه أكثر الروايات التي استشهدت بها هنا.
لاكبر استاذين شهدناهما في العصر الماضي، وهما: القاسم بن أصغر والخشتني، وكانان في المعرفة بالرجال والأخبار والانساب نموذجاً وسيراً، وكانما ثقة فيما ينقل. 1. وذكر ابن الأبار أنه "قلما وجد كتاب من خزائهما ولا له فيه قراءة أو نظر في أي فن كان، وكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته، ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد إلا عندنا، لعنايته بهذا الشأن". 2.

ب - جهود الحكم في النهضة اللغوية:

ونستطيع أن نتبين ما أثاب الحكم من جهود ثقافية وخاصة ما كان منها يس موضوع هذه الدراسة في الأموات الأثاثة:

1 - إنشاء مكتبة عامة تابعة للقصر: "كان الحكم يستجب المصنفات من الأقاليم والناحية، فإذا ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائه، وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك". 3. وقال أبو محمد بن حزم "كان محب في العلم مال الأندلس بجميع كتب العلماء والخبراء، تليه الفتي وكان على خزائه العلم بقصر بني مروان.

---

1) نفح الطيب 1: 371.
2) الجلالة السيراء 1: 271، و نفح الطيب 1: 371.
3) نفح الطيب 1: 371.
بالأندلس ان عدد الفهرس التي كانت فيها تسمية الكتب اربع واربعون
فهرسة في كل فهرسة خمسة ورقة، وليس فيها إلا ذكر أسماء
dواوين فقط ١. وكان جمعه لهذه الكتب يعتمد على تجارة يرسلهم
الي الاقترار أو يبعث الى المؤلف نفسه فيطلب نسخة من كتاب ألفه، كما
فعل مع أبي الفرج الاسباني حين أرسل إليه بأخير دينار ليحصل منه على
نسخة من كتاب الأغاني ٢، ووظف له نسخا في بغداد وغيرها لاستنساخ
الكتب وارسلها الى الأندلس وكان من وراهه بغداد محمد بن
طرخان ٣. كما رتب في جناح بقصره في قرتبة الحذاق في صناعة النسخ
والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد ٤، وتسامع الناس بشغفه
بالكتب وتفاقها عليه فحملت من كل جهة اليه والملك سوق ما نفق فيها
جبل اليها ٥. ومن الطبيعي ان تحتل الكتاب اللغوية مكانها اللائق بها
في هذه المكتبة لأن شغف الحكم بالكتب لم يكن فيه اثاث لعلم على آخر.
قال صاعد: "واستقبال من بغداد ومصر وغيرهما من ديار الشرق عيون
التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة" ٦.  

١) جمهيرة أنساب العرب: ١٠٠ (الطبعة الثانية): وانظر النفح ١
٢) إبضاع السيرة: ١: ٢٣، والحلة السيرة: ١: ٣٩، وذكر صاحب النفح ان في
كل فهرسة عشرين ورقة  .
٢) نفح الطب: ٣٦٢: ٤٢.
٣) انظر الحلة السيرة: ١: ٢٢٢.
٤) نفح الطب: ٣٦٣: ٤٢.
٥) الحلة السيرة: ١: ٢٠١.
٦) طبقات صاعد: ٦٦.
وبعد أسر من هذا النص نستدل على أن المكتبة كانت تحتوي كتاباً في
علوم المنطق وعلم النجوم والطب والحساب واللغة والنحو والشعر والأخبار
والفقه والحديث وغيرها. فاللغة إذن من الموضوعات التي عين
الحكم بكتبها في ما عني.

وكان جميع الحكم لهذه الكتب حافزاً على الاقتداء، وسرعان ما
أخذ السراة في قوطبة يقلدون الخليفة بإنشاء مكتبات خاصة. ومن
أشهر هذه المكتبات مكتبة ابن قطيس التي كان يعمل فيها ستة من
النسخين وله أمن خاص، ويقول الاستاذ خوليان ربيرا في مقاله القيم
عن المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية: «إن تأسيس المكتبات
لم يكن قاصراً على الأثرياء وحدهم، بل كان نجذب هذه الرغبة أيضاً بين
الطبقات الفقيرة التي تعيش على كسب إيدها، وندكر هنا على سبيل
المثال مكتبة معلم مدرسة فقير هو محمد بن حزم وكان يعيش على ما
يكسبه من التدريس للاطفال، يساعد في ذلك ابن له يتعهد الصبيان
وابناته تتعهد البنات. وقد خصص المبالغ الضئيلة التي كان يستطيع
ادخارها لشراء الكتب، كما استغل أوقات الفراغ بين الدروس لنسخ
ما كان يستعيره اصدقاءه؟. كذلك شاركت المرأة الأندلسية في جميع
الكتب وفي نسخها، فكان في الربيع الشرقي من قوطبة مائة وسبعون

(1) راجع حضارة العرب لبروفيسور: 61.
(2) مجلة معهد المخطوطات، مجلد 4: 92، نقلاً عن التكملة 258.

86
امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي. وهذه العناية بالنسخ وجمع الكتب وهي عيانة ستستمر وتترايل طوال هذا العصر والعصر التالي - جعلت مجال الإطلاع ميسراً للفئات كثيرة فأصبح تداول الكتب سهلاً على الطلاب والثقفين.

٢ - حفظ الهمم إلى التأليف وإغاثة العطاء على المؤلفين، وإكرام العلماء بصنوف التقدير: وهذه ناحية تضم اتجاهات علمية كثيرة، فيها التأليف في الانساب والحديث والفقه وجزريمية الاندلس وتاريخها وترامج قضااتها وأدابها وغير ذلك. ولكن ما يهمنا منها هو الناحية اللغوية. ونا على مثل اليقين بأن الحكم أولاًها أيضًا من عنايته مثل ما أولى سائر العلوم، فنحن مدينون للحكم بحفر الزبيدي إلى كتابة مؤلفه القيم في طبقات التحوين واللغويين في الشرق والاندلس وفيه من ترجمة اللغويين والتحولين الاندلسيين ما أصبح معتمدًا للكولن في هذا الموضوع من بعد، وذلك هو القسم الذي اعاني على تصوير بواكر الحياة اللغوية في الاندلس حتى مطلع القرن الرابع، وتخلل م القادم الزبيدي على هذا الكتاب أن الحكم لم يقف عند حد الاقتراح بل حد للزيدي الذي سيتخذه تأليفه وأمده بعنايته وعلمه وأوسعه من روايته وحفلته. ولم كتاب لحن العوام إنهما الف أيضاً طلباً لرضى الحكم.

(1) مقالة ريفيرا، نقلن عن المعجب: ٤٨ ٢.
(2) انظر طبقات الزبيدي: ٩ - ١٠.

٨٧
وإذا استمدا، لا فضله، إن لم يك قدالف بتطلب منهٍ 1. وكذلك مختصر
العين كما أبين ذلك في وضعه. وما كان حرص الحكم على الزبيدي
وأكرامه لابي علي القافي، كما سأوضح بعد قليل ، إلا ترسيخًا لاصول
النهضة اللغوية حينئذ. ولم يكن القافي والزيبيدي هما الوحيدين بين
علماء اللغة الذين تقدر المستنصر وأكرامه ، بل كان هذا التقدير
يشمل عددًا كبيرًا من العلماء بينهم بعض علماء اللغة وان لم ينفردوا
بالاتجاه اللغوي. من هؤلاء عبد الله بن محمد المعروف بالسري، وكان
عالماً بالسماح والهندسة ، وهو في الوقت نفسه امام في النحو واللغة
التي كان الحكم المستنصر بالله يعظه ويؤثره 2. إلا أن الرجل كان زاهداً
في شؤون الدنيا.

3- التدقيق العلمي في الأصول اللغوية : كان الخليفة الحكم ذا
اهتمام خاص بأن تكون الأمهات في كل علم صحيحة الأصول لا مسبِب
فيها للخطأ والتصحيف. وقصته في استدامة نص صحيح دقيق من كتاب
"العين" تدل على ذلك. فقد كان في أثناء جمعه لمختلف الكتب قد
حصل على نسخ كثيرة التصحيف من كتاب "العين"، ومنها النسخة
التي كان قد رواها بمصر القاضي منذر بن سعيد البلوطي، فجعل الحكم

(1) انظر لحن العوام : 19.
(2) طبقات الأمم : 67 - 68.
اربعة من أكابر علماء اللغة في قرطبة، وهم: أبو علي التالى، ومحمد بن
ابن الحسين، وابن سيد، وطلب اليوم المقارنة بين النسخ لاستخراج
نسخة دقيقة الضبط يقرها هؤلاء الإعلام. لو وصلنا أخبار تفصيلية
عن هذه النواحي لوجدنا أن كتاب العين لم يكن فيديا بهذه العناية،
فنحن نعلم أن المستنصر قد أسند وظيفة المقارنة بين الكتب إلى علم من
أعلام اللغة هو الرباحي ووضع له في المنزل والجراحة.

الترجمة: لعل هذه الناحية أضعف من سواءها في الايسل،
إذا نحن قارناها بما كان يتم في بغداد في عصر الرشيد والمأمون. فقد كان
بإمكان الحكم أن يستورد الكتب المترجمة من الشرق دون أن يفسق
جهدنا مستأثرا في ترجمتها. وعلى هذا وصلته كتب كثيرة في علوم الأوائل
ما كان ترجمته قد تمت في الشرق. ولكن الذي يلفتني إلى هذه
الناحية وصول كتابين هدية من امبراطور القسطنطينية، هما كتاب
هروشيوش في التاريخ، وكتاب ديستوريودوس Paulus Orusius
في النبات. أما الكتاب الأول فقد قال فيه ملك القسطنطينية في رسالته
الي عبد الرحمن الناصر: "أما كتاب هروشيوش فوجدك في بلدك من
اللاتينيين من يقرأه باللهام اللاتيني وان كاشتفهم عنه تقوله لك من

(1) حذوة القتبس: 47 - 48.
(2) طابقات الزبيري: 340.

89
اللاتيني إلى اللسان العربي ». وقد ترجمه للحكم المستنصر قاضي النصارى وترجماتهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ. وأما كتاب ديوستوريديوس فإنه كتبه باللغة الإغريقية مصورة، ولم يكن بقرطبة من نصارى الأندلس من يقرأ اللسان الإغريقي في خزانته عبد الرحمن الناصر دون أن يترجم. فلما رد الناصر على رسالة إمبراطور القسطنطينية سأله أن يبعث إليه برجل يتكلم الإغريقية ليعمل له عيدا يكون مترجمين، فبعث إليه الإمبراطور براهب يسمى نيقولا، وصل إلى قرطبة سنة 951/342، فاجتمع بقوم من المبشرين بشئون العقاليات فتعاون معهم على تصحيح اسماء العقاليات في ذلك الكتاب بالوقوف على أعينها في مدينة قرطبة. وترجمة هذا الكتاب وتعيين اسماء المشايخ فيه بدقة من الأمور التي اضافت إلى الثقافة اللغوية. فقد ظل علم النبات قريبا لعلم اللغة من حيث المعجم الجديد الذي كان يضيفه إلى المعجم العربي عاما. وأما فيما يتعلق بغير هذين الكتبين فلا نعرف اهتماما آخر بالتربية في اللغة العربية كما حدث في حق الترجمة بالشرق.

5 - استقدام العلماء للعمل في قرطبة: وفد على الأندلس بتشجيع

(1) عيون الأنباء 3 : 76، طبعة بروت، وتاريخ هروشيوش أثر اسباني (راجع تراس : 13).
(2) تاريخ ابن خلدون 2 : 88، ومقدمة كتاب طبقات الأطباء والحكماء
(3) عيون الأنباء 3 : 76 – 77.
من الحكم عدد من علماء الأمصار ليعاونوا في النهضة الثقافية،وليجدوا
حظر ذلك أبنهم أيضاً. ومن ذوي الاتجاه اللغوي فيهم "أبو الحسين بن
لافنت وهو من أهل حلب رويا بالشرق عن جماعة من الشاميين
والبصريين، ووفد على المستنصر بالله فأجبر عليه وتوسع له وقرأ عليه
الناس كثيرا شيخا وشبانا، وقرأ عليه أبو بكر الزيدي -رحمه الله-
ومن قرأ على الزيدي، ومات سنة 376 هـ/986 هـ". وأبرز شخصية بين
المهاجرين أبو علي القالي الذي وفد من بغداد باستدعاء من الحكم نفسه
في الأرجح. وتلتقي الحكم والناصر بالحلفاء والأكرام. ولم تكن هجرة
القالي إلى قرطبة أمرًا عاديا تقف منه كما تقف من هجرة أي رجل آخر,
بل كانت هجرة ذات أثر بعيد في الحياة اللغوية بالأندلس، فقد تمثل
أثرها في النشاط الذي أثاره القالي من حوله في قرطبة والزهراء. فقد
كان يميل آماله على طلبه بالزهراء كل يوم خميس، ثم زاد فيه فبلغه
ستة عشر جزءا للعامة، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا للحكم. وتمثل
هذا النشاط في كبار التلامذة الذين انتموا من حوله وتخرجوا به، وفي
حلوه من نفوس هؤلاء الطلبة رمزًا لما يمكن أن يمثله العالم الحق، وفي
الكتب التي جلبها معه مقرورًا على العلماء محققة الأصول. فقد جلب معه

(1) فهرسة ابن خير: 88.  
(2) المصدر نفسه: 235.
دواوين الشعر الجاهلية والاسلامية مثل شعر ذي الرمة والحظيرة وعمرو ابن قتيبة والتابعة والشماخ والأعشى وأوس بن حجر والأخطل وامرء القيس ونقائض جريج وفرزدق إلى غير ذلك مما عده ابن خير في فهرسته 1. وهي دواوين قرأها على العلماء أمثال تفطيه وابن دريد، وتعتبر أصول الشواهد اللغوية. كذلك حدث الاندلسيين بكثير من أملاك كتب اللغة، ككتاب نوادر اللحمي، ونوادر أبي زياد الكلاهي وانتشار لثقب وكتب يعقوب بن السكيني، ومنها القلب والابدال وكتاب الأصوات وكتاب الطرق وكتاب خلق الإنسان وكتاب النبات وكتاب الاضداد. وحدث أيضاً كتب الطرق لثابت بن أبي ثابت وكتاب الخليل لابي عبيدة وكتاب الاضداد للنزوي وغيره 2. وكل هذا يشير إلى أن ابا علي قد زاد من رسوخ الاندلس في الموروث العربي وأتاح لطلاب اللغة والأدب دراسة منتظمة قرية المتناول لكتب كانوا يرحلون لقراءتها على العلماء. أما جهده في التأليف فسوف نذكره هنا خاصة في موضعها من هذا الكتاب.

ج- المنصور بن أبي عامر وأثره في النهضة اللغوية:

ولم يكن المنصور بن أبي عامر مقصراً عن سابقيه في التشجيع الثقافي والتآتي له من نواحيه المختلفة. ولكن الذي ألحظه في سياق هذه

(1) فهرسة ابن خير: 395 - 397.
(2) المصدر نفسه: أنظر صفحات متفرقة منه.
النهاية الثقافية أمران هامان:

الأول: تلك الثورة التي أعلنها المنصور على علوم الأوازل، فأستخرج كتب الفلسفة والمنطق من مكتبة الحكم المستنصر وأحرقها على الملا، فقال صاعد: «واعد أول تغلبه عليه (على هشام المؤيد، ابن الحكم) إلى خزائن ابن الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها وأراد (قرأ وأبرز) ما فيها من ضروب التأليف بحضير خواص من أهل العلم بالدين، وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق، علوم النجوم وغير ذلك من علوم الأوازل، حاشا كتب الطب والحساب، فلم تتميز من بيان الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والاشعار والأخبار والطبل والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم والباحثات عند أهل الأندلس، إلا ما كنت منها في اثناء الكتب، وذلك أغلبها، أمر بإحرقها وافسادها فأحرق بعضها، وطرح بعضها في أبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة وغيرت بضروب من التغيير، وفعل ذلك تخبأ إلى عوام الأندلس وتقيبا لمذهب الخليفة الحكم عندهم، إذ كانت تلك العلوم محجورة عند أسلافهم مذمومة بالسنة رؤسائهم، وكان كل من قرأها متهمًا عندهم بالخروج من الملة ومظنتًا به الالتحاد في الشريعة».

(1) طبقات الأمام: صاعد: ٦٦. ويرى بروفسال أن هذه الحركة التي قام بها المنصور انها كانت تهدئة لحركة المقاومة الناشئة بين المحافظين في قرطبة، وأنه كان في قراره نفسه أول من يقدر مدى ما في تلك الحركة من عدوان على حرمات الفن والعلم (حضارة العرب: ٧٣ - ٦٤).
الثاني: أن المنصور لم يكن متنوع الثقافة كالحكم المستنصر بله.
كان يميل حتى من بين العلوم الإسلامية التي ما كانت له صبغة أدبية،
وينثر من بين هذا اللون أيضا ما كان أميل إلى كتب الأسمار، ولذلك
فقد هذا اللون عنه، فألقته له فيه كتب متعددة منها كتاب لحسن بن
أبي عبيدة اسمه «ربعة وعقيل» قال فيه ابن حزم: «انه من إملح ما الف
في هذا المعني». ومنها تلك الكتب ذات الطابع القصصي التي كتبها
صاعد البغدادي مثل كتاب الهجفة بن غدقان بن يثرب مع الخنوت بن
مخرمة بن أنيف، وكتاب الجواس بن قططل المذحجي مع ابنه عمه عفراء.
وصاعد مؤلف هذين الكتابين هاجر إلى الأندلس في حدود
94/380. ويظن الحميدي ان أصله من ديار الموصل وانه دخل بغداد
فعرف بالأندلس بسبب البغدادي. وكان عالما باللغة والآداب والأخبار
سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاعرة، فكه المجاسة ممتعا،
ويمثل في أيام المنصور بن أبي عامر ما كان يمثله القاضي في أيام الناصر، وإنه
الحكم. فهو مشرف على مله، وهو عالم في اللغة، وقد لقي من أكرام المنصور
مثلما لقيه القاضي من أكرام صاحبه وألف للنصور كتاب «الفصوص»
على نحو كتاب النوادر للقاضي، وقد كان المتوقع من صاعد أن يكمل

(1) جذوة القتبس: 184.
(2) جذوة القتبس: 223 ، وراجع ترجمة صاعد في: الذخيرة
1/2: 13، المعبج: 19، نفح الطيب: 75، وفيات
النهضة اللغوية التي وضع قواعدها أبو علي القالي، ويمضي قدماً بالأثر المشرقي الذي يقدره الاندلسيون كل التقدير. فهو لاجل هذا الغرض هاجر، اعني ليعرض ما لديه من بضاعة لغوية، قال القلطي: «وبلغه ان اللغة بالأندلس مطلوبة والآداب هناك مرغوب فيها من ملوكها ورعيتها، فارتجل الى الأندلس». ولكن حالت دون ذلك حوائل، منها:

١ - ميل المنصور نفسه الى جانب اللعنة في كتب الاستخار، مما حدا بصاعد إلى ان يتوجه بهم لارضاء الرجل الذي كانت الأندلس تدين لسلطانه يومئذ، وقد شغف المنصور حقاً بما كان صاعد صاعد، وهو يشغف المنصور مشاهدة كتاب «الجواس» قد رتب من يقرأه بحضرته كل ليلة.

٢ - كان صاعد نفسه متكسباً على غير ما كانت عليه حال أبي علي، ولذلك قيل فيه ان كان حسن الطريقة في استخراج ما في ايدي الناس من الأموال. ومثل هذا الميل جعله يؤثر ما يدر عليه كسباً فاتجه الى الشعر يستخدمه في الايرزاق حتى كادت شهرته في الشعر تغلب لدى الاندلسيين ايمانهم بشهرته في اللغة.

١) انباه الرواة: ٨٥
٢) معجم الأدباء: ٢٨٤ - ٢٨٥، انباه الرواة: ٨٦
٣) جودة المقتبس: ٢٢٣، الصلة: ٣٣٣، انباه الرواة: ٨٦
3 - أراد المنصور ان ينافس به ما صنعه القالي في عهد الحكم.

ويبدو ان هذا التصد لم يكن خافيا على تلامذة القالي، فوقعوا موقفا العصبية لاستذابة وحاولوا بكل الطرق الممكنة ان ييرزوا عيب صاعد، وإن يسبوا الله التزيد والكذب ١. وربما ساعدتهم صاعد نفسه على ذلك ببعض التخلصات التي كان يرويها لئلا يتقطع به الحجة. واستنثارت هذه الاكاذيب مثلاً على طريقه التفkee والدعابة، وامتلا الجو في قرطبة بين طلاب اللغة بأن صاعد مطرح مجرح العدالة لا يحسن الأخذ عنه. ومن ذلك ما يرووه من ان المنصور سأله يوما: "هل رأيت فيما وقع لك من الكتب كتاب القوالب والزوايب لمبرمان ابن زيد؟ فقال: نعم رأيته في بغداد في نسخة لا ينكر بكر بن دريد بخط كأنك عمل، في جوانبها علامات للوضاع هكذا وهكذا. فقال له: أما تستحي أبا العلاء من هذا الكتاب؟ هذا كتاب عالمنا بيدنا كذا يذكر فيه ان الارض قد قلت ونزلت، ففعل يلفح انه ما كذب". ٢. ومن هذه الروايات اسأله يوما وقعداه تمر يأكل منه "ما التمركل في كلام العرب؟ فقال تمركل الرجل تمركل إذا التف في كسائه". وشاشت عنه حكايات كثيرة من هذا القبيل ٣.

---

(1) انظر تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة: ٦٠ - ٦١.
(2) جدولة مكتبة: ٢٤٤ - ٢٢٥ ، انها الرواة: ٢: ٨٧.
(3) المصدر نفسه.
(4) نفح الطيب: ٤: ٨١.

٩٦
وأعتقد كما قدمت أن كثيراً منها قد أصبح يتردد طلباً للنادرة. ولكن مثل هذه السمعة كانت كافية لأن تدين صادراً لدى علماء اللغة في قرطبة، وأكثرهم يؤمنون من طلبة القالي. وقد تساءل: ألم يغضب المنصور لهذا الذي رآه من فعل صاعد؟ أكبر الظن أن المنصور قد أعجب بروح الفكاهة وحسن الحديث لديه وطيب معاشرته، فظل يلاحظه بعناية تقديراً لهذه النواحي فيه، ولكن يسئ من أن يجعل منه نداً للقالي صاحب الحكم في الناحية اللغوية.

وفي القصة التالية ما يدل على أن صاعداً لم يكن يستطيع الفلج حتى في مناظرة تلامذة القالي. جلس المنصور يوماً: "وعنده اعيان مملكته ودولته من أهل العلم كالزبيري والعاصمي وابن العريف ومن سواهم، فقال لهم المنصور: هذا الرجل الوافد علينا صاعد يزعم أنه متقدم في هذه الآداب... واحب أن يصحن ما عنده، فتوجه إليه ودخل المجلس قد احتفل فخجل، فرفع المنصور مجلسه وآنسه، وسأله عن أبي سعيد السنيف، زعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب، فلم يحضره فيها من جواب، واعترض أن النحو ليس جل بيضاعته ولا رأس صناعته، فقال له الزبيدي: فما تحسن إليها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب، قال: فما وزن أولئك، فضحك صاعد، وقال: أمثلي يسأل عن هذا انا انا يسأل عنه صبيان المكتب، قال الزبيدي:...
فقد سألناك ولا تشك أنك تجهل، فتغير لونه، وقال: أتعم. قال الزبيدي: صاحبكم مشرك، قال له صاعد: أخال الشيخ صناعته الأبنية، قال له: أجل، قال صاعد: وبعضنا أنا حفظ الأشعار، ورواية الأخبار وفيك المعنى، وعلم الموسيقى، قال: فناظره ابن العريف، فظهر عليه صاعد، وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا انشد عليها شاعرا شاهدا، أو أتى بحكاية تجانسها، فازداد المنصور عجبًا، ثم اراه كتاب النوار، ولبنى علي، فقال: ان اراد المنصور أميلث على مقيدي خدمته وكتاب دولته كتابًا أرفع منه قدرًا وأجل خطرًا ادخلني خيرا، مما ادخله أبو علي، فأذن له المنصور في ذلك، وجلس بجامع مدينة الزاهرة يبلي كتابه المترجم بالفصول، فلمما اكمله وتبى أدباء الوقت لم تسر فيه كلمة زعموا صحتها عندهم، ولا خبر ثبت لديهم). وهذه الحكاية على علاتها تدل على أن صاعد كان واثقا من نفسه فيما يتصل بالشعر والرواية للاخبر، ولكنه لم يكن يثبت لامثال الزبيدي في علم الأبنية والتصريف، وأيا كان الأمر، فإن روح التحدي للتالي قد أساءت كثيرًا إلى صاعد وجعلته غرضا لسهام المناوئين، أما أن أدباء الوقت لم يجدوا كلمة صحيحة في كتابه ولا خبرا صحيحا، فالأمر يستدعي شيئًا من التوقف والمناقشة.

فمن كل ما تقدم يتبين لنا أن جهود صاعد في ميدان اللغة كانت

(1) الذخيرة 4/1 : 6 – 7، وانظر نفح الطيب 37 – 77.
محدودة، فلا نعرف له كتاباً ذا مسحة لغوية سوى كتاب القصوص الذي أراد أن يذك به كتاب النوادر، بحيث يأتي أرفع منه وأجل دون أن يورد فيه خبراً مما أورده أبو علي. ومنذ هذا ان صادعاً اعتسم رويات وأخباراً لم يسمع بها الاندلسيون ولذا قال علماؤهم حين تبعوه «قلم نسر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم». وقد تنهى ابن بسام إلى أن تفرد صاعد هو الذي ساق إلى كتابه هذه النهاية فقال: «وما أظن أحداً يجتريء على مثل هذا (أي الوضع والكتب) فانما صاعد أشتراط الا يأتي إلا بالقرب وغير المشهور» ١. اما المادة التي يدور عليها هذا الكتاب فهي تجمع بين اللغة والأخبار لقول ابن خير في تسمية الكتاب "كتاب القصص في اللغات والأخبار" ٢. وهذا الجانب اللغوي فيه يؤكده رده التزاز عليه في "مناكير كتابه في النوادر والقرب" ٣. غير أن عنوان الكتاب لم يرد كذلك في جميع المصادر، فقد جاء في الصلة نقلًا عن ابن حيان: "وجمع أبو العلاء المنصور محمد بن أبي عامر كتابه سماه القصوص في الآداب والأخبار، وقدم حذف ابن حيان هنا كلمة اللغات من اسم الكتاب. ومهما يكن من شيء فلا بد أن يكون

(١) تفع الطيب ٤: ١٧٨ وهو بايجار وبعض تلخيص لما جاء في الذهبية.
(٢) فهرسة ابن خير: ٢٣٧.
(٣) الصلة: ٢٤.
(٤) الصلة: ٢٣٣.
فيه مشابه من نوادر القالي لأنه معارضة له، وإن يكون للغة فيه مقام وإن لم يكن مقاما بارزا. وقد بدأ صادف تأليفه هذا في شهر ربيع الأول سنة 856 / 95 وقضى فيه قراءة ستة أشهر اذ أكمله في شهر رمضان من العام نفسه. ولعل اضطراب الروايات التي شاعت عن تقبل هذا الكتاب أن تدلنا إلى أي حد واجب صادا مشاعر الحسد من معارضيه.

فهنالك رواية تقول ان علماء قرطبة أغرقوا كتابه المترجم بالقصص ونذوه ورموه في النهر. ورواية ثانية تقول: ان المنصور أغاظه مرة أكاذيب صاد فأمر بخراجه من مجلسه وأن يذف كتاب القصص في النهر.

وتجيء هذه الرواية مؤيدة بقول بعض الشعراء:

قد غاص في النهر كتاب القصص وهكذا كل ثقيل يغوص

ورد صاد بقوله:

عُناد السَّي معدنه انا نوجد في قرر البحار القصص.
وهتان الروايتان لم يذكرها الحميدي وابن بشكوال، وإنما ذكر الثاني منها رواية ثانية نقلها عن ابن حيان جاء فيها: 'ان المنصور أثباه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم في دفعة واحدة وأمره أن يسمع الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب خمس وثمانين وثمانية (950 م).

(1) المصدر نفسه.
(2) المدخية 1/ 24 : 3، نفح الطيب 76.
(3) نفح الطيب 48: 78.
والرجح أن الرواية الثالثة هي أوتيم الروايات لان رؤتها، وهو ابن حيان، قد درس هذا الكتاب على مؤلفته سنة 399 هـ / 1009، ومن طريق ابن حيان وصلت رواية هذا الكتاب إلى ابن خير. فإذا كان الكتاب قد التقي في النهر حتى أمر من المنصور فذلك يدل على غضبة مؤقتة لم تلبث ان زالت اسبابها، وإذا كان علماء قرطبة هم الذين طرحوه في النهر فذلك خبر رمز يشير إلى نورهم من رواية ما كان يدرسه صاعد في مسجد الزهرة.

ومع ذلك فهناك عدد من التلامذة الذين درسوا على صاعد، عرفنا منهم المؤرخ ابن حيان، الذي قرأ عليه كتاب الفصول. ومنهم أيضا عبد العزيز بن أحمد بن مفلس القسي الذي قرأ عليه اللغة، وهشام بن محمد المعروف بابن المصحفي، وهو أحد علماء اللغة في العصر الثاني، قرأ على

(1) الصلاة: 263.
(2) الصلاة: 262، فهرسة ابن خير: 164.
(3) لا يزال الجانب الأدبي لدى صاعد وما اثاره في الاندلس من معارضات شعرية، وكذلك فترة اقامته في صقلية بحاجة إلى دراسة، ولكن هذه الدراسة للجانب اللغوي عنه لا تتسنى لكل ذلك. كما أن الحكم الدقيق على كتاب الفصول وقيمته من الناحية اللغوية غير مسر لي. فهناك نسخة خطية صحيحة محفوظة بخزانة جامع القرطبة لم يتيسر لي الإطلاع عليها.
(4) جدوى المقتبس: 369.
(5) الصلاة: 314.

101
صاعد كتاب اصلاح المنطق ليعقوب ابن السكينة، وكان صاعد يرويه عن شيخيه: السيرافي والفارسي. كذلك كان صاعد قد قرأ كتاب المداخل في اللغة من تأليف المطرز على الوزير ابن خنزبة بمصر، فلما عهد المصحفي إلى ابن خنشاش بأن يدرس هذا الكتاب لحفيده أبي بكر طلب إلى صاعد أن يحضر تلك الدروس.

ولم يكن تشجيع المنصور للعلوم عامة ولغة خاصة قاصرا على حفاوته بصاعد وتمكينه من التدريس في الزاهرة بل كان يقرب إليه العلماء والادباء وكان له مجلس معروف في الاسبوع يجمع فيه أهل العلم، كما كان مقيما بقرطبة، إذ كانت غزواته المتكررة كثيرا ما تبعد عنها. ولعل مجلس الذي ضم الوليدي والعاصمي وابن العريف وصاعدا وغيرهم من لم ترد أسماهم انما كان نموذجا لهذه المجالس العلمية، كذلك حاول ان يتفوق على الحكم في اقتناة الكتب وفي تصحيح نصوصها واقتيان الأصول الدقيقة منها. فلهفظ ابن عبد الله اهتماما خاصا أثناء رحلة المشرق في تصحيح ومقابلة نصوص الكتب التي يدرسها أو يحصل عليها. واتخذ لكتبه قيما للتفديق والضبط فكان محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي من

(1) فهرسة ابن خير: ۳۱۲.
(2) المصدر نفسه: ۳۵۸–۳۵۹.
(3) انظر الصلة: ۷۳.
(4) مقالة ربيعة مجلد ۵: ۷۳، نقلا عن نفح الطب.

۱۰۲
أهل قرطبة هو المسؤل عن تصحيح ومقابلة كتب المنصور وكتب ابنه، وهو الذي أسس لهما مكتبتهما واستعان بها فيما من كتب في تأليف كتابه الذي وضعه عن تاريخ بني عامرة. وكان هذا الرجل كما وصفه ابن الأبار "من أعلم الناس بالكتب وعلهها وألهجهم بجمعها وافرزهم لخطوطها وأنسبهم لها إلى وراها".

2 - العوامل التقليدية

تلك هي العوامل البارزة التي ساعدت على النهضة اللغوية من تنظيم المكتبات، وتوجيه في التأليف، وتدقيق فيما يقتني من أصول، وأكرام العلماء وحظر لهم من العمل واغرامهم بالقدوم إلى الأندلس، حتى كان هذا كله كأنما يخضع لسياسة ثقافية مرسومة مخططة. ولكن العوامل التي شاهدناها في العصر الماضي ظلت أيضا تعمل عملها إلى جانب العوامل الجديدة: ظلت الرحلة إلى المشرق والرواية عن الشيوخ والعودة بالكتب الموجودة، وظلت حلقات المؤدين والمدرسين في المساجد، من القوى الدافعة في تطوير النشاط اللغوي.

(أ) فمن أشهر الراحلين إلى المشرق في هذه الفترة أبو عبدالله محمد ابن يحيى ابن عبد السلام الرباحي (٧٥٨/٩٦٩) الجياني الأصل.

1) مقالة ربيعة ٥ : ٤٤، نقلا عن التكميلة : ٣٨٤.
2) التكميلة : ٣٨٤.
3) راجع ترجمة الرباحي في: طبقات الزبيدي : ٣٣٥ - ٣٤٠.
وقد «لقي في رحلته أبا جعفر بن النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية» ١، ولم أعاد إلى قربة عمل فيها مودعا جاعلا من داره ملتقي للطلبة. ويعد الرباحي حلقة الوصل بين النوع القديم من المؤدين والاساتذة الإعلام أمثال القالي والزيدي وابن القوطية. فقد رفع مستوى التأديب واهتمام بال نحو ودقائق العربية اهتماما خاصا مقتبسا طريق أهل المشرق في هذه الناحية، وجمع في شخصه بين المؤدب العام والخاص فكان في الحالة الأولى يلتقي بالطلبة من كل صنف في داره، ثم اتخذ من بني حدير رعاة له، وأخذ يعمل عندهم فيؤخذ عنه كتاب سيبويه ويعقد كل جمعة مجلسا للمناظرة في هذا الكتاب. وقد وصفه تلميذه الزيدي فقال: «كان حاذا بعلم العربية دقيق النظر فيها لطيف المسلك في معانيها غاية في الإبداع والاستنباط» ٢، وناما تميز الرباحي فيما نصبه نفسه له لأنه اطلع على طرائف أهل الكلام، وحذق أصول المناظرة، وتمرس بعمل القياس. وكان يتخيل الأمور الدقيقة ويجيز في طليها، ولعل تدريسه لكتاب سيبويه عن طريق المناظرة قد فتح مجالا لنوع جديد من التأديب لم يعهد به الدارسين قبله، ذلك لأن الدارسين ظلوا بعيدين عن أصول المناظرة إلا في اليسير حتى ظهر ابن حزم، لكل هذا تعد الرباحي

(1) طبقات الزيدي: ٢٣٦.
(2) المصدر نفسه: ٢٣٥ - ٢٣٦.
معناه هاما في تاريخ اللغة والنحو بالأندلس، ونزي في صورة الحوار الستراطي الذي حفز أمثال الزبيدي وغيره إلى ما بلغوه من اتساع في الاقت ودقة في التأليف.

ومن هؤلاء الراحلين أيضا عبد السلام بن السمح الهواري (٩٨٧/٣٨٧). وقد سمع بمصر من أبي جعفر بن النحاس وابي علي الآدم اللغوي، وعاد إلى الزهراء يدرس كتب الآيات لسيموه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو وغيرهما، ومنهم محمد بن مفرج (٩٨٣/٣٧١) الذي لقي أيضا أبو جعفر بن النحاس وروى عنه تأليفه في أعراب القرآن في المعاني والناصخ والمنسوخ وغير ذلك، وكان أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس. ومنهم أحمد بن عبدالله بن الباجي (١٠٠٦/٣٩٦) الذي كتب في بيئة الشيوخ في الشرق ولما عاد استوطن اشبيلية، وكان يحفظ غزِي الحديث لأبي عبيد وابن قنينة. ومنهم محمد ابن أبي علامة البواب القرطي٤ (٩٧٦/٣٦٥)، أحدهم الزجاج وابن الاتناري وابن الحسن الخفش، وتوفي، وسمع من الخفش كتاب الكامل للمبرد.

(1) ترجمته في تاريخ ابن الفرضي ١٣٣٢.
(2) تاريخ ابن الفرضي ٢٤٨.
(3) المفصلة ١٦-١٧.
(4) المفصلة ٣٦٣.
وتدل أسماء الكتب التي قرأها هؤلاء الراحلون والعلماء الذين التقوا بهم أن الثقافة اللغوية النحوية بالأندلس كانت دائما تستغذى بما يجد في الشرق من اتجاهات ومؤلفات. ولو شئت أن استرسل في عد هؤلاء الراحلين لذكرت كثيرا من أسماء هؤلاء العلماء، ولكنني أنحو من حني التمثيل. وهذا لن يفوت علي ملاحظة أدركته حين حاولت أن أحصر تراجم اللغويين الذين وردت أساؤهم لدى ابن الترانسي وابن يشكو والابن الأبار، وذلك انتهى وجدت أن اللغويين الأندلسيين الذين رحلوا في هذه الفترة كانوا أقل بكثير من الذين عملوا في الحقل اللغوي دون أن يبارحوا الأندلس. وقد عدت من غير الراحلين سبعة وأربعين عاليا يقابله من الراحلين اثنا عشر. وإذا دلت هذه النسبة على شيء (مع الأذن فيها لبعض السهو والخطأ) فأننا تدل على أن الأندلس قد أصبحت قادرة على أن تخرج إعلاما في اللغة والنحو دونما حاجة كبيرة إلى الأخذ عن الشيخ في الشرق، بل إن أكبر علماء الأندلسيين من علماء اللغة، وهم الزيدي وابن القوتية، لم يكونوا من الراحلين في طلب العلم. ولعل ورود القالي إلى الأندلس قد ساعد في استغتال الطلاب عن الرحلة لأن الأندلسيين رأوا في القالي خالصة العلم اللغوي الشرقي، هذا إذا لم نحسب حساب الظروف السياسية كنشأة الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، وامتداد سلطتها على البر الأفريقي والبحر واعتبار ذلك من العوامل التي تناولها بعض الشيء، دون المغامرة بالارتحال.

165
(ب) وظل مؤدب العامة يمثل دوره الذي كان له في العصر السابق، ولكن ربما كانت هناك عوامل خاصة، لعلها كامنة في طبيعة الوضع الاقتصادية، حيث الحرص على تأديب أولاد الخاصة أظهر في هذا العصر، ويساوي في القيم بهذه المهمة عالم بارع مشهور مثل الزيدي الذي اتدهب المستنصر لتأديب ابنه، مع سائر المتلكسين عن هذه الطريق.

مثلاً: محمد بن خطاب النحوي الأردي الذي كان يختلف اليه في علم العربية أولاد الآكابر ودؤوي الجلاله، وبشار الأعمي الذي اشترك في مناظرة صاعد، وأدب أبا جعفر بن عباس الوزير بالمريه، وحسين بن نصر ابن العريف الذي استأدبه المنصور بنه وقربه من صحبته، وابن أبي الحباب النحوي معلم المظفر عبد الملك بن المنصور العامري وغيرهم. إذ ان هؤلاء الى جانب الحظوة الخاصة التي كانوا ينالونها في تأديب أولاد الأعيان، كانوا يجدون رزقا مكنفولا ميسراً، وهو رزق يتضمن – أحياناً – ثلاثة أمور: الراتب والحملان (أي ما يحمل الى المؤدب من هدياً) والعلوقة.

107

1. حدوث المقتبس: 50.
2. التكملة: 43.
3. تاريخ ابن الفضي 1: 125.
5. انظر المقتبس الورقه: 43 عند الحديث عن تعيين احمد بن محمد ابن يوسف مؤدبلا لامير هشام ابن الحكم المستنصر.
2 - المظهر الكبير

أ - ظهور الدارس اللغوي المتخصص

وفي سبيل أن تتصور المدى الذي بلغته ثقافة الطالب اللغوي من
الإنسان تخذ أحمد بن أبان بن سيد مثالًا على المثقف اللغوي حينئذ
الذي مكتبه ثقاًته من ان يصبح عالما مؤلفا، فنجد انه قد قرأ الكتب
الآتية على استاذه التالي: قرأ كتب القالي نفسه، مثل: كتاب النوادر
وذيله، وكتاب البراء، وقرأ الغريب المصنف لأبي عبيد، واللافظ
ليعقوب بن السكيت، وأصلاح المنطق له، وأدب الكتاب لابن قتيبة,
واختيار فسح الكلام لعبل، ونحن العامة للسجستاني، والتذكير والتأثيث
لابن الباري، والجهزية في اللغة لابن دريد، والمقرص والمحدود لابن
الباري، وكتب فلهم وأفلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب
الإنسان وكتاب الطير لابن محترم، وكتاب المثل لقطر، وكتاب الملاح
لابن دريد وكتاب معاني الشعر وكتاب الالوان له أيضا، وكتاب نوادر أبي
زيد الانصاري وكتب الأحرى مثل الهمز والمصدات واللغات والمقاطع
والامثال والشعر والنباتات الخ ...، وكتاب أنهض في اللغة لنفطية، وكتب
الأصمعي مثل كتاب الالبل وكتاب الشاه وكتاب خلق الفرس وكتاب لحن
العامة وكتاب خلق الإنسان وغيرها، وكتاب الاجناس لعالم الأصمعي،

ترجمة ابن سيد في: بغية المتصور: 159، الصلاة: 14، بغية الوعا:
126، معجم الاباء: 2، 2.03.0.12، كشف الظنون: 1121، روضات
الجنات: 15.

108
وكتاب الفرق لثابت بن أبي ثابت وكتاب ابن السكينة المختلفة وكتاب ابن عبده كتاب الاضداد للتوزي، وغير ذلك من الكتب. ولولا أن ابن خير روى هذه الكتب عن طريق ابن سيد لما استطعنا أن نتصور مبلغ ما كان يحصله دارس اللغة يومئذ. ولعل هناك كتب أخرى لم يروها ابن خير، ولذلك فإن اسماءها لم ترد في هذا الثابت.

وهذه حقيقة توميء إلى ظهور الدارس المتخصص في اللغة الذي قد يطلب علوما أخرى ولكن اللغة تصبح هي ميدانه المفضل، وقد أصبحت الكتب التي يدرسها، بعد اتساع نطاق التأليف في الشرق وكثرة الكتب التي جاء بها القالي، لا تحدد بكتاب أو كتابين أو بضعة كتب كما كان الحال في العصر السابق. وبالمقارنة بين العصرين نرى أن المشغلين بالحديث - في الأكثر - ابان القرن الثالث هم الذين تولوا تدريس اللغة أو التأليف فيها، مثل: قاسم بن أصبغ والخشني، فكانت اللغة فرعا من الثقافة الدينية لديهم. أما في القرن الرابع فقد وضعت خطوط الاتجاه اللغوي وضوحا ساطعا وأصبحنا نستطيع أن نشير من بين المؤدين والمدرسين إلى طبقة من العلماء المتخصصين. وهذا كله نجم عن الظروف

1) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير.
2) ليس من قبل التفكرة أن نلحظ أن ثلاثة من هؤلاء المتخصصين شغل كل منهم منصب "صاحب الشرطة" في فرتبة وهم الزيدي وابن سيد، ونحن اليوم لا نستطيع أن نربط بين طبعة التخصص اللغوي وهذا المنصب، ولكن احتلالهم له قد يشير إلى خصائص فارقة في الشخصية في الاتجاه الثقافي.

109
التي خلفتها تلك العوامل المذكورة في صدر هذا الفصل، مضافًا إليها تلك الرغبة الخاصة التي حفزها رجل فذ مثل الرباني في مطلع هذا القرن، ثم زادتها اكتظاظ وتوهج تلك الهالة من المجد اللغوي المحفوف برعاية الدولة، المتمثلة في شخص القالي. ومن حسن المصادفات أن كان القالي بكل ما يتميز به من علم وخلق هو الذي وقعت عليه مسؤولية هذه اليقظة اللغوية في الأندلس، فقد أثبتت الأيام من بعد أن ليس كل مهاجر يحظى برعاية الدولة يستطيع أن يبلغ شأن القالي في هذا الميدان. نعم كانت البذرة الطيبة التي ألقاهها الرباني في حقل اللغة قد أعطت شرها قبل قدوم القالي في شخص الزبيدي وابن القوطية ولكن القالي قد كفل التطور والاستمرار والتوسع لهذا الذي وضع الرباني أصوله.

والى جانب هذا التيار الثقافي التخصصي فلت اللغة تدرس باعتبارها فرعاً مكملًا مسانداً لغيرها من العلوم الإسلامية كالفلسفة والحديث والقراءات وما أشبه بله لعل ليس من المستغرب يوممذ أن نجد عدداً كبيراً من ذوي الاتجاه العلمي والهندسي والعددي ممن أحسنتوا الاعتدال بالثقافة اللغوية ووصفهم المصادر بالإمامت فيها. وقد يكون من المفيد أن نقارن بين نوع الثقافة اللغوية التي حصلها دارس متخصص مثل ابن سيد وبين ثقافة عالم آخر مثل ابن الفرضي، خصوصاً فترة من حياته للدراسة اللغة دون أن يبارح اتجاهه الكبير وهو علم الحديث. فمن بين الكتب ذات الطابع اللغوي التي يعدها ابن الفرضي بين ما درسه: نوادر علي بن عبد العزيز وكتب
الأبيات لسبيعه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو، قرأ هذه على عبد السلام بن السمك البيواري 1 وقرأ على ابن القوطي كتاب الكامل للمراب 2 وقرأ على مجاهد بن نسف كتاب شرح غريب الموطأ لابن حبيب في جملة كتب أخرى في غير موضوع اللغة 3، وقد يكون ابن الفرضي قرأ في اللغة كتب أخرى لم يجد مناسبة لذكرها، ولكن علم اللغة بقي لديه علمًا فرعيا.

ب - المناظرات اللغوية:

ومن كل هذا يمكن أن نخلص إلى أنه رغم قلة الرحلة في طلب اللغة بالنسبة للعصر السابق، فقد تميز هذا العصر في الميدان اللغوي بسماة فارقة، منها: اتساع نطاق الدراسات اللغوية واتساع ثقافة الدارس اللغوي وتحصيله، وبرز دور المؤدب لأولاد الخاصة، وظهور العالم اللغوي الإندلسي الذي يقف على مستوى أكابر علماء المشرق. وقد ظهر مجال جديد للنشاط اللغوي إلى جانب حركة التدريس والتأدب عامة. وتلك هي مجالات المناظرات اللغوية، وهي مجال جديد لم يتسر ظهوره في القرن الثالث كمناظرة لغوية تمت بين الزبيدي والحاجب المصحفي في مجلس الحكم المستنصر (296/673). وهي بالمناقشة العلمية أشبه

(1) تاريخ ابن الفرضي 1: 262 - 263.
(2) المصدر نفسه 76.
(3) تاريخ ابن الفرضي 2: 148.
(4) المقتبس: الورقة: 8، وانظر ترجمة الزبيدي في ما يلي من هذا الكتاب.
ولعل أكثر المناظرات التي تم إرسالها إلى الدور العامي بتشجيع المنصور نفسه والأخبار التي وصلتنا تصل بصاعد نفسه في مجلس المنصور، وقد مر بنا مثل لها، وأذكر أيضا من أمثلتها مناظرة قام بها قائد الحكمي الخامد المعروف بالصغير والخازن وبين صاعد، كانت الغربية فيها لقاتن. وهو رجل صقلبي أقر له أبو بكير الزبدي نفسه بالبصر في علم اللسان واللغة وكان ضابطا لكتب اللغة قادما عليها، راجع العقل واسع المعرفة فصيح اللهجة، ولما تأصلت (1399 / 2009) بعثت في ترجمه كتب مطبعة جلية مصنحة. وليس لنا أن ننسى أن الرجحي هو فتح باب المناظرة في كتاب سيوبيه، كأسبوع في غيره من شؤون العلم، لا يقتصر في مناظره على اللغة وحدها بل يناظر أهل الفقه وغيرهم.

ولا يفوتنى هنا أن أشير إلى أنه قيل ان حظي كتاب علمي بهم حظي به كتاب سيوبيه من اهتمام ودراسة، فقد مر بنا كيف أن ابن السمح عمل على إبنته كتابا خاصا وكيف أن الرجحي حمله رواية عن ابن جعفر النحاس، وكان يناظر فيه. وكان ابن لويد النحوي يختصه في كل خمسة عشريوما. وألف فيه ابن نصر هارون بن موسى النحوي كتابا سماه

(1) انظر ترجمته في الدليل والتكميلة: 261، وراجع الدفري 4/241، ونفح الطب: 81، وقد جعل رفاته عام 1912/1.1.1 وشترك في مجال هذا النشاط اللغوي بحثنا في نسبته من طرح السؤال الذي طرحناه في الفصل السابق. أعني مدى مشاركة غير العرب في النشاط اللغوي، فقد كانت موجة التمريض في هذا العصر قد أصبحت عامة شاملة.

(2) الصلة: 53.
عيون كتاب سيبويه ١. فلم يكن كتاب سيبويه في الأندلس معتمد الدارسين والمناظرين فحسب، بل كان مجوراً لمؤلفات كثيرة في هذا العصر، وفي ما يليه من عصور.

ج- تنوع حركة التأليف واتساعها:
تنوعت حركة التأليف واتسع مداها واشتملت على منجزات كبيرة ظلت دائماً صورة من صور الأسامه القيم الذي يحتل مكاتبه في تاريخ اللغة العربية عامة، لا في الأندلس وحدها.
وها هو ثبت لهذه المؤلفات، وبين نواحي النشاط التي اشتمل عليها هذا الجانب الثقافي الكبير ٢:

١- الزيدي:

١- الابنية.
٢- استدراك الغلط الواقع في كتاب العين.
٣- الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين.
٤- رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه من العين.
٥- لحن العوام.
٦- مختصر لحن العوام.

١- فهرسة ابن خير : ١٠١.
٢- ساعدت الي دراسة بعض هذه المؤلفات في جزء تال من هذا الكتاب،
وإذا تحاول هنا أن أعدها لاستنتاج منها طوبى عامة.

الحركة اللغوية ٨٠، ١١٣
2 -Pel - elqotati:

11 - elbaru fi al-lugga.
12 - al-mqasruu walmuudidu.
13 - al-muwadur wamalyi.
14 - dill al-muwadur.
15 - fulu la'aafalu.
16 - aafelu min kama.
17 - al-ibl wntajayha wajmum ahwaali.
18 - Hal al-anisas walmulik wshiaytah.
19 - Tfsir al-qsaaid walmulqata wTfsir 'arabah w'maniyaha.
20 - Matfaal al-fursan.
21 - Fursasa 'Abdi al-baghdadi.

3 - Abi al-qotati:

22 - al-lanfal.
23 - Shrh sadr adab al-kitab.
4 - سعيد المعافري : (١٠٠٠ /٤٠٠) ـ

5 - بسط لكتاب الأفعال الذي ألفه ابن القوطية. (ومنه نسخة مصورة بالقاهرة ثاني ٢ : ٢٥٣ عن مخطوطة كوريللي ١٥٨ – ١٥١٩).

5 - عبد الوكيل بن طريف:

6 - له كتاب حسن في الأفعال ٣ (تلميذ ابن القوطية).

6 - صاعد:

7 - سعيد بن القزاز:

8 - كتاب في الرد على صاعد البغدادي في متركب كتابه في النوادر والغريب المسمى بالقصوص.

8 - أبو القاسم بن الريفه (١٣٠٠ /٣٠٠) ـ

9 - كتاب يشتمل على مسائل في النحو اعتبر فيها على أبي جعفر بن النحاس.

_____________________________
(١) المصدر : ٢٠٦ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ – ٢٨٢ - ٢٨٣.
(٢) المصدر نفسه : ٣٤.
(٣) فهرسة ابن خير : ٢٥٦.
(٤) المصدر : ٠.٢.
(٥) جذوة القبيسي : ٣٨٣ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ ، ١٧٣ (الترجمة العربية).

١١٥
30 - رسالة في اعراب قولهم: "ان الضرائب الشائم والده كان زيدا"، يستنبط فيها ثمانيناية ونيفا وعشرين وجا. وتدل هذه الرسالة القصيرة على تحول الأعراب من مجموعة من القواعد التي تضبط اللغة إلى رياضة ذهنية يبحث فيها عن الاحتمالات المختلفة.


9 - احمد ابن اليسع.

33 - له تأليف في اللغة رآه ابن الآبار ولكنه لم يذكر اسمه.

10 - عبد الله بن حسين ابن الفريبي؟.

33 - ألف في الانواء كتابا مفيدا.

11 - دريود (عبد الله بن سليمان الشهرور بدرود).

43 - له كتاب في العربية.

(1) الرسالة مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم 151 نحو. واليك بعض عباراتها: "يجوز أن تنصب الضرائب والشائم بالضرائب، والده بالشائم. وزيدا خبر كان. وفي كان ضمير يعود الى الضرائب، وهم اسم كان. وكان وما عملته فيه خير أن ويجوز أن ترفع الوالد بالابتداء. ويجوز أن ترفعه بأنه خبر ابتداء مضمر. ويجوز أن تنصبه بإضمار.."

(2) الكتللة: 17.

(3) المصدر نفسه: 791.

(4) المصدر نفسه: 778.
12 - محمد بن إبان بن سيدا :

35 - كتاب العالم نحو مائة مجلد مرتب على الإجناس بدأ بالفقه
وختم بالذرة.

36 - كتاب العالم والمتعلم مبني على المسألة والجواب.

37 - شرح كتاب الاحتكش.

12 - عبيد الله بن فرج الطوطاليقي : (244/386 - 236/996).

38 - كتاب اختلاف لغات العرب.

فيه وثمانون مولعا تمثل اتجاهات مختلفة في النحو واللغة
معا. منها: أ- الاتجاه المعجمي، الذي يمثل ما دار حول العين من
مؤلفات وردود واستدلالات، ثم البارع وما دار حوله، وكتب العالم
الذي يشبه أن يكون معجما حسب الموضوعات. ب- كتاب واحد في
لحن الموام، وهو لاحق من بعض نواحيه بالتأليف المعجمي. ج-
كتاب واحد في الإنمواء وهو أيضا لاحق بالتأليف المعجمي. د- كتب
النواور والامالي، وما اثارت من ردود عليها. ه- كتب الافعال، وهي
تمثل الاتجاه الرئيسي لدى ابن القوطية وتلامذته. و- البحث في المتصور
الممدد، وهي تتم مما بدأه ابن ولاد بمصر. ز- دراسات نحوية وشروحة
على بعض كتب النحو. ح- كتاب واحد في تراجم علماء النحو واللغة،
وهو ذو صلة جانبية بالدراسات اللغوية. وإذا تأملنا هذه الاتجاهات

(1) تاريخ ابن الفرضي 2: 69، جدوع المقتبس: 281، الصلاة 147.
وجدنا الاتجاه المعجمي أغلب عليها كما وجدنا هذا الاهتمام بالاستدراك والشرح والاختصار لبعض الكتب المشرقية.

وكل هذه الاتجاهات تبين إلى اي حد كان التأليف في الأندلس في هذا العصر اما متأثرا بالتأليف اللغوي في المشرق ناسجا على منواله، أو مستثنا به على نحو من استكمال النقص فيه أو التلخيص له أو الرد على بعض ما جاء فيه. ولكن هذا لن يجعلنا تقلل من قيمة هذا الامهام الأندلسي بأي حال، فأن التأليف في هذه الناحية سواء أكان في المشرق أو المغرب كان بناء على أسس سابقة. وكتاب العين وجمهرة ابن دريد يستثيران إلى تأليف "البارع" وكتاب للعين العامة لابي حاتم السجستاني يحفز الزبيدي إلى تأليف كتابه بهذا الاسم، وكتاب فعلا وأفعلت انا أساسه كتاب بهذا الاسم نفسه للزجاج.

وأذا بحثنا عن العوامل الكامنة وراء هذا الاتجاه التأليفي وجدناها تمثل:

(1) الميل الى الاستقضاء: وبدافع من هذا الميل جاءت أكثر كتب القاري، مثل البارع والقصور والمجدود، وكتاب السماء والعالم لابن سيداء، وكتاب الاستدراك على العين للزبيدي، فكلها انا تمثل توسعا واستقضاء لما ألفه المشارقة في هذه الموضوعات اللغوية.

(3) الميل الى الاستطراف: وعن هذه الطريق تعلم اللغة أيضا،
وكتب النوادر مثل أمالي التالى والقصص لصاعد، أنا هي مستطرات من الاعشاع والأخبار لا يهم مدى الصحة في نسبتها بمقدار ما هي مجال تنقررب الفوائد اللغوية عن طريق الخبر الطريف أو النادرة الطريفة.

(3) الميل الى المحاكاة: فكثير من كتب الاندلسيين انا كانت محاكاة لكتب مشرقية. فذا أفلف أبو حاتم السجستاني كتابه في لحن العامة، أخذ الزيدي نفسه بتؤلف في مثل هذا الموضوع يأتي فيه على لحن العامة بالاندلس. وهذه المحاكاة لا تبطل الأصالة ولا تنفيها.

(4) الميل الى تنقيحة اللغة بدائع من روح المحافظة عليها: وهذا ما يمثله أيضا كتاب مثل لحن العوام للزيدي.

(5) الميل الى الشرح والتبسيل خدمة للدارسين. فمن أجل الغاية التدريسية وضع الزيدي الواضح في النحو، وشرح ابن القوطية صدر أدب الكتاب، وضبط المعاوقي كتاب أستاذه ابن القوطية في الأفعال، وشرح ابن سيد كتاب الأخفش، ووضع كتابه العالم والمتعلم على طريقة تعليمية خالية من المسألة والجواب.

(6) تصحيح الخطأ أو ما يظن أنه خطأ، وهذا يشمل كتب الردود، وهي توجيه بالتحدي مثلا تنتمي الميل الى المحاكاة على سلامة اللغة وصحتها وصحة الاستنتاجات النحوية. ومن ذلك اعتراضات ابن العريف.

(1) الصلة: 209.
على ابن النحاس في مسائل من النحو، ورد القزاز على صاعد، وانتصار الزبيدي على من انتقد كتابه «مختصر العين».

وانغنى عن القول أن الكتاب الواحد يقف وراءه غير عامل واحد من هذه العوامل في بعض الأحيان، وفي كل هذه العوامل غاية علمية تزيد أو تنقص بمقدار حظها من الطاقة الموضوعية، وتبيان هذه الكتاب من حيث الأصالة حسب المجال نفسه وقدرة المؤلف وخلاصه للغاية العلمية.

4- انصف الاندلس في الميدان اللغوي

بعد كل هذه الصورة الغنية في حقل التأليف يستغرب الدارس كيف تصدر في أواخر هذا القرن أو في مطلع القرن التالي رسالة ابن الربيء الزيوي (أي القيرواني) تعدد حكما جابرلا على التأليف عامة في الاندلس وعلى هذا النشاط اللغوي خاصة. فقد كتب ابن الربيء هذا رسالة إلى أبي المغيرة ابن حزم (ابن عم الفقهيه أبي محمد) يقول فيها: «وعلماءكم - مع استظهارهم للعلوم - كل امرء منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزوجه، يخفان صنف أن يعنف، وان أفل أبد أن يخالف ولا يوالف... فاذذا اخترمته منيته دفنه بهدبه وعلمه فمات ذكره وانتقطع خبره».

وهذا اتهام بأن الاندلسيين لا يزهرون فكيف يمكن أن يصدر هذا الاتهام عن رجل قريب نسبيا من الاندلس؟ أكانت الكتب الاندلسية لا تتجاوز أكان هذا جعلنا من ابن الربيء نفسه. إنه يقول قاطعا على

(1) نفع الطيبة 153 - 154
صاحب طريق الجواب: «فان قلت أنه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبنا لكنها لم تصل اليانا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وينكم غير رواة راكب أو رحلة قارب، لو نفى من بردكم مصدر لأسمع من بلدنا في القبور فضلا عن في الدور والقصور.» 1. ألم تخرج مؤلفات الزبيدي والثناي وابن القوطية وابن سيد وغيرهم - دع عنك تلك الكتب الكثيرة التي ألقت في موضوعات أخرى - خارج حدود الاندلس؟ هذا أمر مستغرب حقا ورسالة ابن الزبير تبعث على الحيرة لأنها تصور الاندلس في عزلة عما حولها رغم الهجرة الكثيرة المستمرة منها واليها.

ولما رد ابن حزم القبيه على هذه الرسالة وجد تراها كثيرا يشتهد به على رسوخ قدم الاندلس في ميدان التأليف، ومن المفيد أن ننقل هنا ما قاله في باب اللغة فانه يصور الجنبات البارزة في الصورة اللغوية لهذا العصر، ويستطيع حكم عالم في ما بلغته الاندلس في تراثها اللغوي:

» ومنها في اللغة كتاب البارع الذي ألفه اسماعيل بن القاسم يحتوي على لغة العرب، وكتابه في الملسور والممدوش والممؤن حز في بابنه، وكتاب الإقامة محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبهين، فلم يوضع في فنه مثله، وكتابٌ

المصدر نفسه: 153.

1) ألحظ أن ابن حزم لم يذكر اسم الكتاب فالظاهرة أنه لم يطبع عليه، ومن المستبعد أن يكون نسي اسمه أو فعل، وقد سمى ابن خير "تقيق العين في اللغة".
جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني في اللغة لم يمؤلف مثله اختصارا واكثرا وثقة نقل وهو أظن في قيد الحياة و... ومنها كتاب أحمد بن إبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب «العالم» ١ نحو مائة سفر على الاجناس في غاية الابداع، بدأ باللفظ وختم بالذرة، وكتاب النوادر لابي علي اسماعيل بن القاسم وهو كتاب مبار لكتاب الكمال لأبي العباس المبرد ولعمري لن كان كتاب أبي العباس أكثر نحا وخيرا فان كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعر، وكتاب «القصص» لصاعد بن الحسن الربي وهو جار في مضمار الكتابين المذكورين، ومن الأفلاج تفسير الحوفي لكتاب الكساي حسن معناه، وكتاب ابن سيد في ذلك المبوز بالعالم والتعلم وشرح له كتاب الأخفش» ٢.

(١) أكثر المصادر على أن هذا المؤلف لمحمد بن إبان. انظر هذا الكتاب ص ١١٧.
(٢) نفح الطب : ١٦٥ - ١٦٦.
الفصل الثالث

أبي الوليد البكر

 أبو محمد بن الحسن النفيسي

نجوي النفيسي (1 - 739)

أولاً - أبو بكر محمد بن الحسن النفيسي النجوي اللغوي (1 - 739)

ومؤلاته:

ابو بكر هذا عربي الأصل يرجع الى اليمن، ولقبه الزيدي، وهي قبيلة كبيرة من اليمن. هاجر أهله الى الاندلس من حمص الشام،

* ترجمته في: جودة القببيسي 43، بفية اللحميس 56،
تاريخ ابن الغرير 2: 92، الغرب 1: 105، يوسف الدهر 37،
قواس الاعيان 4: 7، انطاه الرواة 1: 109، معجم الادباء 181،
الواني بالفيات 4: 180، بغية الوعة 42،
روضات الجناح 186، برولمان 2: 28 (الترجمة العربية)
واستوطنوا حمص الأندلس، أي الشبيلة، وفيها على الأرجح كانت ولادته. إذ تتقق المصادر أنه اشبيلي انتقل عن الشبيلية إلى قرطبة. وقد ذكرت هذه المصادر أنه عاش ثلاثين وستين سنة أي أنه ولد حوالي 968 / 362، وهذا غير معقول لأن هناك رواية أخرى تقول: «وكان الزبيدي أماماً في الأدب، ولكنه عرف فضل القالي فمال الهم وأقر له»؟ 2.

ومن ولد سنة 968 / 1316 يكون عمره يوم وفادة القالي أقل من خمسة عشر عاماً، ولا يكون أماماً في الأدب. ولذا كان لزاماً علينا أن نشك في أحد الأمرين، أوهما: تقدير عمره (أما سنة وفاته فإنها صحيحة)، وثانيهما، تلك الرواية التي تقول بامامته في الأدب يوم ورود القالي، وأراني أميل إلى الشك في الأول، وعلى هذا الأساس ابني تائج دراستي لحياة الزبيدي.

ولا ريب في أنه طلب العلم أولاً في بلده ثم ارتحل إلى قرطبة فدرس فيها على قاسم بن أصفح وعلى أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي ومحمد ابن يحيى الرباحي. أما استذاته الرابع سعيد بن فحلون فهو يهاني، ولا ندري ألقبه بقرطبة أم بيجانة؟ وبعد أن درس على هؤلاء الأئمة كر راجعاً إلى بلده فأقام فيه حتى أخذ الحكم يتجه نحو استقدام العلماء من بلاد الأندلس إلى قرطبة فكان الزبيدي فيمن استدعاه الحكم "لفضله.

(1) وفيات الأعيان 4: 8، الواقي بالوفيات 2: 351.
(2) وفيات الأعيان 4: 9، ابنه الرواة 3: 9.1.
(3) جدوى المقتبس: 156 - 156، معجم الأدباء 7: 30.
والاستفادة منه ١. ومن المرجح أن يكون هذا الاستداع قد تم قبل وصول القالي إلى قرطبة عام ٥٣٣/٩٤٢، وأنه كان بين العلماء الذين استقبلوا ابا علي، وكان من الكتب التي رواها عن القالي كتاب النوادر والذيل وفعلته وأفعلته كتاب الإبل ونتاجها وجميع أحوالها وكتاب حلي الإنسان والخيل وشيائها، وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب تفسير القصائد والملقات وتفسير أعرابها وكل ذلك من تأليف القالي. كما روي نوادر أبي زياد الكلابي وزوجته في الإضداد لثعلب والمفضلات وشعر عشي بكرو مقصورة ابن دريد، وهذه المرويات هي ما اعده إلى ابن خير عن طريق الزبيدي، ولكننا اعتقاد أن ما حصله الزبيدي أكثر بكثير منها، وأنه لم يكن يقل في سعة اطلاعه اللغوي عن المدى الذي رسمته حين تحدث عن أحمد بن أبان بن سيد١. وقد ثبت الحكم باستبقاء الزبيدي في قرطبة حتى أن ذكر مرة منعه من المغادرة إلى أهلها باشبيلة، حينما استأذنه في ذلك، ويدعو عنه على الاقامة في قرطبة من بعد.

وأما كبر المؤيد هشام اضطلع الزبيدي بتأديبه، فقد أرفع ابن حيان

١(١) اتباع الرواة ٣٨٩١.

٢(٢) هذا التقدير راجع إلى الفرض الأول، إما إذا قدرنا أن الزبيدي كان صغير السن يوم قودم القالي فعن ذلك أن صلى بقرطبة تمت في تاريخ متاخر كثيرا، وأن ذلك لم يتم قبل عام ٥٣٥/١١١ على وجه التDeposit.

٣(٣) راجع صفحات متفرقة من ابن خير.

٤(٤) جذوة المقتبس: ٥٠٠.
هذه الجادة في المتتبس تحت عنوان «ذكر إدنا الزبيدي» فقال: «وفي يوم الأحد للنصف من ذي القعدة منها (إي 326 / 937) فقد العهد إلى محمد بن حسن الزبيدي ثم الابحيلي النجوي باتجاز مدينة الزهراء لمجالسة الأمير أبي الويلد هشام ابن أمير المؤمنين ومماحته للنظر في العربية وقد اعتقدت لنزوله فيها الدار التي كان يسكنها صاحب القرة أحمد بن سعيد الجعفر في حياة والده، وأجريت الارزاق الواسعة عليه واستقبل في هذا اليوم بصلة سنة وحلقة فاخرة، جزاء على الذي تولاه من اختصاره لكتاب العين للخليبل بن أحمد، وأقامته على الترتيب والتضييف. اللذين جدهما له أمير المؤمنين فيه، فارتضى عمله فيه عند تصفحه له وأجيز صلته وأدنى مكانه وأوصله إلى نفسه يومه هذا، ففاوضه في عمله الذي يرع فيه، واستثار له من غوامض فنونه، وناطره بين يديه يومئذ الوزير الكاتب الأديب جعفر بن عثمان في غرائب من فن النحو واللغة والشعر، فتباريا في الشأو وتسابقا في ميدان الإصابة، فسر بما فيهم (١) المعرفة، وانتظم اتصال الزبيدي من يومئذ بالخليفة الحكيم، وابنه هشام الأمير ونال حظوة».

وقد تولى الزبيدي القضاء في قرطبة، يقول ابن الفرضي: وولاه.

ربما كانت التصنيف.

(1) المقتبس: الورقة 80.
القضاء بموضوعه، يعني الخليفة الحكم، ومعنى هذا أنه كان قاضيا في
المجلة التي يotecن فيها، ولذلك لا يرد اسمه بين القضاة المشهورين في عصر
الحكم، فلما توفي الحكم ولاه هشام الشرطة. وقد جعلته صلته بالدولة
من أهل الثراء حتى أنه «طالب دنيا عريضة»، وحصل له عدة ضخمة لسما
بنوه من بعد زمانا» ۲. ويبدو أنه عاد في أواخر أياه إلى اشبيلية حيث
توفي فيها سنة ۳۸۹/۹۸۹. وتختلف المصادر بين سنة ۳۸۹ و۳۸۰.
۹۹. في تاريخ وفاته.
وليس في المصادر أخبار تستمد منها احكاما على شخصية الزبيدي
ولكن اضطلاعه بالقضاء أولا ثم بولاية الشرطة ثانيا يدل على قدرته
الادارية مثلما يدل على تضعه في الشريعة. ولعل كتابه الذي ألفه في الرد
على ابن مسيرة يدل على تمسكه بالسنة والمحافظة الدينية التي كانت تؤهله
لذاك المنصب القضائي. أما غيرته على اللغة فشيء تشهد به مؤلفته
نفسها، ودقته الصارمة في تعق الاخطاء. وأما علمه فقد كان العلم العسير
الذي اطبى المصادر في الثناء عليه حتى قيل فيه: «كان أوحد عصره
في علم النحو وحفظ اللغة، وكان أخير أهل زمانه بالاعراب والمعاني

(۱) تاريخ ابن الفضلى ۲: ۹۲، وفيات الأعيان ۴: ۷۶.
(۲) وفيات الأعيان ۳۴: ۷، وانظر أيضا تاريخ ابن الفضلى ۲: ۹۲.
(۳) وفيات الأعيان ۴: ۸.
والتوادر ، إلى علم السير والأخبار ، ولم يكن بالاندلس في فنه مثله في زمانه » وقد ترددت هذه الرواية بنظر أو آخر في الكتب التي تزعمت له . ويدل تلمذته للقالي واتسابه إليه على تواضع علمي أصيل فيه والا فقد كان غنيا بنفسه عن أن يطلب العلم مستأنفا يوم وصل القالي إلى قرطبة .

وقد كان الزبيدي شاعرا يذهب في شعره ناحية حكمة علمية أحيانا. وتغلب على بعض شعره معرفته اللغوية كقصصته التي رثى فيها القالي ، فهي قصيدة « جزئة الالتفاظ كثيرة الغريب صاغها صوغ فحول العرب »، وضمنها قطعة من غريب كلامهم » ² . وله مقطوعات ضمنها بعض مشاعره الذاتية كتلك التي كتبها إلى جاريه سلمى حين لم ياذن له المستنصر بالعودة إلى اشبيلي ومطلعها:

لا بد للفين من زماع
ويحث يا سلم لا تراعي

مؤلفاته في النحو واللغة:

لزبيدي مؤلفات جمة في النحو واللغة ، أجمل القول فيما لم يصلنا منها وما يتح لي أن أطلع عليه ، ثم أعود إلى دراسة ثلاثة من كتبه

(1) راجع نيت هذه الكتب في أول ترجمة الزبيدي .
(2) يومنا الدهر ٢ : ٧١ ، ومطلع هذه القصيدة:
تالله لا يهقر لصرف النوى ذو جسد في رأس نيق منيف
(3) انظر جدعة المفتيس ٤٥ ، والمصادرين الأخرى .
الهامة.

1 - كتاب مختصر العين، رواه عنه اسماعيل والد اللغوي المشهور ابن سيده، وأبو بكر عبادة بن ماء السماء الشاعر، وعن طريقهما انتدل روايته إلى ابن خير. وقال فيه الفتاح: "وله اختصار العين للخليل وهو مصدم النظير والثيل". وكان هذا الكتاب من الكتب التي يتناقص فيها أهل المغرب لأنه "اتبه باختصاره وزاد فيه ما عساه كان مفتراً إليه".

وهو كتاب ألفه للحكم المستنصر وقائ اعداده.


(1) من هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد في الرق بخزانة التروبين بفاس 1246 - 1247 ( مجلة معهد المخطوطات 5 : 40 ) ونسخة في القاهرة ( 1856 ، 1857 ) لعنة ونسخة بمكتبة فيض الله رقم : 409 ، ونسخة في برلين ، 1905 - 1906 - 52 ، ونسخة في باريس ، 1474 ، ومدرسة ثالث : 419 ، وكوبيرلي : 1574 ، ( أنظر بروكلمان 2 : 133 ) .

(2) فهرسة ابن خير : 350.

(3) مملوك الاثنين : 44 ، ونفح الطيب 6 : 250.

(4) معجم الأدباء : 181 : 181 .

الحركة اللغوية : 129
لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفية والإبداعية المختلفة وفضلوه أيضاً على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتاب اللغة، مثل جمهرة ابن دريد ... ومذهب ومذهب شيخي أبي ذر الخشني وأبي الحسن بن خروف أن الزيدي أخل بكتاب العين كثيراً لحذف شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب».

ويمكن أن أجمل ما صنعه الزيدي في هذا الكتاب بأنه حذف المواد المصحفية أو المشكوك فيها، وضع المادة في موضعها الصحيح، وأثبت الاختلاف في اقوال اللغويين الآخرين إلى جانب ما ورد في العين، وحذف المصادر والأفعال المضارعة والإبداعية والقياسية واختصر ما في العبارات التفسيرية من طول. وبالرغم من أنه يضع مختصراً فقد زاد بعض الالقاح والمواد التي لم يتضمنها الكتاب الإصلي.

2 – الاتصال على من أخذ عليه في مختصر العين.

3 – المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي على كتاب العين للخليفة بن أحمد رواه عنه عبادة بن ماء السماء.

(1) الزهر ١٣٤. 
(2) عن المعجم العربي : ٢٨٤ - ٢٨٦ بابيجز . 
(3) لحن الموال : ٢٨٤ . 
(4) فهرسة ابن خير : ٣١١ .

۶ـ الاتصال للخليل فيما رد عليه في العين. وقد نقل السيوفي في المزهر ما سماه مقدمة الاستدرال، ولكن الزبيدي يشير في تلك المقدمة إلى مهاجمة الناس له فيما أخذه على الخليل فما أحرى أن تكون هذه المقدمة مقدمة للاتصال. وقد جاء فيها: "وصل اليـنا ـ أيدك الله ـ كتابك تذكر فيه ما أولع به قوم من ضعفة أهل النظر من التحامل علينا، والتسرع بالقول فيننا بما نسبوه اليـنا من الاعتراس على الخليل بن أحمد في كتابه والتخطئة له في كثير من فصوله، وقلت إنهم قد استمروا جماعة من الحشوية إلى مذهبهم وعدلوا بهم إلى مقالتهم بما ليسوا به وشعروا القول فيه، وسألت أن احـم ما نجم من أفكم وارد ما ندر من غريب السنتهم بيان من القول مفسح واحتجاج من النظر موضح. وقد كنت، ايدك الله، في حصالة تسيزك وعظيم العمة عليك في نظرك، جديراً ان لا

(۱) نوات الوفيات ۷: 19۳.
(۲) انتظر المزهر ۲: 19۶- 19۷.
تخرج على قومهم بالحال التي ذكرت، وأن يقع لهم العذر لديكم بوجه
الخمة منها: تخلفهم في النظر وقلة مطالعتهم للكتب وجلبهم بحدود الأدب.
مع أن العلة الموجبة لقاتلهم والباعثة لسرعهم على الحسد الذي لا يداوي
ستقمه ولا يوسي جرحه، فقد قال الحكيم:

كل العداوات قد ترجى افتها الا عداوا من عادالك عن حسد
أوليس من العجب التعجب والنادر الغريب أن يتوعهم علينا من به
مسكة من نور أو رمء من فهم تخطئة الخليل في شيء من نظره والاعتراض
عليه فيما دق أو جل من مذهب .. الخ. » ويسبيزبي فيبين أن ما
وقع في العين من خطأ لا يمكن أن يقع فيه الخليل ودل على مبلغ حذقه
فيما رسم أو ألف قال: « ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتاب
المختصر من كتاب العين لعلم أن نزهنا الخليل عن نسبة المجال إليه ونفينا
عنوه من القول ما لا يليقه به .. وذلك أنا قالنا في صدر الكتاب: ونحن
نرى بالخليل عن نسبة الخليل إليه أو التعرض للمقامة له بل تقول ان
الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه»، ويوضح ذلك بأقوال العلماء مشارقة
في استبعاد نسبة الكتاب في شكله الذي وصلنا إليه الخليل وبالاختلاف
في نسخه والاضطراب في روايته والاستشهاد بالمردوز من أشعار المحدثين
وان فيه رواية عن ناس لا يمكن أن يكون الخليل قد روى عنهم وأن
جميع ما وقع فيه من معاني النحو لنا هو مذهب الكوفيين والخيل

(1) المهر: ۴۰.
الصريح، ثم ان في الكتاب تداخل لا يعجز الخليل تقيقه.

٦ - الوضوح في النحو: هكذا استمته أكثر المصادر وذكره صاحب
المغرب باسم "الأيضاح" وفي الواقي بالوفيات وبغية الوعاة وروضات
الجنتان أنه "الوضوح"، ورواه عنه أبو بكر عبادة بن ماء السماء وقيل
فيه "انه مفيد جدا"، شرع في شرحه ابن ولید النحوي فبلغ منه نحو
النصف وتوفي قبل اكماله.

٧ - كتاب رسالة التقرير، رواه عنه عبادة بن ماء السماء. ولعلها
هي رسالة الاتصار للخليل.

٨ - كتاب طبقات النحوين واللغويين.

ترجم فيه لل نحوين واللغويين من عهد أبي الامود حتى محمد بن
يحيى الراحي (٥٨٦ / ٩٩٩) وقد كان مصدرا ل كثير من المؤلفين
الاندلسيين والمشارقة مثل ابن الفضي وياقوت والقشطي والسيوطي

الزمر : ٥ - ٥٣.
من هذا الكتاب نسخة بالاسكوريال (انظر بروكلمان ٤٨ : ٢)
ونسخة مصورة بدار الكتب عن نسخة المكتبة المتوكلية بجامع
صنعاء الكبير.
(١) فهرسة ابن خير : ٣١١،
(٢) وقويات الأعيان : ٧.
(٣) الصلاة : ٢٥٢.
(٤) فهرسة ابن خير : ٣٥١.
(٥) طبع بمصر سنة ١٩٥٤، بتحقيق الاستاذ محمد أبو الفضل
ابراهيم.
والقرئيزي. وقد بين الزبيدي في مقدمة الكتاب أنه ألتقى بأمر من الحكم المستنصر. وقال: "فألفت هذا الكتاب على الوجه الذي أمرني به إمير المؤمنين، رحمه الله، وأقنعته على الشكل الذي حده، وأمدني، رضي الله عنه، في ذلك بنايته وعلمه، فواعظني من روايته وحفظه، إذ هو البحر الذي لا تعب اوذيه ولا تدرك سواحله، لا ينزح غيره ولا تنضب مادته". وقوله في هذه العباره، رحمه الله، يدل على أن الكتاب نجز تأليفه بعد سنة 977 هـ.

وكان النهج الذي اتبعه الزبيدي في هذا الكتاب هو الترجمة لعلماء اللغة والنحو على حسب التسلسل الزمني ذاكرا مولد المترجم له وتاريخ وفاته، وتتبعا من أخباره والحكايات المتضمنة لفضائله ومشتملة على محاسنه. وقسم كتابه على طبقات، فجعل التحويلين البصريين في عشر طبقات ثم اورد بعدهم التحويلين الكوفيين في ست طبقات، حتى إذا انتهى منهم عاد فأفرد فصلا للغويين البصريين وجعلهم في سبع طبقات، وشفعهم بالكوفيين وجعلهم في خمس طبقات. ومزج بين التحويليين واللغويين المصريين في فصل واحد وجعلهم في ثلاث طبقات، ووجاء بعدهم بالتحويلين واللغويين الترويين في أربع طبقات، وختم الكتاب بتراجم التحويلين واللغويين الأندلسيين في ست طبقات. أما الأساس الطبيقي في هذا التقسيم.

(1) طبقات الزبيدي: 10.
فهم الأساس الزمني، وهي قسمة تقريبية. ولم يذكر الزبيدي مصادره التي اعتمدها في كتابه، ولكن كثيراً من الأخبر تسند إلى القالي رواية، والابن الغازい، أحد الأندلسين، الراحلين إلى الشرق. كما ان فيه روايات عن استذائه قاسم بن أصبه وعن الراحي. ولست أظن أن الزبيدي أكثى بالروايات الشفوية، وانما اعتمد على كتب في اخبار التحوين واللغويين ككتاب السيرافي على أن الكتاب يعد أصلاً هاماً في كتب التراجم، ولا تظهر قيمته إلا عند مقارنته بما ألفه في مثل موضوعه. أما في تراجم اللغويين والتحويين الاندلسيين فيكاد يكون المصدر الوحيد حتى منتصف القرن الرابع.

- الاستدراك على سببه:

1- دواعي التأليف

نظر الزبيدي في المؤلفات النحوية الكثيرة، فرأى أن الغثاثة غالبًا عليها: في طريقة التأليف وفي شدة الاطالة وعدم التجديد والتكرار لموضوعات سابقة، فعبر عن سخطه هذا بقوله: «فاني رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد أكثروا التأليف فيه وأطلعوا القول على معانيه فأشاروا الناظرين واتبعوا الطالبين بتكرار معان قد بينت وركوب أساليب قد نهجت فلم يخل أكثرهم بغير إعادة ما تقدم إليه والتكرير فيما سبق.

135
الي القول عليه. وقد كان ينبغي لمن هم بذلك منهم أن يتصفح كتاب عمرو ابن عثمان المعروف بسبيوئه في النظر إلى مبادئ كتابه وعنوانات ابواه ويري لطائف معانيه ودقائق حجاجه إلى الابياز في قوله والإيمام لمراده فيزجره ذلك أن كان ذا حجي عن تكلف ما لا حاجة إليه وينبه الاعتناء بما لا معول عليه». فالزبيدي إذن معجب اشد الاعجاب بكتاب سبيوئه ينعي على الآخرين تأليفهم كتاباً هي في حقتها تكرار ومسح لما قاله صاحب الكتاب من قبل.

غير أن هذا الاعجاب من قبل الزبيدي لم يمنعه من وزن كتاب سبيوئه بميزان الحقيقة. فهو يعرف ما له وما عليه، ويداو أنه كان لفترة طويلة يصاحب الكتاب ويدرسه ويتدارسه فعرف من اموره ما لم يعرفه غيره، أو هو زعيم. وله أكثر ما جذب انتباه الزبيدي في الكتاب ما كان متعلقاً بأبنية الأسماء والاعمال: «وقد كنت أيام مطالعتي هذا الكتاب كلفنا بما تضمنه من ابنة الأسماء والاعمال التي هي زمام الكلام والسور المضروب دونه والجد المنتهي إليه فاستخرجتها يومئذ مختصرة منه ليقرب حفظها من آثر أن يقف على معرفة البناء العربي من الدخيل

(1) الاستدرالك على سبيوئه: 1.
(2) المصدر نفسه.

136
اما من مصنوع غولط به او اعجمي افتح فيه) 1 . ولكثره مطالعة الزبيدي لقيم الابواب استطاع أن يكتشفه، وهذا ما لم يستطعه غيره، كما يقول، فقصا كثيرا: «وكان جلة المشايخ من اهل النحو فيما روي عنها يزعمون أن ما ألفه سبيلوهي منها يستوفي جميع ابنتة الكلام ما خلا ثلاثة ابنتة شدث عن جميعه، فاستقصيت الباحث عن ذلك وانعمت النظر فيه فألقتني نحو الثمانين بناء لم يذكرها سبيلوهي في ابنته ولا دل عليها أحد من التحويين من بعده» 2 . فكان هذا المتعلق الذي بدأ الزبيدي منه بالتفكير في سد الفجوة التي خلفها سبيلوهي.

على كل حال، لم يكن الدافع هذه المرة رغبة أمير المؤمنين في المؤلفات وتشجيعه لها، كما كان الأمر في كتاب الزبيدي الآخرين: لحن العوام، وطبقات التحويين واللغويين 3 ، وهو يرجع الفضل كله في هذا المؤلف لنفسه. وربما كان زمن تأليف الكتاب سابقا لاتصال الزبيدي بالحكم او بعد وفاة الحكم، فقد عرفنا من سيرة حياة الزبيدي انه اتصل بالخليفة بعد ان توطدت قدمه في دنيا العلم.

واعتقد ان الدافع الأول لاستدراك الابنتة التي لم يذكرها سبيلوهي

(1) الاستدراك على سبيلوهي : 1 .
(2) المصدر نفسه .
(3) مقدمتنا الكتابين .

137
انما كان اظهار العلم والادلال بالمرفة، والحقيقة ان لهجة التعلم – وهي
لهجة مستغرقة من الزبيدية المتواضع – بادية تماما في الكتاب اجمع.
وسوف نرى بعد قليل كيف ان الزبيدية تتبع سبويه مفتنا كلامه متنبأ
اختائه، وكيف انه استقصى غاية الاستقصاء بحيث لم يترك شاردة ولا
واردة. وكان حريصا على ذكر ما اورده سبويه ثم اتباعه بما لم يذكره.
ما يشير الى رغبة المقابلة وإبراز النقش.

ب - منهج الكتاب

جاء في مقدمة الكتاب: «.. فرأيت ان الورد في الابنية كتابا الخص
ذكرها فيه وأبدا بما يجب أن يكون صدرًا لها ومدخلها التي يشاكلها
وينظم بها بل هو أصل لها وهي فرع من كتبه عليه، وذلك بان ابتداء
بذكر اقل أصول الأسماء والافعال والحرف واكثر أصولها غير مزيفة
واقصى ما تنتمي اليه بالزيادة. ونذكر حروف الزيادة والبدل، ثم نعقب
من بعد بابونية الأسماء والأفعال على حسب ما ذكرها سبويه بناء بناء
ونعد ما نورد منها في كل باب حتى تأتي احاطة العدد على جميع ابنة
الاسماء والأفعال ..». 1. ويمكننا ان تقسم الكتاب الى مقدمة والى
موضوعين رئيسيين. فالمقدمة هي التي تشمل الابواب التالية :
1 - باب ذكر اقل أصول الأسماء واكثر اصولها.
2 - باب ذكر اقل أصول الأفعال واكثر اصولها.

1) الاستدلال على سبويه : 1 - 2.

138
3- باب ذكر الحروف.
4- باب الحروف الزوائد وهي عشرة.
5- باب حروف البدل وهي اثنا عشر حرفًا.

ويعرف هذه الأبواب دراسات تمهيدية وتعريفات يدخل من بعدها في صلب الموضوع، وهو الأبينة. وبطبيعة الحال لم يصنف الزيدى كتابه هذا التصنيف، وانما ادرج الابواب بصورة متتالية ودون أن يميز بين ما هو تمييز وما هو أصيل.

وأما البناؤين الرئيسيان فانهما يفتican كذلك الى ابواب ثانية.

ويتم تفرع الى ابباب فرعية. والبابان الرئيسيان هما:

الأول - باب ذكر ابنتة الاسماء.
1- باب البناء الثلاثي غير المريد.
أ- ذكر لحاق الزوائد في البناء الثلاثي:
- باب لحاق الهمزة - باب لحاق الالف - باب لحاق الياء.
- باب لحاق الثون - باب لحاق التاء - باب لحاق الميم.
- باب لحاق الواو.
ب - باب الزيادة من موضع التضعيف في العين واللام.
ج - باب الزيادة من موضع العين واللام إذا ضعفتا.
2- باب البناء الرباعي غير المزيد.
أ - باب لحاق الزوائد للرباعي.
باب لحاق الواو - باب لحاق الياء - باب لحاق الالاف

باب لحاق النون

باب التضعيف في الرباعي

3 - باب ابتداء الأسماء والصفات الخماسية

أ - باب لحاق الزوايد بالخماسي

ب - باب ما أعربت العرب من الأسماء الأعجمية

ثانياً: ذكر ابتداء الأفعال

1 - باب لحاق الزوايد للفعل الثلاثي

2 - باب ما تسكن اواوله من الفعل المزيدة

3 - باب ما لحق من الفعل الثلاثية بالرباعية

4 - باب الأفعال الرباعية

5 - باب لحاق الزوايد بالرباعي

ومن هذا التبسيط لمواد الكتاب يلاحظ أن هناك بعض الاضطراب

فباب "ما أعربت العرب من الأسماء الأعجمية" لا يختص

بابناء الاسم الخماسي، ولكن الزيدي الحقه بهذا الباب. غير أن

ذلك لا يعد طعنا بالغًا في منهج الكتاب، بل يمكن القول انه

من المؤلفات ذات المنهج الواضح. وربما ساعد على ذلك

الاتظام، ضيق المجال وتقيد المؤلف بناحية معينة من اللغة واتباعه لكتاب
سبيوته في رده عليه.

ويتعدد الزبيدي في الرد على سبيوته تاحتين:

1 - تبيان تنافض سبيوته وغلطه في ما ذكر، وهو يشير إلى ذلك قالاً: "وندل في خال ذلك على ما اختلف فيه قوله وما نقض به أصله". وجمال هذا التتبع كثير، بل الواقع ان الهدف من الكتاب هو هذا الاستدرار على سبيوته، مثله "... وعلى فعل فالاسم زبرج وزبر وحفر والصفة دلقم وعنفص وخرمل وزهلق، قال أبو بكر: قد قال في باب زيادة الميم في الثلاثة ان دلقم فعمل والميم زائدة وجعلها هاهنا اصلا على فعل".

2 - افراد فقرة تابعة خاصة لأيراد ما لم يورد سبيوته من اصول الأبنية. قال الزبيدي: "ونذكر بأثر كل باب منها ما أغلبه سبيوته من اصول الأبنية فيه". فبعد باب لحاق البناء يورد الزيادة التالية: "زيادة، قال أبو بكر: قد جاء تفعل قالوا تنوتو اسم لطاهر، فعدتها ثمانية عشر بناة، للإسماء والصفات ثلاثة ابنة ولالاسم اثنا عشر بناء، وللصفة ثلاثة ابنة". وتختلف الزيادة من باب الى آخر فأخيائنا تطول.

1) الاستدرار على سبيوته: ٢.
2) المصدر نفسه: ٢٨.
3) المصدر نفسه: ٣.
4) المصدر نفسه: ٣٢.
5) زيادة باب لحاق النون ص: ٢٣، زيادة باب لحاق الالف ص: ١٤، ١٥.
واحيا تقتصر 

حتى إذا خلص من ذلك كله عند الى تفسير الغريب. قال شارحا
منهجه في هذه الناحية: «ثم نشرح بعد كل باب منه ما وقع فيه من غريب
الأبيappointment مختصرًا كافيا، وان كان اهل اللغة قد تجاهوا شرحها وتفادوا
من تفسير غريبها وشهدوا لسبيويه بالتقدم في علم اللغة بما أثبته في كتابه
منها حين أيقنوا أنه لم يعن بتنقلها إلا بعد احاطته بعلمها وتشير مشكل
غريبها» 2. فالزبيدي يرى من واجبه أن يشرح ما هو عسير على الفهم.
وربما ظهر التعامل ومحاولة التفوق على سبيويه في هذا الكلام، إذ أنه
يعمر سبيويه ويتهمه بأنه لم يكن يعرف تفسير الالفاظ الغريبة كلها. ولما
كان لا يؤمن بكلام العلماء الآخرين الذين يثقون بسبيويه، فانه يفرد
جزء خاصا بالتفسير يلحظه بكل باب من أبواب كتابه. ولكن الزبيدي
يعترف بأنه لم يستطع ان يحيط بكل شيء صعب: «وقد ارجأنا منها
شرح حروف سيرة لم ينته الى علمها فأتينا بها في اواخر أبواب ولم
نباس بعد من إدراكها عند استقراء البحث عنها ان شاء الله تعالى» 3.

وهذا التفسير التتابع، ليس قليل الشأن، او، إذا اردنا أن نكون
دقيقين، ليس قليل الحجم، فهو كثيرا ما يفوق في حجمه المادة الأصلية

(1) زيادة باب ابنية الأسماء والصفات الخماسية ص: ۳۶، زيادة
باب لحاق التاء ص: ۲۳.
(2) الاستدراك على سيبيويه: ۳.
(3) المصدر نفسه.

۱۴۲
والزيادة عليها مجتمعين. ولعل السبب في ذلك ان المجال يفتح أمام الاخبار والقول والمثال وأشعار العرب: "والاسليح نبت من فاضل المرعي، وتتنافر الى ابنة الخنس امرأتان تمتازا في مرعي ابويهما. فقامت احدهما ابلي ابتي ترعى الاسليح، فقامت بنى الخنس: رغوة وصريح وستان اطريح". والزيدي هنا يرد الروايات على قائلتها ولكنه لا يذكر ما اذا كانت مصادره شفوية أم مختارة من الكتب، ولا يورد اسماء المؤلفات. فهو يقول: "قال النضر بن شميل" و"قال يعقوب" و"ذكر الاصمعي".

ويكثر الشعر اثناء التفسير، ولكنه يذكره للإعتراف به، ولا تجره المبهمة الادبية الى ذكر مقطوعات بكاملها. بل إنه كثيرا ما يكتفي بشطر من بيت حرصا على الإيجاز.

ويسكننا ايجاز التفسير داخل كل باب - ولفظة باب عندنا سائبة. الدلالة فقد تعني ابنتي الاسماء اجتمع، وقد تعني لحاق التاء في الثلاثي المزيد فقط - بما يلي:

١ - ما أوردته سبيوئه من الباب، واظهار التناقض والخطأ احيانا.

1) الاستدرك على سبيوئه: ى١٩.
2) المصدر نفسه.
3) المصدر نفسه.
4) المصدر نفسه.
3- الزيادة التي حققها الزبدي لما فات سيبوه ذكره.

3- تفسير غريب الباب.

ج- خصائص الكتاب

يتميز هذا الكتاب بصفتين بارزتين، أولاًهما الاستقصاء وثانيهما

وضوح شخصية المؤلف:

فأما الاستقصاء فقد تتبع أبو بكر الزبدي سيبوه تتبنا عنيفاً، ولم يتركه لحظة إلا ليعود فيمسك بتلاحييه مرة أخرى. وقد أحس الزبدي نفسه بأن مثل هذا التصرف قد يعرضه لهجوم الناس عليه، فاستبق هجوم الناقدين ودافع عن نفسه قائلًا: "ولعل عاقلاً يتوهم إنا ادعينا مدافاة سيبوه في علمه أو موازاته في نفاذ وفهمه بما زدنا عليه من الإبنية التي أغفل ذكرها ولما دلنا عليه من تناقض بعض قوله أو بمعارضتنا له في اليسير من معانيه فيخلانا أفكا وظزل بنا عجزاً وأتأى لنا بما توهم وانما تكلمنا على أصوله وعارضنا بعض قوله ببعض وردنا عليه من علمه، والإحاطة على البشر ممتنعة والعصمة عنهم مرتفعة". ولهذا الكلام له أهميته لأن فيه تأكيداً على أن الزبدي يجد نفسه قادراً على مقارعة سيبوه واكتشاف اختلافاته وتساق عرائشه.

وهذا الاستقصاء يظهر لنا واضحاً في مثال من جملة الأمثلة الكثيرة

(1) الاستدراك على سيبوه: 2.
التي يمكن اردادها، جاء في باب لحاق الألف: « ... قال سبويه وعلى تفاعل فعال اسم التناسب والتنافل ولم يأته وصفا، قال أبو بكر قد جاء ناقة تحلب والجمع تحالب. قال سبويه وعلى يفاعيل فإلا اسم يرابيع ويعتيب ومعاسب والصفة يحاميم ويخضير جمع يخضور ويعضوم. وعلى يفاعيل فإلا اسم يحامد والبرامع، قال أبو بكر: قد جاء ناقة عملة صفة والجمع يعامل، قال سبويه وعلى فعاويل فالصفة قراويج وجلاويخ لا نعلم له اسمًا، قال أبو بكر: قد ذكر في هذا الباب عصاود وقراويج انسان فيجب أن يجمع على عصاود وقراويج النغ ... » ١.

وأما من حيث وضوح شخصية الزبيد في كتابه فالواقع أن طبيعة الكتاب تستدعي من المؤلف فرض شخصية قوية وبارزة، فهو مؤلف قائم على استدراك أخطاء الآخرين وسد النقص وتبني السقات، وهذا كله يحتاج إلى عالم يبدي رأيه بصراحة وبصورة جاذبة.

فالزيدي يبدي رأيه في المشكلات اللغوية المعقدة ويكون شديداً حتى على العلماء الثقاف: « وليست الياء في مسلمين بدل من الف المسلمون ولا ياء مسلمين بدل من واو مسلمون كما زعم سبويه لأنه ليس منها شيء بذل لازم لاسم هو أولى به من غيره وانها هي الدالة على اعراب الاسم لكن قد ذهب في ذلك مذهباً» ٢. ولاحظ أن الزيدي لا يعرض

(١) الاستدراك على سبويه: ١١ - ١٢
(٢) المصدر نفسه: ٦

الحركة اللغوية: ١٤٥
فحسب وآنا يبدي الحجة. ومثل هذا دفاعه عن الكوفي: قال أبو بكر: الكوفيون ومن نها نحوهم من البغداديين يجعلون هذا من الثلاثي وأصله عندهم كشفت وزالت فكرهم اتصال التضعيف فحالوا بينه بحرف مثل فاء الفعل وقولهم عندي اولي بالصواب لاطراد مقاتاتهم. وصحة الاشتقاق لمذهبهم، إلا ترى أن قولك كففت فمعنى كففت وحلحلة في مغني حلقة».1

10 – لحن العامة

تذكره المصادر بهذا الاسم وأحيانا باسم كتاب ما تلحن فيه عوام الأندلس، وحينا ثالثا باسم لحن عوام الأندلس أو لحن العوام، وقد قال فيه ابن خير: "كتاب لحن العامة لأبي بكر الزبيدي التأليف الأول والثاني"، فكتاب صورتان متناوتن كتبهما الزبيدي في تاريخين مختلفين. ثمذكر كتاب "مختصر لحن العامة" وقال عنه أنه في جزء واحد، وقد أخذه أجازة ولم يقرأ. وقد نشرت صورة من هذا الكتاب قام بتحقيقها رمضان عبد النواب بعنوان "لحن العوام".4

ويقول محترق الكتب: إنه هو الاسم الذي وجد على المخطوطة الوحيدة التي استخدمها في التحقيق. ويبدو أن هذا المنشور اما أن يكون

(1) الصدر نفسه: 10.
(2) فهرسة ابن خير: 446.
(3) الصدر نفسه: 747.
(4) طبع القاهرة: 1964.
اختصر للحن العامة أو الصورة الموجزة من التأليفين اللذين ذكرهما
ابن خير.

(1) الدعاء إلى تأليف الكتاب

يريد الزبيدي في هذا الكتاب أن يرد فضل التأليف إلى الحكم المستنصر ، يقول : "وكان الذي قد دعا إلى تأليف هذا الكتاب ما أملناه في الثقة التي استندها إلى المؤلف الإمام الفاضل، والخليفة العادل، الذي لا أمام في الأرض غيره، ولا خليفة لله على الطلق سواه، الحكم المستنصر بالله، أمير المؤمنين، وعدد المسلمين، محبى العلم وواعيه، الراسخ في فنونه، الموهوب على دقيقه وجيله، المشرف له وحاميه...".

غير أننا لا نستطيع أن نرد من الفضل للحكم سوى ما يمكن أن يكون قد ساهم به من تشجيع ورعاية وعطاء. أما الفضل العلمي فاتنا نرده كله إلى الزبيدي، إذ هذا الكتاب يختلف في منهجه عن كتاب طبقات التحويين واللغويين.

ولقد نظر الزبيدي إلى لغة الناس من حوله فأخذ أن هناك فارقاً ما بين لغتهم وبين اللغة الفصيحة، فأراد أن بين هذه الاختلاف، أو ما اعتبره من الاختلاف، ويشير لنا في المقدمة هذا الأمر يقول: "ولم تزل العرب في جاهلتها وصدر من إسلامها، تبرع نطقها بالسجية وتكلم على السليقة، حتى فتحت المدائن، ومصرت الامصار، ودونت الدواوين،

(1) لحن العوام : 9

147
فاختل العري بالنبطي، والتقي الحجازي بالفارسي، ودخل الدين إخلاء الأمة، وسوائل البلدان، فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن في ألسنة الولام، ودُل على الفاعل والمفعول والمضاف.

وقد ذكر الزيدية أن هناك قوما حاولوا أن يصحوا من هذا الأمر، فان أول من استدرك ذلك، حاول إصلاح فساده، أبو الأسود ظالم ابن عمرو الدؤلي، فألقي أبوابا من النحو، ذكر فيها عوامل الرفع والجر والجزم، ودل على الفاعل والمفعول والمضاف.

ويورد الزيدية بعد ذلك ذكرًا لبعض الإسهامات التي شاركت في التأليف النحوي ووضعت قواعد لضبط اللغة ومراحل الجمل فيها. ثم يقول موضحا هدف من التأليف: «ثم ألف من بعده، عدد الخليل، من أهل العلم في النحو والغريب وأصالة المنطق، على قدر الحاجة، وحسب الضرورة، تحصينا للفهم، وأصالة للمفسد من كلامهم.».

فالهدف أدن من تأليف لحن العوام هو اتمام تلك السلسلة من الكتب اللغوية التي تحاول أن تضبط اللغة وتمنع فشو اللحن فيها.

وهنا نسأل أنفسنا هذا السؤال، هل أليف الزيدية كتابه على غير مثال سابق؟ الواقع أن الزيدية نفسه يقول: «وقد وضع أبو حاتم:

1. لحن العوام: ٤٤.
2. المصدر نفسه: ٨.
3. المصدر نفسه: ٤.
4. المصدر نفسه: ٥.
5. أبو حاتم السجستاني: ٨٤٨."
كتابا اعترض به تقويم ما غيره اهل عصره من كلام العرب، وسماه كتاب لحن العاما» ١. فالمتما اذن ليست من ابتداع الزبيدي، وعنوان الكتاب أيضا ليس جديدًا.

فما الذي يختلف فيه كتاب الزبيدي عن كتاب أبي حاتم؟ ان مثل هذه الزيادة أو مثل هذا الاختلاف هو المبرر لتألیف لحن العوام، ولا يكون الكتاب بمجلبه نفلا.

يقول الزبيدي: «وأنا لم تصفحت كتابه - كتاب أبي حاتم - هذا رأيته مشتملا على ما يشتم عليه سائر الكتب الموضوعة في اللغة، ورأيت الفن الذي قدسه، والضرب الذي اعتمده، ووسم الكتاب به نوعا فيما ضمنه من تفسير الفربر، وصرف الافعال، وتوجيه اللغات» ٢. فالزبيدي يهاجم طريقة التأليف عند أبي حاتم ويرى أنه لم يحقق فكرته، فلقد شذ عن الموضوع وراح يبحث في المشكلات التي بحثها من جامع قبله من العلماء، »فكان الكتاب مؤلفا لغير ما نسب إليه، وعرف به » ٣. وهذا موطن ضعف استطاع الزبيدي أن يستغله...

غير ان هناك مبررات أخرى دفعت الزبيدي إلى أن يكتب هذا الكتاب. فأبو حاتم السجستاني يبحث في ما يلحنه فيه عوام المشرق لا

---------------------

١) لحن العوام: ٥.
٢) المصدر نفسه: ٥ - ٦.
٣) المصدر نفسه: ٦.

٤٤٩
ما يلحن فيه عوام الأندلس. لذلك فالزبيدي يقول: "يرأيت كثيراً من الألحان الذي نسبه إلى أهل المشرق، وقد سلمت عامتنا من موافقته، ونطلبت بوجه الصواب فيه، كقولهم ود، وفطير، وعدل، ووحدة، وعود مستوي، وقرمبوس، وفيلي، وذهب إلى المكاربين، وفلان يوزن بكذا يزن به. ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زمننا وآقنا، فألفت جمالا لم يذكرها أبو حاتم، ولا غيره من اللغويين، فيما نهبوا إليه، ودلو عليه، مما افسده العامة عندنا، فأحالوا لفظه، أو وضعوه غير موضعه".

(ب) العامة: ماذا تعني؟

عامة الناس وعوامهم غير الخاصة من الناس. هذا المفهوم العام للكلمة لم يكن المقصود في كتاب الزبيدي. فلقد أحس أبو بكر أنه لو اراد أن يحكي ما يلحن فيه الدهماء وسقاط الناس لاستغرقه ذلك زمنا طويلاً، قال وسوف «ادع اجتلاب ما افسده دهؤمهم، وسقاطهم، مما عسي أن لا يزعج عن تسكن بطرف من الفهم، إذ لو استوعنا ذلك لطال الكتاب به». فإذا كان اللحن قد فشا بين العامة فلقد "تابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة، حتى ضمت الشعراء أشعارهم، واستعمله جلة الكتاب، وعليه الخدمة في مسائلهم، وتلاقوا به في محاولتهم".

(1) المصدر نفسه: 6 - 7
(2) المصدر نفسه: 8

150
فرأيت أن أنه عليه، وأبين وجه الصواب فيه، وأن أفرد لما يحضري منه كتاباً، أحصره به، واجمعه فيه» ۱. وقد أكد فكرة الخطأ لدى الخصاصة فقال: «إنهما يذكره ما يتوقع الفعل من الخاصية فيه... نحو ما حدثني بعض أهل النظر عن رجل من أجله الحزينة، ينسب إليه فنون العلم، وضرور الاداب، قال: ورد كتاب من بعض الكتاب، كتب فيه الجخطب، بالطاقة، فأذكر ذلك لعل يصغ إلي حتى عدوت إليه بعض كتب اللغة، فأريته الحرف مقيداً فيه، إلى كثير من هذا...» ۲.

غير أن هناك ملاحظة مهمة ينبغي الإشارة إليها، وهي إذا كان الخصاصة هم المصص Klopp من هذا الكتاب، فإن اللفاظ التي تعالج والتي طرأ عليها التحول والتبدل، ليست من اللفاظ العربية والمرفقة في فصاحتها في أكثر الاخبار، فالكتاب موجه أو يقصد به أخطاء الخصاصة من الناس، والخصصة الفاظهم مختارة. غير أن يعالج أيضاً اللفاظ السائقة والعامة.

وقد تنبه أبو بكر إلى أن مثل هذا الاعتراض وارد فقال: «ولعل طاعنا يطبع في كتابنا هذا بما ذكرنه من الكلام السوقي، واللفظ المستعمل العامي، جيلاً منه أن الفساد انما يقع في المستعمل على الألسنة، وان الوحشي مصنون عن التغيير والاحالة، بثقة استعماله، وجعل عوام الناس به» ۳.

المصدر نفسه: ۷ – ۸.
(2) المصدر نفسه: ۸.
(3) المصدر نفسه: ۹.

۱۵۱
(ج) منهج الكتاب

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسة:

أـ «ذكر ما أسعدته العامة وما وضعوه غير موضعه»، وهو أكبر

ال أبواب الثلاثة. إذ يستغرق من ص ١١ — ۵٠٤. ويفلون للنبي الكهير

الشوك المبسط بالارضي خرشف. قال مهيد: السواب،

خشوف ... ١ »

بـ «و لما وضعته العامة في غير موضعه»، وهو باب متوسط

اذ يستغرق من ص ٢٠٠ - ١٣٨. والامة في هذا الباب لا تغير في الالفاظ

وائها تغير من معانيها ودلاليتها. مثل ذلك: «ويفلون: درهم (واف)

اذ كان يزيد في وزنه. قال مهيد: والوافي الذي لا زيادة فيه ولا

نقص. وهو الذي وفي يرمته ... ٢».

جـ «و لما يوقعونه على الشيء وقد يشركه فيه غيره»، وهو

أقصر ال أبواب إذ يستغرق من ص ٢٤٠ - ٢٤٤، ولا يبحث إلا في ثاني

مواد فقط. مثله: «قولهم الوادي للنهر خاصة. قال أبو بكر: والوادي

كل بطن مطمن من الارض. وربما استقر فيه الماء ... ٣».

(د) أنواع الخطأ

تقصى الزيد في الناظ العامة انواعا مختلفة من الخطأ:

<table>
<thead>
<tr>
<th>المصدر نفسه</th>
<th>٣٧</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المصدر نفسه</td>
<td>٢١</td>
</tr>
<tr>
<td>المصدر نفسه</td>
<td>٢٤</td>
</tr>
</tbody>
</table>
1 - خطأ لياقة. ويتمثل لنا ذلك في المثال التالي: « ومن ذلك قولهم: هو الله الازلي قبل خلقه، ولم يزل واحدا في ازليته، وكان هذا في الازل.
قال محمد: وذلك كله خطأ، لا أصل له في كلام العرب. وانما يريدون المعنى الذي في قولهم: لم يزل عالما. ولا يصح ذلك في اشتاق ولا تصريف. وقد اولع بالخطأ في هذا اهل الكلام والمدعوون لحدود المنطق، حتى غرّ ذلك جماعة من الخطباء، فادخلوه في خطيهم. ولا يجوز لأحد ان يصف الله عزّ وجل، بغير ما وصف نفسه في محكم كتابه وحياً، أو ما ثبت به الخبر عن رسوله (ص)، ولو صحت الكلمة في الاشتقاق وتبكت في التصريف».1

2 - خطأ لفوي، ومثاله: «وكذلك قولهم فيه تبارك وتعالى:
هذه صفة ذاته، وهو مباين بالذات.
قال محمد: ولا يجوز ان يلحق الألف واللام ذو ولا ذوات في حال انوار ولا ثنية ولا جمع، ولا تضاف الى المضمرات. وانما تقع ابدا مضافة الى الظهر، الا ترى انك لا تقول: الذو ولا الذوان ولا الذوون ولا الذوات ولا الذات ولا ذكر ولا ذره ولا ذوها ولا ذوتن ولا ذواتها. ولا تقول مررت بذاته ولا بذاتك. وقد غلت في ذلك اهل الكلام.

(1) المصدر نفسه: 11.
واكثر المحدثين من الشعراء والكتاب والفقهاء ١.


٤ - خطأ ناتج عن زيادة حرف، ومثاله: «ويقولون سميتا الآذان».

قال محمد: .. والصواب الآذان على وزن فعال .. ٣.

٥ - خطأ ناتج عن تغيير حركة أحد الأحرف، ومثاله: «ويقولون لبعض من المتاع سلعة».

قال محمد: والصواب سلعة بيكر اوله .. ٤.

٦ - خطأ ناتج عن قلب حرف وحذف آخر، ومثاله: «ويقولون كيف الفئوس التي يقطع بها الخشب شتور بالشين».

قال محمد: والصواب، صاقور، والجمع الصواقير».

٧ - قلب حرف واحد، ومثاله: «ويقولون لما طحن من البر وغيره.

(١) المصدر نفسه: ١٢.
(٢) المصدر نفسه: ٩٩.
(٣) المصدر نفسه: ٤٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٧.
(٥) المصدر نفسه: ٩٧.

١٥٠
قال محمد: والصواب جيشي بالخيتم، يقال جششت البر عرجمه. جنشا فهو مجهوش وجيشش، وهو طحن كالهرس). 1. وبلاحظ هنا أن قرب المخرجين من بعضهما أدناه إلى مثل هذا القلب. والامثلة على هذا القلب كثيرة في الكتاب، وفي لدينا العاملة الحاضرة في لهجاتها المختلفة.

(ه) طريقته في وصف المادة

ما سبق من أمثلة عرفنا شيئا عن طريقة الزيدي ف فهو يذكر الكلمة التي يختلف فيها عامة الإندلس مسبوقة دائما بعبارة "ويقولون "، ثم يذكر الصواب مسبوقا بعبارة: "قال محمد" أو: "قال أبو بكر". ولكي نستطيع اخذ فكرة واضحة عن عمل الزيدي لا بد من دراسة مادة أو أكثر من الكتاب، وعلى سبيل المثال نأخذ مادة "ابيزم". ويعنون بيزم، للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج يسرج بها، وقد تكون في طرف المنطقة، ولا تدخل في الطرف الآخر من الحزام والمنطقة.

قال محمد: والصواب بيزم على مثال افعيل، وفيه لغة أخرى.

(1) المصدر نفسه: 20 - 21.
(2) المصدر نفسه: 158، 168، وموضوع آخر كبير.
(3) المصدر نفسه: 15 - 18.

155
يقال: ابزام والجمع ابازيم. قال العجاج:
يدق ابازيم الحزام جشمه.
ويقال أيضاً ابزيم ويجمع على ابازيم. وقال أبو داوود اليايدي:
من كل جردة قد طارت عققتها وكل إجرد مسترخي الإبازيم.
ويقال إلابازيم أيضاً زرقته ورَفَقَت. وفي الحديث: إن درع رسول الله (ص) كانت ذات زرافن، إذا علقت زرافتها شمرت، وإذا ارسلت مست الأرض. وقال مزاحم:
يباري سديساها إذا ما تلجمت، شبا مثل إبزيم السلاح المؤس.
ينصف نافحة. والمؤس المحدد، الذي رفقت إستله. ويقال للقفل أيضاً إبزيم. وهذه العبارات كلها متفقة، لأن الإبازيم أفعيل من بزيم، إذا عض. وقال أبو زيد: بزتم أبو بزيم بما، إذا عضنته بالثنايا، دون الأنياب والرباعيات. وكذلك البزم في الرمي، هو اخذ الوتر بالإيام والسبابة، ثم ترسل السهم. فأما قول تيميم بن أبي بكر: على كل ملواح يزل بريمة تعاطي اللجام الفارسي، وتصرف فهو البريم بالزراة. وكذلك انشدناه قاسم بن اصبع عن السكري.
عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، والبريم حبل مفتوح، يكون فيه لونان، وربما شدته المرأة على وسطها. وانشد الأصمعي:
إذا المرض العوجاء جال بريمه.
وليس بالابزيم الذي ذكرنا، والبرمان أيضاً ...

156
وهكذا نرى أن المشكلة لم تعد مشكلة كلمة عامية وما يقابلها من التصديق، بل ان الأمر تعدى ذلك فدخلنا في تفرعات وتشعبات واستشهادات، كل ذلك بدقة متناهية وبخطة مرسومة، تتكرر في الكتاب اجمع.

ويمكننا أن نستنتج من هذه المادة ومن سواها الأمور الآتية:

1- الاستشهاد الالبدي بالحديث:
فقد بلغ مجموع ما استشهد به من احاديث ستة وثلاثين حديثاً.

2- الاستشهاد بالآيات القرآنية:
لم يكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية، إذ كان مجموع ما استشهد به خمس عشرة آية فقط، من سور مختلفة؟

3- الاستشهاد بالامثال وأقوال العرب:
وهو أيضاً يقل من الاستشهاد بالامثال والأقوال، وقد بلغ مجموع ما استشهد به منها أربعة عشر مثلاً وقولاً.

4- الاستشهاد بالشعر:

المصدر نفسه: 84، 85، 192، 236، 275، 276، 277، 278
المصدر نفسه: 59، 138، 228، 261، 272
المصدر نفسه: 4، 62، 83، 99، 127، 147، 155، 184
المصدر نفسه: 193، 194
المصدر نفسه: 293، 482
وهذه ظاهرة عامة في الكتاب تردد في أكثر الأوقات. غير أن الزبيدي سار في الاستشهاد أحيانا على مثال ما يرد في كتب النوادر من إيراد قطعة كاملة من الشعر دون الاكتفاء بموقع الشاهد وحدها.

5 - إيراد لغات الصواب المختلفة:


6 - ذكر أصل الاشتقاء:

فللظ مينا في المثال السابق «مشتق من الونى»، وهو القطور والسكون، كأنه السفن جرت حتى قررت وسكنت هناك فسمى مكان سكونها مينا» 4. ولا يشيء إذا كان هذا التمثيل صحيحا أو لا، ولكن

(1) من ذلك إيراده لقطعة «بعض الهذليين» في أثناء حديثه عن لفظة حنش (لحن العاموم: 1-2-1.3).

(2) لحن العاموم: 15-16.

(3) المصدر نفسه: 18.

(4) المصدر نفسه.
يهمنا فكرة البحث عن الأصول عند الزيدي. وفي مثال آخر: «وانا قيل له القمع: لا إنه يدخّن في الأثاث. يقول منه قمعت الأثاث اقمعه. ويقال للإنسان قد انقاعت وقع، إذا دخل في شيء، أو دخل في بعضه».

7 - مرادفات اللفظ:

ويقال للازيم أيضاً: زرفن وزرفن. ومثال ذلك أيضاً:

ويقال للمينا أيضاً حبس وحصر وصنع ومصنعة.

8 - تعليل أسباب دخول اللحن:

ويقولون للقلعة الصغيرة صبيان.

قال محمد: والصواب صواب، وجمعها صواب، ثم تجمع الصواب صبيان. ويقال قد صبَّت رأسه، إذا كثر فيها الصبيان. وانما دخل عليهم، لقولهم صبيان، فتوهموا أن واحده صبيان وظنوه الجمع الذي ليس بينه وبين واحده إلا الهاء.

9 - ذكر وزن البناء:

وقد أكثر الزيدي، حرضا على الدقة، من ذكر وزن اللفظة حتى لا يكون هناك مجال للخطأ مثال ذلك: «وهذا البناء على فعالة يأتي».

1 - المصدر نفسه: 39.
2 - المصدر نفسه: 16.
3 - المصدر نفسه: 19.
4 - المصدر نفسه: 19 - 40.
اسم ما سقط من الشيء، ولا بقي منه، وما أخذ منه، مثل: النجاة، والبراءة والسقاطة وهو اسم لما سقط مما تتحه أو تبريه، والضباب، وهي بقية الماء» ١.

١٠— شرح اللفاظ:
يرسم الزبيدي احيانا ان هناك من اللفاظ الوردة الفاظا تعسـر على الفهم فيشرحها، مثل ذلك:

«وكم دون بيتكم من مهمه ومن حش جاحر في مكا و الملكا الحجر، وهو يكون للفار والبرووع والقندف» ٢.

١١— الاستقصاء:
وهذه احدى ميزات الكتاب، مثلها: «وقال أبو علي عن ابن الأثيري عن القراء قال: العرب تنادي على تسع لغات، يقولون: يا رب، وياها رب، وأرب، وآرب، وأي رب، وأيا رب، ووارب، ورب» ٣.

١٢— اختلاف العامتين، الشرقيه والاندلسية، واتفاقهما:
يلاحظ أن مما يورده الزبيدي من الفاظ العامه الفاظا لحن بها

(١) المصدر نفسه: ٣٠—٣١
(٢) المصدر نفسه: ١٠٢
(٣) المصدر نفسه: ١٤٦—١٤٧

١٦٠
اهل الإندلس، ولم يفعل ذلك المشارقة، مثال ذلك: «ويسعون للجديدة التي يفلح بها الأرض سكينة فيفتحون.

قال محمد والصابور: سکنة» 1. وكان الزبيدي يتهب إلى ذلك
ويشير إليه احياناً، كما فعل في المثل التالي: «ويسعون موقف الدابة
صل ويجمعونه على سبيل».

قال محمد والصابور اصطف، وهو من كلام أهل الشام وجمعه
اصطف» 2.

غير أن العاميين تتفقان في احيان أخرى على الخطا، وأمثلة ذلك
كثيراً، من ذلك: «ويسعون: فلان شديد الغيرة على أهله. قال أبو
بكر: والصابور، الغيرة بالفتح» 3. ومن ذلك أيضاً: «ويسعون للذي
يلاط به البيوت كير».

قال محمد والصابور جييار، على مثال فعال ..» 4.

3 - اعتماد اللغويين والرواة بكثرة دون ذكر المؤلفات:
فالزبيدي ليس دقيقاً في هذه الناحية من البحث، فرغم أنه يرد كل
قول إلى أصحابه، الا أنه لا يذكر المصدر الذي استقى منه: «وروى
ابو عبيدة: كما يغشي السفائن موج اللغة العرك ..» 5. وأ قال

(1) المصدر نفسه: 136.
(2) المصدر نفسه: 133.
(3) المصدر نفسه: 144.
(4) المصدر نفسه: 145.
(5) المصدر نفسه: 57.

الحركة اللغوية 1111
سيبوه في الطرفاء كمقالته في الحلفاء ۱ وتردد عنده عبارة: زعم او يقول بعض اللغويين دون تنين هذا البعض: "وزعم بعض اللغويين أن اهل اليمن يقولون كلوا بالضم وهذا مردود" ۲. وقال بعض اللغويين: "بجمع اصطبغ صطلاب، وتصغيره صطبل" ۳. ومثل هذا لا يحبذ للمؤلف وان كان عملا شائعا آنذاك. وقد نال الاصمعي اولى نصيب من الاستشهاد بأقواله، فقد وردت اقواله في خمس وثلاثين صفحة من الكتاب، ووردت احيانا أكثر من مرة واحدة في الصفحة الواحدة. ونال يعقوب ابن السكينة نصيبا وافيا، ولكن اقل من نصيب الاصمعي، اذ ورد ذكره في سبع وعشرين صفحة. وبعد هذين يأتي ابو حاتم السجستاني ثم سيبوه ثم لغويون آخرون كثير.

ويقال ابو علي القالي، استاذ الزبيدي وصديقه، اكبر نصيب من عناية المؤلف ۴ وهو يتفوق حتى على الاصمعي. غير ان اهمية القالي دون اهمية الآخرين لأنه يروى اقوال الآخرين ويتحدث برواياتهم.

(1) المصدر نفسه: ۷۰.
(2) المصدر نفسه: ۶۵.
(3) المصدر نفسه: ۶۷.
(4) المصدر نفسه: ۱۳۴.
(5) المصدر نفسه: ۱۸، ۲۴، ۲۴، ۲۶، ۴۰، ۴۵، ۷۰، ۷۳، ۲۳۹، ۲۴۹، ۳۲۹، ۳۹۳، ۴۳۶، ۶۱۲، ۶۱۴، ۹۱۱، ۲۴۹ الخ.

۱۶۲
وهناك كثير من استشهد بأقوالهم مرة واحدة فحسب ، من هؤلاء
مثل: سعيد الأخفش ١، أبو داود السجستاني ٢، شعبة بن الحجاج ٣،
ابن أبي شيبة ٤، بكر بن حماد ٥، بسطام بن قيس ٦، وآخرون.
غير أنه، كما سبق القول، لم يكن يورد اسماء المؤلفات التي اخذ
 عنها. وقد ورد ذكر عدد قليل من الكتب في هذا المؤلف، هي: كتب
 للمؤلف نفسه « أبنية الأسماء والافعال » ٧، وكتاب باب علي القصالي،
cصدق والاستاذ، هو المصدور والمقصور ٨، وكتاب « لحن العامة » ٩
لابي حانم السجستاني الذي بني الزيدي كتابه على خطته ، ثم اخيرا
كتاب يدعي بـ « كتاب الأدب » ١٠، لم يذكر الزيدي اسم مؤلفه أو شيئا
عنهم. ( لعله أدب الكاتب أو ادب الكتاب لابن قتيبة )

٤٨ – وضوح شخصيته:

للفيدي شخصية تنتمي بالأساس. وهو ليس كاستاذه القالي مختصا
أبدا وراء اللغوين والإعراب، بل يفضل ويقترح الحلول ويقابل

| الصدر نفسه | ٩١ |
| الصدر نفسه | ٤١ |
| الصدر نفسه | ٢٤٤ |
| الصدر نفسه | ٢٣٧ |
| الصدر نفسه | ٢١٤ |
| الصدر نفسه | ٧ |
| الصدر نفسه | ٨٩ , ٨٩ |
| الصدر نفسه | ٧٥ , ١٨ |
| الصدر نفسه | ٥ |
| الصدر نفسه | ١٨٩ |
ويترضون. وتكرر الأمثلة على نضج هذه الشخصية ولكن تكتفي ببعض الدلائل منها: "وقلنيت رأسي بالقلنسوة، وقلت، على مثال فعلت وفعلت. ولا تعلم لهذين المثالين نظيراً في الكلام". وأوضح من ذلك هذا المثال: "قال محمد: وهذا عندي غلظ من أبي زيد...". وهو يعتبر قائلًا: "ولا أعرف في كلام العرب ما على هذا المثال اعني فصلول". وهو يفضل: "قال محمد: والقول الأول أحب إلي لأن القياس أن يأخذ التصغير والجمع حقيقة...". وربما كان أوضح الأمثلة وأكثرها دلالة هو المثال التالي: "...واهل الكوفة يعدون ما جاء مسند نحو هذا ثلاثياً، ويشتركون منه، ويذهبون اثنا عن صمامة من صمم، ولكنهم كرهوا اجتماع الأمثال، ففرقوا بينهما بحرف مثل الأول، وكذلك كشفت وصلت وحللت. والبحورون يعدون هذا كله ربايا، ولقول الكوفيين عندي اولي لأن الاشتقاق يحكم بصحته، والقياس يشهد له".

كانت بلحن العوام لهذا كله ليس صورة لاحاطة الزيدى وصبره على الجمع والتنسيق والرد وحسب، وإنما هو كنز لم شأ أن يتصور

(1) المصدر نفسه: ۲۷-۲۸.
(2) المصدر نفسه: ۵۲.
(3) المصدر نفسه: ۶۰.
(4) المصدر نفسه: ۱۲۴.
(5) المصدر نفسه: ۱۲۷.

۱۶۴
المدى الذي بلغته اللغة في الأندلس من الخضوع للتغيير والتبديل في النطق، وواضح أن كثيرا جدا من الاختيارات التي عدها الزبيدي إنا تؤخذ سماعا لا كتابة وإن أصله في مقدمة كتابه أنه يتحدث عن أخطاء الخاصة. وكثير ما عده الزبيدي من الخطأ لا يزال دارجا في لهجات المشرق حتى اليوم ولم يكن قاصرا على الأندلس، فانناس اليوم في الاستعمال العام يقولون: بكرة (فتح الكاف لا تسكنها) وروحة (بدلا من ريقة) وقرايا (في جمع قرية) وسكراة (بدلا من سكري) والفيرة (بكسر الفين) والجبس (بدلا من الجنس) وخبز (بدل خبازة)، بينما يعدي كثير من الاختيارات الأخرى «لهجة» أندلسية ظلت عائلة بالألسنة ولم يجد فيها كثيرا أصار الزبيدي على تبيان وجه الصواب فيها.

ثانيا - ابن القوطة (١٩٨/٣٥٧) ومؤلفاته:

هو أبو بيكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى ابن مزاحم، يعرف بابن القوطة، وهو لقب يرى بعض أصحاب التراجم أنه ورثه عن جده اسبانة من أهل الأندلس الأصليين: «وهي إم إبراهيم بن عيسى بن مزاحم قد ابي بيكر المذكور، وهي ابنة وبة بن...


(٢) وفيات الأعيان ٤: ٥-٦، الدبياج الذهبي: ٢٢٢.
فيضرة، وكان منملوك الأندلس، وعلى اخوته أرباس وقوماأ
الأندلس وسيدة افتتح طارق مولى موسى بن نصير مع المسلمين بلاد
الأندلس، وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك
مطولة من يمن أرباس المذكور فترىها بالشام عيسى بن مزاحم
المذكور، وهو من موالى عمر بن عبد العزيز الاموي رضي الله عنه،
وسافر معها إلى الأندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن مزاحم إلى
الأندلس وانساله بها. واجأت القوطية بكتاب هشام إلى الخطاب
الشعبي الكتبي، وكان عامله على الأندلس، بالإصابة عليها، فكتب
عليها وانصفها مما كان لها قبله ورعى حرمها، وعادت بها الحال
طالت حياتها إلى أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد
الملك الداخل إلى الأندلس من بني أمية، فكانت تدخل عليه وتهيئته
حاجتها، وغلب اسمها على ذريتها وعرفوا بها إلى اليوم؟، ولا نستطيع
إن تؤكد أو تنفي صحة هذه الرواية إذا تثبت على كل حال أن ابن
القوطية أصل أسباني، من طرف واحد على الأقل. ولا شأن لنا
بالتفاصيل. ومنع عيسى بن مزاحم الجد فهو مولى عمر بن عبد العزيز،

(1) كذا في ابن خلكان وليس في الولاقة أيام هشام من يحمل هذا
الاسم وله له أبو الخطار حسام الكتبي (125 - 127/424 -
440). 

(2) وفيات الأعيان: 5 - 6، ونظر: الدبيج المذهب: 236.
وكان من أصل بريبي، وقد أدخل في الأندلس من موالى الأمويين. ولهؤلاء الموالي مكانة خاصة إذا استطاع المرء منهم أن يبرز في ناحية من النواحي الاجتماعية أو الثقافية، وذلك ما حققه والد محمد، فقد استقراض الناصر على استغاثة سنة احتدى وثلاثمائة (914 م)، ثم على اشبيلية سنة ثمانين وثلاثمائة، واستمر في الولايات سبعة أوموم وسبعة أشهر. 1

وليس لدينا الكثير من الأخبار عن نشأة ابن القوطية. وكل ما نعرف عنه أن اصله من اشبيلية وانه قرطي. وله ولد في اشبيلية ونشأ بها، وكان له استاذة كثيرين من الأشبيليين. ففي اشبيلية سمع من محمد ابن عبد الله بن القوقوق، وحسن بن عبد الله الزيبدي، وسعيد بن جابر، وعلي بن أبي شيبد، وسيد أبيه الذاهب. 2 سمع بقرطة من طاهر بن عبد العزيز وابن أبي الواحد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب، وظاهر ابن الوليد ومحمد بن المفتي وابن لابية وابن ابي تمام واسلم القاضي وابن ابرم وابن الهشيش وابن يونس وقاسم بن اصبغ ونظرائهم، ومن أحمد بن خالد، ومحمد بن مسعود. 3 ويصبر حصر القئة التي درس ابن

1) الدليل والمكتبة 5: 493، وانظر الدبياج المذهب: 422.
2) تاريخ ابن الفرضي 3: 78، معجم الآداب 18: 272، وفية العهة: 42، الدبياج المذهب: 422.
4) تاريخ ابن الفرضي 3: 79، الدبياج المذهب: 422، وفيات الأعيان 4: 4، وفية العهة: 82.
القوطية عليها، إذ إنه «لتقى أكثر مشايخ عصره بالاندلس فأخذ عنهم وأكثر النقل من فوائدهم» ١.

ويقول ابن فرحون إنه كانت في غفلة وسلامة وتتفنف في ملبه وورع ٢. وتصفه المصادر بأنه كان من أهل النسك والعبادة. وقد تضافرت اخلاقه وعلمه على اكتساب قلوب الناس إليه وقال من احترام الطلاب على تفاوت درجاتهم الاجتماعية قسطاً بالفاً، وشهد له علماء عصره بالتقدم حتى كان القالي نفسه يبالغ في تعظيمه. ولما سأله الحكم من أبل من رأيته بيلدننا في اللغة قال: محمد بن القوطية؟. وبلغ من نسكه - وخاصة في الدور الأخر من حياته - أن توقف عن قول الشعر زهدًا وورعا مع انه فيما يقول بعض من ترجموا له كان يبلغ فيه «حدود الاجادة مع الاحسن في المطالع والمقاطع، وتخير الالفاظ الرشيقة والمعاني الشريفة» ٣.

غير أن ما تبقى من شعره، لا يسمح لنا بحكم منصف عليه، وإذا كان لنا حق الحكم من دراسة الآيات القليلة التي وصلتنا، فانها لا نضع ابن القوطية في فئة الشعراء المجددين. ٤ ٥

(١) وفيات الآيةان ٤: ٤، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ٦.
(٢) الديباج المذهب : ٢٦٣.
(٣) وفيات الآيةان ٤: ٤، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣.
(٤) الديباج المذهب : ٢٦٢، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٢.
(٥) راجع قطعة له في وصف الريعة وردت في بقية الوعاة : ٨٨، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٧، وقطعته له في الحنين وردت في البثيمة : ٦٥ - ٧٥، معجم الادباء ١٨: ٢٧٦.
ولم يقتصر ابن القوطية على ناحية واحدة من العلم بل كان يأخذ من العلوم المتباعدة آنذاك ما استطاعت طروبه أن تتيحها له. فكان من أعلم أهل زمانه باللغة والطريقة، وكان مع ذلك حافظًا للحديث والفقه، والخبر والنوادر، وأروى الناس للاشتهار، وأدركم للآثار، لا يلحق ضحيه ولا يبتغي غباره، وكان مضلعا بأخبار الإسلام، مليا برواية سير أمرائها، وأحوال فقهاها وشعرائها، يملئ ذلك من ظهر قلبه. وله في هذا الباب كتاب وصلنا وهو "تاريخ افتتاح الأندلس".

ويبدو أن اهتمام ابن القوطية الأول كان منصبا على اللغة، وقد عرف له المؤرخون هذه القدرة فأضافوا في صفات المديح والتبتجيل حين تحدثوا عن مقدرة اللغة، كما مر معاً آننا، وكانت "كتب اللغة أكثر ما نقرأ عليه وتأخذ عنه"؟. وقد اتفقت المراجع على أنه كان مبرزا في نواحي العلوم الأخرى من رواية شعر وخبر ومعرفة بسير الملوك والأمراء. غير أن هذه المراجع ترى أن ابن القوطية "لم يكن بالضبط

1. تاريخ ابن الفضلي 2: 79، الوفيات 4، النجاح المذهب: 262، زمن الدهر: 74، معجم الذ.toArray: 83، بغية الوثيقة: 84.

2. نشره جاويشوس في مدريد سنة 1868 وترجمه خليلان ورببرا 1971، وشك في أنه من تأليفه وذهب إلى أن الكتاب لاحد تلامذته. وطبع بيروت 1957. وقد ذكرت المصادر أن لاين القوطية تأتي في تاريخ الأندلس: "الديباج المذهب: 663".

3. وفيات الإباعان 4.
لا رواية في الحديث والفقه، ولا كانت له أصول يرجع إليها، وكان ما يسمع عليه من ذلك أنه يحمل على المعنى لا على اللفظ 
1. ولهذا عدد من المدلسين في الحديث.

وهذه هي أهم مؤلفاته اللغوية:

1- شرح رسالة أدب الكتاب: وسماء ابن خير كتاب شرح صدر أدب الكتاب، وعليه هذه التسمية أدب لأن ابن القوطية لم يتجاوز في شرحه مقدمة ابن قتيبة، ومن هذا الكتاب أيضاً جزء مختصر.

2- المقصور والمدود: "وقد جمع فيه ما لا يوجد ولا يوصف، ولقد اعجب من يأتي بعده وفقاً من تقدمه". ولم يذكر ابن خير هذا الكتاب في فهرسته، ومن الغريب أن لا تتصل به روايته.

3- الأفعال: ويستفي في بعض المراجع "تصريف الأفعال".

وموضوع البحث عن صيغته فعلى وأفعال سواء اتفقتا في المعنى أو

(1) تاريخ ابن الفرضي 2 : 79، وفيات الأعيان 4 : 4، الديباج
المذهب : 264، معجم الأدباء 8 : 4، بنيات الوعاة 84.
(2) الديباج المذهب : 73.
(3) وفيات الأعيان 4 : 4، بنيات الوعاة 44، فهرسة ابن خير.
(4) تاريخ ابن الفرضي 2 : 79، وفيات الأعيان 4 : 4، الديباج
المذهب : 264، معجم الأدباء 8 : 4، بنيات الوعاة 84.
(5) وفيات الأعيان 4 : 4، معجم الأدباء 8 : 4.
(6) تاريخ ابن الفرضي 2 : 79، وفيات الأعيان 4 : 4، بنيات الوعاة 44، فهرسة ابن خير.

الوعاة 44، وفيات الأدباء 8 : 4.
وينبغي أن الاهتمام بالافعال سبق الاهتمام بالاسماء عند الاصحاب
العرب الأول، ولعل السبب في ذلك التغييرات التي تدخل الافعال وكثرة
التصرفها ودخول عامل الزمن عليها. ولم يكن ابن القوطية أول من أولى
الافعال اهتماماً، وإنما سبقه إلى مثل هذا النوع من المؤلفات سلسلة
 طويلة من أعلام المشرق. وينبغي أن ابن القوطية قد استعان، على
الأقل، بعض هذه المؤلفات. غير أنه من العسير أن نحدد المؤلفات
التي أكثر الأخذ عنها، فابن القوطية، كما سئر، يأخذ المواد
مجردة من كل ما يوحي بمصدرها الأصلي.

وابن القوطية يبرز فضل الافعال في مقدمة كتابه فيقول: «علم
ان الافعال اصول مباني أكثر الكلام، وبذلك سعتها العلماء الأنبية،
وبعدها يستدل على أكثر علم القرآن والسنة. وهي حركات متقدمات.

(1) وأول من روى أنه ألف فيه قطب (ـ 268/827) والفراء
ـ 268/827 ثم أبو عبيدة (ـ 211/825) والاصصي
ـ 211/825 وأبو زيد الاصصي (ـ 215/829) وابو عبيد
القاسم بن سلام (ـ 269/880) وأبو محمد عبدالله بن محمد
التوزي (ـ 266/880) وعقوب بن السكينة (ـ 246/861)
وأبو حاتم سهل بن محمد الباجستاني (ـ 251 تقريباً)
وأبو العباس الأحول تلميذ ابن الأعرابي، وخصص له ابن قتيبة
ـ 276/878 (أبويا من كتاب ابن الابن في أدب الكتاب). والف
فيه الزجاج (ـ 311/923) وأبي ديند (ـ 321/932) في
خسما لجمهيرة وأبي درستوي (ـ 347/958) والقالي
ـ 356/967). راجع كتاب المعجم العربي: 159.

171
والأسماء غير الجامدة والأصول كلها مشتقات منها، وهي أقدم منها بالزمان، وإن كانت الأسماء اقدم بالترتيب في قول الكوفيين، والجامدة لا يشتق منها فعل مثل حجر وباب وما أشبههما، فأنكر لا تقول: حجر يحجر، ولا باب يبور. والبعض يقولون بقدم الأسماء وأن الإفعال مشتقة منها، ولكن وجهه ١.

وصف لمنهج الكتاب وقيمته في اللغة:

يحتوي المؤلف على:

أولاً - مقدمة.

ثانياً - صلب الكتاب.

أولاً - المقدمة لا تتعرض لمنهج الكتاب وطريقة المؤلف في التأليف، كما فعل الزبيدي في أبيته ٢، وانما يدخل في موضوعات تمهيدية، فيتحدث عن الإفعال الثلاثية ٣، واضرها: صحيحة ومعتلة ومضاعفة ومعدبة الخ..، وعن مصادر الثلاثي، والشواذ في ذلك، واختلاف المصادر بالنسبة لاختلاف الصغير، وعن مصادر الرباعي كذلك ٤، وما

(1) الإفعال، ابن القوطية: ١.
(2) الاستدراك على سبيله: المقدمة.
(3) الإفعال: ١.
(4) المصدر نفسه: ٣.
(5) المصدر نفسه: ٥.

١٧٢
ينقسم الكتاب إلى أقسام ثلاثة رئيسة:

١ - القسم الأول لما فيه فعل وأفعال.

٢ - القسم الثاني لما فيه أفعال وحدها.

٣ - القسم الثالث لما فيه فعل وحدها.

وفي هذه الأقسام الثلاثة جميعا أتبع ابن القوطية الترتيب التالي:

١ (١) المصدر نفسه.
٢ (٢) المصدر نفسه.
٣ (٣) المصدر نفسه.
٤ (٤) المصدر نفسه.
٥ (٥) المصدر نفسه.
٦ (٦) المصدر نفسه: ٧ - ١٦٢.
٧ (٧) المصدر نفسه: ١٦٣ - ١٧٥.
٨ (٨) المصدر نفسه: ١٧٦ - ٢٠٣.

١٧٣
الهمزة، الهاء، العين، الفين، الخاء، الحاء، الجيم، القاف، السين،
الشين، الصاد، الضاد، الالام، الراء، النون، الطاء، الظاء، الزال،
الدال، البااء، التاء، الزاي، التاء، اليم، الواو، الياء.

وهذا الترتيب هو الترتيب الرئيسي داخل كل قسم، أما الترتيب
الفرعي داخل كل صيغة فان له شأنه آخر، سنتبينه بدراسة اوسع فيما
يلي:

للكتاب الإفعال خطوط عريضة، يمكن ان نصفها بأنها متسقة
ومنسجمة، ولكن ان نحن دخلنا في التفاصيل فسوف نتعد شيئا فشيئا
عن دقة التنظيم والساق المنهج. لذلك فان أفضل طريقة، حسب ما
اردى، لفهم منهج الكتاب فيما دقيقا هي في:

أ- رسم الخطوط العامة والاستشهاد عليها، ثم:

ب- عقد مقارنة موجزة، ولكنها دقيقة وواضحة، بين ثلاثة
أحرف لتبيان الفروق في التفاصيل بين أجزاء الكتاب.

أ- الخطوط العريضة:

(1) انفرد ابن القوطيه بهذا الترتيب وهو غير جار على ترتيب
المغاربة للابجديه أو على ترتيب سبوعه أو الخليل في العين أو
القاسى في البارع والمقارنة اورد هنا ترتيب الخليل: ع ح خ غ
ق ل ج ض ش س ر ط ت د ذ ذ ر ل ن ف ب م و ي
اء. ولكن قد يلاحظ انه آخر نوعا من الترتيب على مخارج
الحروف حسبما ترأت له.

١٧٤
ياخذ ابن القوطية الحرف الواحد ويقسمه إلى قسمين: أولهما لما وردت فيه الصيغتان مع اتفاق في المعنى، وثانيهما لما وردت فيه الصيغتان مع اختلاف في المعنى. ثم أنه يتناول كل قسم من هذين القسمين على الصورة التالية: الافعال المضاعفة ثم الافعال الصحيحة ثم الافعال الممتلة. وأما الافعال المضاعفة فلا اقسام تحتها. أوما الافعال الصحيحة فانه يجعلها اقساما بحسب صورة ماضيها، فقسم ناصح بفعل، وأخرى بفعل، وثالث بفعل، وأقسام أخرى غير هذه الثلاثة اثبت فيها ما ورد من الصيغ على أكثر من صورة واحدة مثل: فعل وفعل، وفعل وفعل، وفعل وفعل، وفعل وفعل، والي ما سوى ذلك من صيغ. كما أن ابن القوطية قد جعل من المهموز قسم قائم لرأسه قبل الممتل. وفصل في الممتل بين الاجوف والناقص، وفصل بين الممتل الذي سلم حرف علته وبين الممتل الذي ابدل حرف علته، وفصل بين الممتل بالواو وبين الممتل بالياء: وفصل بين الممتل بحرف واحد وبين الممتل بأكثر من حرف أو الممتل المميز، وفصل بين صيغ الافعال المختلفة في الماضي من الممتل، كما فعل في الصحيح.

وأما في القسمين الآخرين — لما فيه افعال وحدها، وما فيه فعل وحدها — فانه اتبع التسليغ السابق، سوى أنه ها هنا لم يكن هناك إلا صيغة واحدة في كل قسم. فلم يوجد صيغتان بمعنى متفق أو بمعنى

175
مختلف. أما ما عدا ذلك فإنّه اتبّع الأسلوب الدراسي نفسه.
وقد التزم ابن القوطية أن يذكر الماضي والمصدر من كل ما اورده،
ومعانيهما الكثيرة دون أن يقتصر على واحد من المعاني.

ب - المقارنة الموجزة:

هذا هي، بصورة عامة، الخطوط العريضة التي تتهجها ابن القوطية في كتابه، والواقع أن مثل هذا الوضع البسيط قد لا يعطي صورة دقيقة عن الكتاب. فهنا منهج متسق، واما الكتاب فلم يكن كذلك. ولكي نستطيع ان تتبين حقيقة الوضع بالتفصيل سنعتمد الى مقارنة ثلاثة أحرف، نختارها من أماكن متّوافقة، لنرى الى اي حد تقيد ابن القوطية بمنهج الساقين وسوف يكون لنا، على كل حال، في هذه الأحرف الثلاثة شواهد تجمّد الخطوط العريضة السابقة وتوضح دلالاتها. غير التي سأعرضها بصورة موجزة، ولكنها دقيقة، تحافظ على الهيكل الأصلي، كما ورد في الكتاب.

جدول بالأحرف: الجيم ، الظَّاء ، والهاء :

(1) الانتقال : ٤٦ - ٥٣ .
(2) المصدر نفسه: ١٠ .
(3) المصدر نفسه: ١٤ - ١٤ .
حرف الجيم:

- الجيم على فعل وأفعال بمعنى واحد: المضاعف:
  جنته الليل جناؤا وجننا أجه: ستره.
- الثلاثي الصحيح على فعل:
  جهده جهد وأجهدته: بلغت مشقتته.

- على فعل:
  جنّف في الحكم جنّفا وأجنف: جار.
- وعلى فعل:
  جلّد المكان جلدا وأجلد: أصابه الجلد.
- المهموز على فعل:
  جفأت الباب جفتا وأجفتا: أغفلته.
- المهموز على فعل:
  جرأت المرأة وأجزأت: ولدت الإناث دون الذكور.
- المعتل بالواو في عين الفعل:
  جاز الوادي جزا وأجازه: قطعه.
- المعتل بالواو في لام الفعل:
  جزا الشيء جزا وأجزأ: انتصب.
- المعتل بالباء في لام الفعل:
  جرّت إلى الشيء جريا وجراً: وأجريت: أسرعت.
وعلى فعل وفاعل باختلاف معنى، المضاعف:

جزات الشعر والصوف جزاً: قطعتهما.. وأجز النخل.
والبره: يان يجزاً.

- الثلاثي الصحيح على فعل:

جهش جهازة وجهود: حديث نفسه، وأجهضت الناقة.
القت ولدها قبل تمامه.

- الثلاثي الصحيح على فعل وفعل وفعل:

جزات السنام والصيد جزلا: قطعته بنسفين، وجزئ الشعر، جزالة: عظم، وجزئ البغيض جزلا: انفج كاهله فرجة لا تبرأ، وأجزء العطية: كثرها.

- الثلاثي الصحيح على فعل وفعل وفعل:

جُسَّالотов الشحيم جمالا: أذبت، وجمال الشيء جمالا، ثم حسنه، واجملت الشيء والحساب: جمعته.

- الثلاثي الصحيح على فعل وفعل:

جَحَّمْت النار جموها: توفقت، وجَحَّمت العين جحمة، احمرت، وأجحمت عن الامر: تأخرت.

- الثلاثي الصحيح على فعل وفعل وفعل وفعل:

جُدَّار جدارة: صار جديرا، وجُدَّر جدرا: أصابه الجدري، وجَدَّر الظهر جدرا: صارت فيه جدرة شبه الحدة، وأجدرت.
الأرض : ابوت الجدَر.

- الثلاثي الصحيح على فعل.

جَكَل جيلا : ضد علم ، وأجبهته : وجدته جاهلا.

- الثلاثي الصحيح على فعل.

جَكَل جينا : ضعف قلبه ، وأجبهته : صادفته جنانا.

- الميموز على فعل.

جزاء بالشيء جزء : أكتفت به .. وأجزأ الشيء : كفي.

- الميموز المعلل في عينه.

جاء جبِهة وجبِا : أقبل .. وأجتاك إلى الشيء : اضطررك إليه.

- المعلل بالواو في عين الفعل.

جاب الفلاة والثوب وكل شيء جوبا : خرقه .. وأجاب : رد.

الجواب.

- وبالباء على فعل من السالم ، وبالواو على فعل من المعلل.

جيد جدا : طال جيده .. وجيد جوادا : عطش ، وجاد الشيء.

جودة : أي صار جيدا .. وأجاد الرجل أجود : اته بجيد من قول او فعل.

- وبالباء في لام من السالم على فعل ، والمعتل بالواو على فعل.

جميل جلي : انحسر الشعر من مقدم رأسه ، وجلوت السيفه.

وغيره جلاء : صقته .. وأجلل الأمر عن كذا .. : كشف.

179
الواو والباء في لامه معتلا:
جب الخراج جباوة وجبابة ..: جمعه، وأجيبي: باع الزرع
قبل ادراكه.

والواو في لامه معتلا:
جفا الشيء والجسم جفاء: غلظ خلقه .. وألفي الراعي الماشية:
إتبعها بالسوق ومنها الرعي.

والباء في لامه معتلا:
جري القرس جراء وجريا .. وأجرت الكلبة والذئبة: كان لهما
جراء.

حرف الظاء:
- الظاء على فعَّال وأفعال ومعنى واحد، المضارع:
ظلّ اليوم ظلالة، وأظلّ: صار ذا ظلّ.
- الثلاثي الصحيح على فعَّال:
ظلَّت ظلماً وأظلَّته: مشيت في صلابة الأرض.

- فعَّال وأفعال باختلاف معنى، المضارع:
ظلّ يفعل كما وكد: فعله نهاراً، وظلت أفعله ظلولاً، والشيء:
طال ودام، وأظلّ الأمر: أشرف.
- الثلاثي الصحيح على فعَّال:
ظلم العبد بالشراك ربه ظلماً، والاسم الظلم .. وأظلمنا: صرتا

١٨٠
في الظلام.

- وعلى فعل وفعل:
ظهرت على العدو: ظهوراً: علوتهو وأظهرنا: صرنا في الظهرة.

- وعلى فعل:
ظرف الفعل والجارية ظرفًا وظفته: بَرَّعاً وأدَّباً وأظفها الوالد: ولد ولداً ظريفًا.

المهموز:

ظفرت الناقة ظارًا: عطفتها على بوها فأظفرت.
حرف الها:

- الها من الثلاثي الصحيح على فعل وأفعل بمعنى واحد:
هدرت الدم هدرًا، وأهدرته هدر: أي بطل.

- وعلى فعل وأفعل:
هرع الإنسان هرَّعاً وأهَّر: سبق وأعجل.

المهموز على فعل:
هراء الهراء وأهراء: بلغ منه.

المثل البالياء في عين الفعل:
هال الطعام والتراب هيلا: صبّته، وأهالاه لغة.

- وبالياء في لامه:
هديت المرأة الى زوجها هداها، وهي منهما لغة.

_ المضاف على فعل وأفعال بمعنى مختلف:
هل المطر هلال: انصب بشدة، وأهل الهلال: طلع.
_ الثلاثي الصحيح على فعل:
هرب هربا وهو ربا: فر، وأهرب: أسرع.
_ وعلى فعل وفعل:
هدبت كل محليّة هدبا: حلطت بأطراف الاصبع.
وهدب الإنسان هدبا: طالت أشجاره وأهدب الشجر.
كرت اغصانه وهي الهدب.
_ وعلى فعل وفعل:
هضمت الشيء هضما: نقصته، وهضمت الجارية: لطفه.
حشاها.
_ المعتل بالباء في عين الفعل:
هاب الشيء ومنه هيبة: حذره، وأهبت بك إلى كذا: دعواك.
اليه.
_ وبالوا في عينه من السالم على فعل، وبالباء من المعتل على فعل:
هوجره هوجا: اضطرب من حمته، وهجاج البقل: يبس.
هائجة النبات.

182
وابلياء في لامه من السالم على فعل ومعتلت على فعل.

هوي الشيء هو: أحبه .. وهوي الشيء: مات أو سقط ..

هؤلاء ..

وابلياء في لامه معتسلا:

هداه الله هدى: أرشده .. والطريق هداية: دلته عليها ..

وأهديت الهدية والمدح والذم: أرسلت ..

والواو في لامه:

هبة العبار هبنوا: أرتفع .. وأهمي الظليم: أثار العبار في جريه ..

وبعد عرض هذا الجدول الموجز الدقيق، مع الامثلة، نستطيع ان ندرك لماذا وصفنا منهج ابن القوطيئة بأنه متسق في الخطوط العراقية وليس متسقا في التفاصيل، فلو نحن نأخذنا أول ثلاثة أجزاء من هذه الأحرف الثلاثة لتبين لنا ما يلي:

الجزء الأول:

- الجيم على فَّعَّال وأفعال بمعنى واحد، المضاعف.
- الظاء على فَّعَّال وأفعال بمعنى واحد، المضاعف.
- الهاء من الثلاثي الصحيح على فعل وأفعال بمعنى واحد (دون المضاعف).

الجزء الثاني:

- الجيم، الثلاثي الصحيح على فعل
الظاهرة، الثلاثي الصحيح على فعل
الهاء، الثلاثي على فعل وأفعال
الجزء الثالث:
الجيم، وعلى فعل
الظاهرة، وعلى فعل وأفعال باختلاف معنى، المضاعف
الهاء، المهموز على فعل
والمنروض، لو أن منهج ابن القوطي متسق ومتساو، أن تكون
كل مجموعة من هذه المجموعات تحمل التقسيم نفسه. ونحن نستطيع
باستعارة بعض التعبيرات الرياضية أن نصور هذه المجموعات بالصورة
التالية:

١ - ج = ظ والائتتان لا تساويان: ه

٢ - ج = ظ والائتتان لا تساويان: ه

٣ - ج لا تساوي ظ ولا تساوي ه

وطبيعي أننا نستطيع أن نستقر، بمراجعة الجدول الفاصل، في عقد
هذه المقارنة ونستكشف عندئذ مبلغ ما خرج به ابن القوطي عن الخطوط
العريضة التي رسمها لنا.

وهذا الجدول السابق قد أختير بحيث تقل الاختلافات قدر
الأمكان. ويعود السبب في ذلك إلى انتي تعمدت أن تكون الاحرف
الثلاثة من قسم واحد من الكتاب، وهو القسم الأول (الصيغة على

١٨٤
فعل وأفعاله ، ولو نحن قارنا بين صيغة من القسم الأول وصيغة من القسم الثاني (أفعال) أو الثالث (فعل) فان الفروقات مستصبح اشد بروزًا ، مع صرف النظر ، بطبيعة الحال ، عن الفروقات التي نجت عن طبيعة كل حرف.

ومما زاد في التشويش ان ابن القوطيّة اعتبر الحرف الأول من المادة فقط . وهذا ادى الى زيادة الصعوبة في العثور على اللحظة المطلوبة .

ويمكن لدارس الكتاب ان يلاحظ في سير كيف تندر فيه اسماء اللغويين . وما ذلك الا اللافت للموضوع غير قائم على الاستناد بالرواية . فهذه هي طبيعة الامثال في اللغة ولا ينفرد فيها عالم دون آخر برأيه الا في النادر ، انها هم المؤلف حصرها في نطاق لا يشذ عنه شيء .

وهذا الكتاب جدول او مجموعة من الجداول ، ولو انه طبع على هذا الشكل لكان استخراج الفوائد منه اسرع . وهو اقرب الكتب اللغوية القديمة الى موضوع اللغة ، ولكي اثبيت هذا الموضوع ، فالفاعل لابن القوطيّة كتاب لغوي صريح ، ليس كتاب اخبار ولا كتاب أدب ، ولا تشوبه الروايات والمقطوعات الشعرية مثل ما كان الامر بالنسبة للكثير من الكتب اللغوية . وحتى كتاب الاستدراك على سبوعه ، وهو كتاب أبنية ، لم يجرد من الأخبار والشاعر ، وبخاصة في تفسير الغريب الذي قام به الزيدي تعقيبا على النصوص والالافاظ المستغلقة .

١٨٥
كذلك يندر فيه الاستشهاد بالشعر والاحاديث والآيات وأمثال العرب. والاستشهاد بالاحاديث النبوية أكثر من سواها. فإذا استشهد بيت الشعر لم يكد ينسب لقائله إلا في ما ندر.

وقد لاقت الكتاب شهرة واسعة، وامتدحه أصحاب الترجمة والمؤرخون فجاء في انباه الرواة: "وهل كتاب في الاعمال لم يولف مثله". وباشر بعض المؤرخين إلى أنه أول من استن هذا الفن - وقد رأينا أنه لم يكن كذلك. ولكن كتابه كان ذا أثر في التأليف من بعده فاحترام ابن القطاع كما بسطه تلميذه سعيد بن محمد المعاوفي القرطبي المعروف بابن الحداد.

(1) المصدر نفسه: 45, 144, 126, 128, 168.
(2) انباه الرواة: 178, وانظر: جذوة القبض: 72، يثنيه الدهر: 74.
(3) من هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية (423 صرف).

فقد أطلع عليها الدكتور حسين نصار ووصفها في كتاب "العموم العربي" (125 - 126). وخلاصة ما ذكره أن المعافي صدر كتابه بمقدمة فاز فيها كتاب استاذه، ثم غلب في ترتيب الحروف الذي اتبعه ابن القوطية واختار ترتيب سبأيه، وزاد أبواب الرباعي الجردر، والمزيد من الثلاثي والرباعي، وغير في ترتيب فصول ابن القوطية، وقرر الفعل مع كل معنى جديد، وزاد في الشرح واستكتر من الشواهد، وأتي بأفعال لم يتعرض لها ابن القوطية جعلها استدراكا في خاتمة كل فصل، وميز بين ما كان لدى ابن القوطية وما زاده بالتصريح باسمه حيث اقتضى الأمر ذلك.
ثالثاً - أبو علي القالي َ (١٢٥٦/٩٦٧) ومؤلفاته:
نسبته ونشأته

هو أساعيل بن القاسم بن عيزون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ١. ويدو أنه لم يتحدد من أصل عربي صريح، نستنتج ذلك من أن جده سليمان كان "مولي عبد الملك بن مروان".

وقد ولد أبو علي بمنازجرد من ديار بكر، وهي من أعمال أرمينية ٢. وكانت ولادته عام ثمانية وثمانين ومائتين (٩٠١ م) ٣. في رواية، وفي رواية أخرى أنه ولد عام ثمانية وثمانين (٨٨٣ م) ٤. وفي منازجرد نشأه، وأغلب الظن أنه اقام في تلك الجهات فترة من الزمن إلى أن كبر واشتد عوده. وتاريخ حياته في تلك الفترة غامض.

الف أبو محمد الفهري كتابه في نسب أبي علي البغدادي ورواياته ودخوله الأندلس (نفح الطيب ٤ : ٢٢ )، ولكن الكتاب لم يصلنا ٥.


(٢) أباه الرواة ١ : ٤٢، بقية الوعاة : ١٩٨.

(٣) أباه الرواة ١ : ٢٧، تاريخ ابن الفضي ١ : ٨٣.

(٤) جدودة المقتبس : ١٥٧، طبقات الزيدية : ٢٠٤، وفيات الأعيان ١ : ٢٠، معجم الأدباء ٧ : ٢٧.

(٥) جدودة المقتبس : ١٠٤.
للغاية، وليس هناك من الأخبار عن طفولته وأول شبابه سوى ما اورده من رواية ولادته، ورواية نشأته في منازجرد. وتظل الحقبة ما بين ولادته وبين انتقاله إلى العراق حقبة غير معروفة. غير أننا نستطيع أن نحدد هذه الحقبة زمنيا حين نعرف أن القالي نفسه يقول: "ورحّلت إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة (٩١٦ هـ)".

تلقبه بالقالي

وغلب عليه لقب القالي وهو نسبة إلى مدينة قالي قلا. ويروي لنا القالي نفسه سبب تلقبه بهذا اللفظ يقول: "لما انحدرنا إلى بغداد، كنا في رفقة فيها اهل قالي قلا، فكانونو يحافظون لمكانهم من الغفر، فلما دخلت بغداد، اتُسببت إلى قالي قلا وهي قرية من منازجرد، رجوت أن تنفع بذلك عند العلماء، فمضى عليّ القالي"، ونحن نجد روايات مشابهة لذلك في النص والمعنى، اللاحق ينقل عن السابق في غير مصدر من المصادر التي ترجت له.

وقالي قلا هذه بلدة قريبة من مسقط رأس أبي علي، إذ أن ذكرها في كتاب التاريخ يرد في كثير من الأحيان مرتبطة بذكر منازجرد. يقول ياقوت: "قالي قلا: أرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة؟". فالبلدان الذي من أعمال أرمينية.

۱۸۸
ويقول القلطي: "قاليقلا، وهي قرية من منازكرد". غير أنه يبدو غريباً أن ينسب أبو علي إلى قاليقلا في حين أنها قرية من قرى منازكرد.

بالأولى في مثل هذه الحال ان ينسب إلى بلده الأصلي. ومما يكن من أمر فاته كان لقاليقلا، على ما يبدو، مكان في قلوب الناس، ففي تلك الرحلة، كما يروي أبو علي، "كانت معهم خيل، فكلما دخلنا بلداً حافظ اهل قاليقلا، وكانت معهم دواب، فأراد بعض العمال اخذها منهم، فلم يأتتبوا إلى قاليقلا تركوها، ورأيت الناس يعظمونهم".

غير أن هذه المظاهر كلها لم تتفع القاليقلا كثيرا، فلقد غره في بداية الأمر هذا الاستقبال والترحب فقرر أن يفتشي الفرصة ويسفده من هذه المبيزة، وهو يقول: "فلما دخلت بغداد اتُسبت إلى قاليقلا، ورجوت أن ينفعني ذلك عند العلماء، فلم اتفع بذلك، وعرفت بالتالي".

وقد تلبسه اللقب وفاته الحظوة.

دخوله العراق

في سن الخمسة عشرة أو في سن الثالثة والعشرين تبعاً للرواية التي تأخذ بها من روائية مولده، دخل أبو علي العراق. وأميل إلى تفضيل سن الثالثة والعشرين، إذ أنها تناسب الرحلة والانتقال لأخذ العلم. فمن المشكوك فيه أن يتسكن من هو في الخامسة عشرة من السفر.

1) انباه الرواية 1982.
2) المصدر نفسه 1989.
3) المصدر نفسه.

189
وركوب المشقات، ما لم يكن مصحوباً بمن يعتن بشؤونه، وهو ما لم يذكره القالي في احاديثه، بل كان يشير دائماً إلى نفسه بصيغة الفرد.

اتفقو المؤرخون على أن ابا علي ترك بلده عام ثلاث وثلاثمائة، ولكنهم لم يتفقوا على تحديد الطريق التي اتبعها. فمنهم من يدعي أنه دخل بغداد في سنة ثلاث وثلاثمائة 

١، ومنهم من يرى أنه عرَج عن الموصل قبل دخوله بغداد، وقد نقل عنه قوله: "ورحلت إلى بغداد، سنه ثلاث وثلاثمائة فأقيمت بالموصل، وكتب عن أبي علي الموصل وغيره، ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاثمائة (١٩١٧)

٢. وربما كانت هذه الرواية الثانية أقرب إلى الصدق، اولاً: لانها لا تنفي قدم القالي إلى بغداد وانما تؤجل هذا القدوم، ثانياً لأن الموصل في طريق القادمين من أرمينية وربما الظن ان القالي عرَج عليها أخذ من علمائها، ثانياً: ورد في غير مرجع تحديد اسم عالم أو أكثر من اخذ عنه ابا علي في الموصل، وتحديد للعلم الذي تلقاه، رابعاً: في بعض المصادر التي ربطت دخول ابي علي بغداد بعام خمسة وثلاثمائة، اشارة تجعلنا نميل الى الاعتقاد بدخول ابي علي الموصل قبل وروده إلى بغداد، هذه الاشارة هي: "وقيل: أنه كان

(١) تاريخ ابن الفرسی 1: ٢٩٣، جذوة المقتبس: ١٥٤، بقية الوعاة: ١٩٨.
(٢) معجم الأدباء: ٧: ٢٦، طبقات الزرداصي: ٣٠٤، انها الرواة: ٢٧، وفيات الأعيان ٢٠٢٠، ٢٠٠١.
سمع من أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي 1. ومنع ذلك أن
ابا علي أقام في الموصل سنتين يكتب عن أبي يعلى الموصلي وغيره 2. وكان للحديث أكبر نصيب من هذه الدراسات إذ يجدن آخرون طيبتها
فيقولون : وأقام بالموصل لسماع الحديث 2. واجتذبته بغداد فانتقل
اليها، أو هو تابع طريقه إلى بغداد وفق الخطة التي كان قد رسمها لنفسه
في انتقاله من بلده منازجدة. ودخلها عام ثلاثمائة وخمسة، كما رأينا في
الروايات السابقة، وكان سنة آنذاك خمسة وعشرين عاماً. فهو شاب
ناضج قادر على مواجهة اعباء الحياة والدخول في المجالات العلمية
والدينية.

استاذته

يمكن تقسيم الأساتذة الذين أخذ عنهم في بغداد إلى قسمين رئيسيين:
أ - أساتذة في الحديث والعلوم الدينية. ومن هؤلاء: «أبو بكر
عبدالله بن أبي داود السجستاني، وأبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد،
وأبو عمر يوسف بن يعقوب القاضي، وأبو القاسم عبدالله بن محمد

(1) جودة القئس 155. وقول هذه الرواية «وقيل» بصيغة
التعريض لا داعي له فان الزبيدي وهو أقرب إلى القالي من غيره
يقول بصيغة القطع: فاقتت بالوصل. كتب عنها يعلي الموصلي
وغيره (240).
(2) وفيات الأعيان 1 205.
الفصل الاختمار، ومن أبي بكر محمد بن أبي الأزهر، ومن أبي محمد عبد الله بن جعفر درستونه، اخذت منه كتاب سيبويه عن المرد، ومن أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، اخذت منه كتاب أبيه، ومن أبي بكر أحمد بن محمد بن موسى بن ماجد المقرئ، قال: قرأت عليه القرآن بحرف أبي عمرو بن العلاء، غير مرة، واخذت كتابه في القراءات السبع وغير ذلك، ومن أبي عمر بن عبد الواحد المطرز، غلام ثعلب، حدثنا عن ثعلب، ومن أبي بكر محمد بن عبد الملك التاريخي، ومن أحمد بن يحيى المنجم النديم اخذت منه كتاب الزبير بن

(1) توفي ببغداد سنة 315/127، اخذ عن ثعلب والمرد وغيرهما.
(4) توفي في 1958/347، وهو من تلاميذ المرد، له تفسير لكتساب الجرمي، تعاين في جمع أصول العرب، وله كتاب الإرشاد في النحو (طبقات الزبيدي: 172).
(5) ولد ببغداد، وانتقل إلى مصر لتولي القضاء سنة 321/373، وتفصّل فيه ابن مات سنة 322/374، وروى كتب أبيه.
(6) (انظر أباه الرواية: 46 - 65).
(7) (انظر طبقات الزبيدي: 208 - 209).
(8) (انظر طبقات الزبيدي: 206 - 207).
(9) هناك ترجمة أورده القطبية للمؤرخ عبد الملك النحوي البغدادي. ولعله هو الذي أخذ عنه الصليبي. (انظر: أباه الرواية: 17 - 18).

194
بكار في النسب، ومن الدمثقي أحمد بن سعيداً. وهذه مجموعة من النسب، استطاع التالى أن يستفيد من صحبهم فترة طويلة من الزمن.

وفي إمكاننا ان نحدد ما درسه على كل واحد من هؤلاء العلماء، وانما نكتفي بذكر أكبر علمين أثراً فيه ووجها دراسته وهما ابن دريد ونفيتى.

فقد أخذ عن الأول منهما كتب أبي حامد السجستاني ككتاب لحن العامة قال: قرأته غير ميثوب على أبي بكر بن دريد، وكتاب فعلات وكتاب الفرق وكتاب الفنوات، وكتاب الواحي وكتاب الطير. ثم كتب ابن دريد نفسه كالجبرة والملاحين، وكتب أبي زيد الانصاري، وكتب الأضمني ونوادر أبي زيد الكلاسيكي، والشارسة، الأتى الجاهلي وأشعار هذيل وشعر أغنى بكر وأراجي، الغزالة وروثة وشعر عمرو بن أحمد الباهلي وشعر جميل وشعر أبي النجم وشعر النابغة والشماخ والمثلث وعروة بن الورد وشعر كثير والقطامي وعدي بن زيد والافروه والمريشين وسلامة بن جندل وقاس بن الخضير والطربوش ومریب الفقي ودرید بن الصمة وأبي خلدة وطهيل الغنوي.

(1) النحوي الإخباري الفقيه، كان يؤدي أولاد المعتزي. (انظر

ابن الرواة: 45).
(3) مهربة ابن خير: 338، 279، 349، 376، 392، 392.

190
وقرأ على نفطوية كتاب اطرغش في اللغة والأخبار والنقائض وشعر
ذي الرمة وعمرو بن قميظة وعلقمة بن عبدة والتابعة الجمدي وأوس بن
حجر والاخطل وعمر بن أبي ربيعة وجرير 1.

والقالي في هذه الفترة العراقية يذه خواتمه في هذا الجهاد العلمي
الذي نذر له نفسه ويقيد كل ما قرأه وزمان قراءته على نحو تفصيلي دقيق
فذا تحدث عن كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد قال: «ابتدأت بقراءة
هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري سنة
317/934 يوم الثلاثاء لائست عطرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة في
مسجده على باب داره في درب البقر ذسر من رأى وأكمله يوم الثلاثاء
الخمس مضين من ذي القعدة سنة إحدى وعشرين (937 م) وكانت قراءته
عليه في الثلاثاءات وكانت مدة قراءته اياها عليه أربعة أعوام وأربعة أشهر
وسبعة عشر يوما» 2. وإذا ذكر كتاب الالفياظ ليعقوب بن السكيت
قال: «بدأنا بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار
الانباري يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة
321/933» 3.

وفي هذين النصين حقائق هامة، فمنهما نعلم نظام الطلب العلمي

1) المصدر نفسه: 372، 391، 390، 382، 397
2) المصدر نفسه: 328
3) المصدر نفسه: 329
والدراسة فهناك تعاقد وترتيب في التدريس، وذلك أن القالي بعد انتهاء من الكتاب الأول توقف أسبوعًا أو نحوه وابتدأ الكتاب الثاني إلا أنه قرأ الكتاب الأول منفردا لقوله: "قرآنا" ثم أخذ يقرأ الثاني مع مجموعة من الطلبة لقوله: "قرآنا" ويدل النصان كذلك على أن ابن الانباري كان قد خصص يومًا معينًا للتدريس في الأسبوع، وأن الطالب لذلك كان يقضي في دراسة كتاب واحد عدة سنوات، كما يدنا النص الأول على أن أبا علي القالي لم ينفق كل وقته في بغداد، إذ نراه يدرس أيضًا في سر من رأي.

لكل هذا كانت السنوات التي قضاهًا في العراق هي الاعوام التي جعلت من القالي عالماً يتميز بسعة الإطلاع والتوثيق في ما يأخذ ويدرس مثلما يتميز بروح علمية غاية في الدقة، وستكون ذقته العلمية أكبر العوامل التي أمالت إليه قلوب الانتداسيين، وأثرت في طالبه تأثيرًا بعيدًا، ووضعت الأصول الصحيحة للحياة اللغوية في الانتداس. ولم يشب علمه تزيد أو ادعاء، فأذا حمل من بعد إلى الانتداس كنبًا لم يقرأه على الشيوخ قال إنه لم يقرأه، فقد كان أتقى لله وأشد اختلاصاً لروح العلم من أن يكذب، قال وهو يتحدث عن ديوان زهير «شرح زهير بن أبي سلمى تام في جزء رواية متابعة عن ثعلب، فرع لا أصل له»، خلفت الأصل ولم يتسع.

197
الوقت فائق، وقال: "شعر أبي نواس ولم أقرأه"، وقال:
ومقاتل الفرسان نسخة غير موضوعة ولا موضوعة، وجزء فيه عدة من
أيام العرب ومعاني الشعر للباحث، وقد كنت أشتريت هذه النسخة
علي أن أقابلها فقط可以看到 عن ذلك الشغل؟"
فلما عجب بعد هذا إذا أثني المؤرخون على أبي علي فقالوا فيه "كان
احفظ أهل زمانه للغة، وارواهم للشعر الجاهلي، واحفظهم له، وأعلمهم
لعل النحو على مذهب البصريين، وأكثرهم تدققا فيه".
وهناك من الأخبار ما يشير الى أن ابا علي لم يقف عند حدود الآخذ
فحسب، وإنما تُعدى ذلك إلى المشاركة الفعلية في المناقشات. ويترى لنا
ذلك واضحًا في اتصاله بابن درستويه: "قرأ على ابن درستويه كتاب
سيبوه أجبع، واستفسره جمعه، ونظر فيه، ودقق النظر، وكتب عنه
تفسيره، وعلل الله، وأقام عليها الحجة، وأظهر فضل البصريين على
الكوفيين، ونصبه على من خالله من البصريين أيضاً، وأقام
الحجة". ومن هذا الخبر يمكننا أن نستنتج أن ابا علي كان يتطلب

198
العمق في دراسته والشمول، وكان له الى جانب ذلك شخصيته التي تؤيد وتذبح، وتنصر مذهبًا على مذهب وعالمًا على عالم.

وليس هناك، بين ما عثر عليه من أخبار، ما يشير الى طبيعة المناقشات التي كان أبو علي يشارك بها. وليس لدينا امثلة من هذه المناقشات لنعرف مدى ما اثاره القالي من جدل ومدى ما احرزه من تفوق. انا يهمنا ان نعرف ان ابا علي بعد ثلاثة وعشرين عاما من اقامته في بغداد ودراسته الجادة هناك، وبعد ان بلغ من العمر ستة وأربعين عاما، وجد نفسه في موضع لا يمكن وصفه بانه موضع القمة. ويبدو انه احس بأنه لن يبلغ القمة في بغداد آبداً، وذلك انه وجد في عصر "الجبرة" - ان صح القول - "وادرك المشايخ ببغداد كابن الامباري، وابن درستويه، وابن دريد، ومن في عصرهم"، وسمع من سائر العلماء الاعلام الذين عدده اسماءهم من قبل. ولم يكن يستطيع ان يتفوق عليهم أو يبرز له اسم بينهم لو ظل مقيماً ببغداد، ولذلك كانت هجرته الى الاندلس مسجلاً حصناً للتفوق والشهرة.

وفي الطريق بين العراق والاندلس تقع مصر، ولسنا نملك من اشارة الى مكوث أبي علي فيها سوى عبارа قصيرة وردت في انباء الرواة وهي:

"... أبو علي القالي المعروف بالبغدادي نزل مصر" (1)، ولا يمكننا

(1) المصدر نفسه ١٠٥٤.
بالضبط. كشف ما تطوي عليه هذه العبارة، وما يمكن أن تدل عليه من زمن. غير أننا إذا قمنا أن الطريق بين العراق والأندلس استغرقت عامين، أفمنا عندننا أن نستنتج أن اقامته في مصر لم تحقق - لم تستغرق أكثر من شهور قلائل.

في قرطبة
قال: أبو علي: وخرجت عن بغداد سنة ثمانية وعشرين وثمانية (340 م)، ثم دخلت الأندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة (942 م)، ثم دخلت قرطبة في شعبان لثلاث بقيت منه سنة ثلاثين وثلاثمائة».

وقد: وفد على الأندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن». 2

وبعد أن ذكر المقرى تاريخ دخول القالي لقرطبة قال: «وهو مما يبين أنه قدم في زمن الناصر، لا في زمن ابنه الحكم. وقد صرح بذلك الصفدي في الواقية فقال: وما دخل المغرب قصد صاحب الأندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن». 3. وما مضى نرى أن خلافنا نشأ حول زمن وفادة النبي علي القالي إلى الأندلس مشؤوب الوهم الخاص، ذلك أن الذين ظنوا وفد أيام المستنصر لم يعلموا أن هذا الامير كان مهتما بتشجيع العلوم والعلماء في حياة الناصر أبيه. وصرح المقرى بوجود مثل هذا الخلاف.

-----------------
(1) طبقات الزبيدي: 204، انها الرواة: 1.8 202.
(2) نفح الطبخ: 77.
(3) المصدر نفسه: 73.
قال: «وبعض المؤرخين يزعم أن وفادة أبي علي القاّلي انما كانت في خلافة الحكيم المستنصر بالأندلس، لا في خلافة أبيه الناصر، والصواب أن وفادته في أيام الناصر، لما ذكره غير واحد من حضره وغيره عن الخطبة يوم احتفال الناصر برسول الأفرنج».  

ولم يكن القاّلي في طريقه إلى الأندلس كثر التفاؤل بحال اللغة فيها، فقد عرف من أمر اللغة في طريقه ما جعله يخوف من هذه البلاد النائية، وقد انشه الذي أورده القرىشي إلى مثل ذلك التوقع المؤلم الذي كان القاّلي يعيش فيه: «وذكر أن أبا علي البغدادي صاحب الامام الواقف على الأندلس في زمان بنى مروان قال: لما وصلت القيروان وأنا اعتبر من أمر به من أهل الامصار فأجدهم درجات في العبارة وقلة الفهم، بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد، كان منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاسبة ومقايضة. قال أبو علي: فقلت أن نقص اهل الأندلس عن مقدار من رأيت في آهائمهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج إلى ترجمان في هذه الأوطان». غير أن أهل الأندلس لم يكونوا كما توقع القاّلي، وفي ختام الرواية السابقة يقول القرىشي: «فبلغني أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسي.

(1) نفح الطيب 4: 71، وقد نقرر قصنا إن القاّلي وصل الأندلس عام 942/330، وكان الناصر هو الخليفة بومد وقد عاش القاّلي في ظل خلافته عشرين عاما فلا داعي لهذا الخلاف من أساسه.
(2) نفح الطيب 4: 150.
في ذكائهم، ويتغطي عنهم عند المباحثه والمناقشة، ويقول لهم: أن علمي علم روایة، وليس علم درایة، فخذوا عني ما نقلت، فلم آل لكم أن صحت، هذا مع اقرار الجميع له يوميئذ بسعة العلم وكترة الروايات، والأخذه عن الثقات.

وستقبل أبو علي استقبالاً حافلاً و" أمر ... الحكم - وكان يتصرف عن أمر أبيه كالوزير - عامله ابن رماح أن يجيء مع أبي علي إلى قرطبة، ويتلقاه في وفد من وجوه رعته ينتهم من يباص اهل الكورة تكرمة لأبي علي، ففعل، وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل، فكانوا يتذاكران الأدب في طريقهم، ويشاشدون الأشعار«1.

ولعل الناصر استقبل أبا علي في احتفال خاص وأنشد الشعراء يوميئذ قصائدهم. وكان في من أنشد الشاعر الرمادي قصيدته: "من حاكم بيني وبين عذولي"، وتقدم التالى نفسه فأنشد قصيدة من نظمه في مدح الناصر، وكان ذلك في شعبان من عام 943 / 330.

واستقر القاضي بقرطبة يدرس ويؤلف وهو ينال التشجيع والآكرام، وكان من الحوادث البارزة التي عرضت له في السنوات الأولى، موقفه يوم وفدت سفارة امبراطور القسطنطينية إلى بلاد الناصر (2).

\1 الصدر نفسه 4: 70.
\2 فهرسة ابن خير: 432.

204
(946) ... وسَل الْقَالِي الّذِي يُقَام بِالْخَطْبَة بِيَدِي الْخِيْلاَة فُادَرْكِه الحَضْر، ولم يُنْقِدُ الْمَوْقِف يوْمَيْنَة الْمَنْذُر بُن بَن سَعْدُ الْبِلٌوْتِي. ثم مَضَت به الْأَيَام مِنْ بَعْدِ الْتَأْلِيف والْتَدْرِيْس بِقَرْطُبة وزُهْرَاء وحوَّلُه أَعْلَام قَرْطُبة وطلَاب الثقافة في ها، فلَه مَجِلِس في الزهراء كِل يوم خميس يَمُلي فيه الدَّوَادُ، ونُزُه يَقْرِئُ العَرْي المَصْنَف لِطلَابه عام 954/1346، ويدَس خَلْق الإنسان لثابت عام 349/960 - 961 - 962. وهو في اثْنَاء ذلِك يُؤْفِك، فيِّدأ عَمَلِه في البارع سنة 339/950 وَيَظْل يَمُلي فيه حَتِى سنة 355/966، وتدَرَك مِنْهَتُه في الْعَام التَالي قَبْل أن يَنْقِحه، صَنَاعَة وعشْرِين سنة قَضاها في خَدَمَة الْعَلَم وتخْريِج الْطَلَاب في الْانْدِلْس، حَتِى وافَتَهُ الْمَنْية ودَفِن بِمَبْقِير مَطْعَة بَظَار قَرْطُبة.

ويُصِب التَأكِد مِن حَقَّيقة السَبب الّذي جَعَل إِبَآ عَلي يَتَرَك بَغِداد يَنوَجَه لِقَضاء بقِية حياته في بَلدِ الْانْدِلْس، وربَّما كان الامَر يَعوَد الي أَكْثَر مِن عَمَل واحْدِ.

أَحِد هذِه الْمَعَالِم رَغْبَة الْقَالِي في ان يَنْتَش عن آفَاق جَدِيدَة لَكَسِب المال والْضَرْبة، وَقَد كان الْقَالِي في ذلك مَنْسَجًا مع الَاتِجاه الْعَام الّذِي كان سَائَلا في ذلك الْرَّبَط، ويوُرد يِاقِوَت مَا يُؤَيِد ذلِك يَقُول: «فَلِمَا

---

1) انظر تاريخ قِضاة الْانْدِلْس 66 وأزهراء الْرَياض 273.
2) فَهْرَةَ ابن خَير 268.
3) المصدر نفسه 263.
4) المصدر نفسه 365.
تأدب بغداد، ورأى أنه لا حظ له بالعراق، فوافاه في أيام المتلاقي بالحكم المستنصر بالله ... فآكرنه صاحب الغرب، وأفضل عليه إفادة عمه، وانتقطع هناك بقية عمره».

عامل الشهرة والمال هذا له أهميته، ولكن ربما لم يكن العامل الأهم. فالروايات تذكر أن القالي دخل الأندلس بعد دعوة وجهها إليه الحكم المستنصر إياها ولاية أبيه الناصر. وإذا صحت هذه الرواية تكون العوامل الأخرى متسقة ومرجحة ولكن ليست عوامل رئيسة. ففي معرض الحديث عن الحكم جاء في الجذوة: «ويقال إنه هو كان كتب إليه ورغب في الوفود عليه»، ونجد مثل هذه الرواية في المقرى: «ويقال أن الناصر هو الذي استدعاه من بغداد لولائه فيهم».

ومهما يكن السبب في رحلة أبي علي إلى الأندلس، فإن وجدته فيها كان كسبا ثقافيا لتلك البلاد. وقد تجلى هذا الكسب واضحًا في:

الكتب التي جلبها والأخبار التي رواها، وفي المؤلفات التي كتبها في الأندلس، وفي جمهور التلاميذ الذين تخرجوا عليه. وقد عرضت للمسألة الأولى في ما تقدم وبقي أن أقف عند أثر القالي في التأليف، وفي المخرجين.

(1) معجم الادباء 7 : 28.
(2) جذوة المتنبى : 155 ، معجم الادباء 7 : 30 - 31.
(3) نفح الطيب : 75.

204
مؤلفات القالي في اللغة

صرف أبو علي من عمره ستة وعشرين عامًا قضاها في التعليم والرواية والتأليف، فاستفاد الناس منه وعولوا عليه، واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتابه على غاية التقيد، والضبط، والالتزام. 1 وامتدده المؤرخون لما ألف من كتب واملأ من أخبار، إذ ألف في علمه الذي اختص به توليف مشهورة تدل على سعة روايته، وكثرة إشرافه. 2

ولقد كان القالي، على ما يبدو، يتمتع بذاكرة قوية للغاية فله اوضاع كبيرة ماماها عن ظهر قلب. 3 وله كتاب كثيرة أزيل جميعها واملأها عن ظهر قلب كلها. 4 هذه الرواية التي رددتها المراعي المختلفة توضح لنا كيف استطاع القالي أن يؤلف التأليف الكثيرة الواسعة.

وهناك سؤال لا بد أن يرد على خاطر المرء: هل ألف القالي هذه التأليف جميعها في الأندلس? اغلب الظن أنه كان قد بدأ بالتأليف قبل ذلك بكثير. فأولاً: من غير المحتمل أن يصرف الإنسان ستة واربعين عامًا من عمره بغير أن يحاول التأليف، ثم، وبعد أن يغير البلد، يصبح.

(1) جذوة المتنبي: 155.
(2) المصدر نفسه.
(3) طبقات الزبيدي: 227، إباه الرواة 1: 50، معجم الأدباء 7: 28.
(4) إباه الرواة 1: 206، معجم الأدباء 7: 33.

205
فجأة، مؤلفا طويل الباقع قادرا مقتدرًا. صحيح إن حاجة البلد الإندسية اقتضت من أبي علي أن يساهم في الانتاج، غير أن من يساهم في ذلك يجب أن يكون مستعدا له وكفؤا قادرا على القيام بمشاقته.

وربما كان للتالي أصول تأليف وضعها أو فكر فيها قبل أن يصل الإندلس، إنما لم يقدّر لهذه التأليف ان ينتشر وان تذيع، لأن بلاد الشرق كانت تعيش في فيض من العلماء الإندزاء والمؤلفات العلمية العظيمة.

مع ذلك فإن هذه المحاكمة البنطبقية ليست تدلنا على مؤلفين واحدين الروايات صراحة على أنه من مؤلفات العهد المشرقي. الرواية الوحيدة التي نجدها في الكتب تشير إلى أن هناك مؤلفات وضعت في غير قرطبة، وجاءت هذه الرواية بصورة عارضة ونعلم توضيح: «واكثر كتبه با... اي بقرطبة... وضعها» 1. فإذا كان أكثر كتبه وضعها في قرطبة، فلا بد أن الالة من الكتب وضعت في غير قرطبة. وأغلب الظن أن تكون تلك الالة من الكتب مما ألقه بالشرق.

وتبع مؤلفات التالى في ثلاثة أنواع: أخبار ومؤلفات أدبية ومؤلفات لغوية. غير أنه يستحسن أن نقرر منذ البداية أن مثل هذا التصنيف ليس دقيقاً، إذ لم يكن مفهوم الاحتراس واضحًا في أذهان الناس، ولا يختلف

(1) الوثبات ـ 205.

206
القاضي في هذا عن غيره من العلماء، بل لعله كان أكثر إيجالا من غيره في الجمع بين الخبر واللغة والادب في الكتاب الواحد. ويستنادنا أن نعرف هنا القاضي جاء ليعلم ولم يجده ليؤلف، فإذا كانت ثقتته تشتمل على أكثر من نوع من أنواع المعارف فيدهي أن يظهر مثل هذا الجمع في تأليفه.

وهذه هي أهم المؤلفات التي ذكرتها المصادر:

1 - المعدود والقصورا

» ناهي على التحليل ومخارج الحروف من الحلق، مستقصي في بابه لا يشذ عنه شيء من معناه» ۲. واشارت بعض المصادر إلى الكتاب. فيرد ان تعلق شيء ۳. واشارت مراجع أخرى إليه ووصفته بأنه «لم يوضع له نظير» ۴. وقد خالفة الحميدي المصادر الأخرى فسماه المقصور والمعدود والمهموز ۵. وقال ابن خير أنه في عشرة أجزاء ۶.

وقد ذكر القاضي أن نسخة من الكتاب شوهت وقد كتب عليها: «قرأ جميع المقصور والمعدود محمد بن إبراهيم».

(1) منه نسخة خطية بالقاهرة ثاني ۲ ۲۸. (بروكمان ۲ : ۶۲۸).
(2) طبقات الزبيدي : ۳ ۲، انباه الرواة ۱ : ۲۶۶، معجم الأدباء ۷۲۰.
(3) الوفيات ۱ : ۴، البغية ۱۹۸.
(4) طبقات الزبيدي : ۳ ۲، انباه الرواة ۱ : ۲۶۶، معجم الأدباء ۷۲۰.
(5) جدولة المفنوس ۱۵۶.
(6) فهرسة ابن خير ۳۵۳.

۲۰۷
ابن معاوية القرشي ومحمد بن أبان بن سيد عبد الوهاب بن أصبغ ومحمد بن حسن الزيدى» 1.

2 - فعلت وافعلت 2

«وضعه لأمير المؤمنين ( يعني الناصر أو الحكم ) حتى جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج، فالأساس فيه كما يبدو كتاب الزجاج المعروف بهذا الاسم ثم زاد القالي فيه كثيراً.

3 - كتاب في الأبل ونتاجها وما تصرف منها ومعها 3.

وسماه ابن خير: "كتاب الأبل ونتاجها وجميع أحوالها".

وذكر أنه في خمسة أجزاء.

4 - مقاتل الفرسان

لم يردنا من هذا الكتاب سوى اسمه. وقد سماء السيوطي.

مقاتل العرب 5.

وراء الرواة وarih 1 30.
(2) طبقات الزيدى : 3 47، معجم الادباء 7 297، وفيات الآباء 1 198، انبياء الرواة 1 206.
(3) وفهرسة ابن خير : 252.
(4) انبياء الرواة 1 267، طبقات الزيدى : 3 47، معجم الادباء 7 297، وفيات الآباء 1 198.
(5) وفهرسة ابن خير : 255.

208
5 - كتاب في حلى الإنسان والخيل وشياتها

6 - كتاب في تفسير القصائد والعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها.

وقد سماه ياقوت: "كتاب تفسير السبع الطوال".

7 - فهرسة أبي علي البغدادي

أخبره وتسمية كتبه وتواريخه رواية أحمد بن أبان بن سيد عن القالي...

8 - كتاب الأمثال (أفعال من كذا)

أراد القالي أن يجعل في كتابه فناء من الأمثال السائرة عن العرب

ما "يجري منها على ألسنة الفصحاء", ويختلط بخطاب البلقاء, ويدخل

في نوادر الادباء وبدائع الشعراء". وهو ما جاء من الأمثال على

قولهم: "أفعال من كذا".

1) طبقات الزبيدي: 2.6، انباة الرواة 1:206، معجم الادباء


2) انباة الرواة 4:6، طبقات الزبيدي: 2.3، وفيات الأعيان


3) معجم الادباء 7:26.

4) فهيرة ابن خير: 424.

5) مخطوطة بدائر الكتب المصرية تحت رقم: ادب 7442.

6) خطبة الكتاب: 1/3.

الحركة اللغوية 1404هـ

209
وقد سبق إلى هذا التأليف جماعة من علماء اللغة، فاستفاد التاليف من مؤلفاتهم وضمها كتابه، وزاد عليها زيادة كبيرة. فبينما كان عدد امثال كتاب الليث ثلاثمائة وتسعين مثلا فقد حوي كتاب التاليف التثنية ومائتي مثل؟. كما انه اضاف إلى كتابه بابين، ضم اولهما (التساع والعشرون) امثالا مولدة مزدوجة، بلغ عددها أربعمائة مثل، وضم الثاني (الثلاثون) نوادر من الكلام جارية مجرى الامثال، تشتم المكتبي من الاسماء (أبو الحائر، أبو جعدة الخ... والبنبي من الاسماء (أبى جلا، ابن أيض الخ... والمئى من الاسماء (الجديدان، الفتى البائس الخ...). واضاف الى ذلك كله فلا يتضمن ثلاثين خرافة من خرافات العرب؟.

وقد رتب الامثال على حروف المعجم تسهيلًا لتناولها. وجعل في بداية الكتاب يتحدث عن احوال التمجه والقواعد التي تضبطه، وارتباط بعض الامثال بأماكن بعينها. ثم بدأ في تنسيق الامثال التي وعد بتأليفها على نظام حروف المعجم مجتمعة في أول الباب مفصلة في آخره ومفيدة

(1) للاصمعي في ذلك كتاب خفيف الحجم مقدر عشر ورقات، والليثي أيضا كتاب يقرب من كتاب الأصمعي، وفي آخر كتاب أبي عبيد باب ضمنه ما في كتاب الأصمعي وليثي. وانتخب هؤلاء محمد بن حبيب البصري. وليث في ذلك كتاب نقل إليه ما في كتاب الأصول، وزاد عليه زيادة كثيرة، راجع مخطوطة كتاب الامثال 1/ 0.

(2) خطبة الكتاب.

(3) ينقطع الكتاب بإدراج خرافة واحدة دون تهامه.

210
بأسبابها وأخبارها. وراعي هذه الخطة في حروف المعجم كلها. وانتشار
الكتاب خمسا وسبعين ورقة.

من خصائص الكتاب:

أ - لا يذكر أسماء الكتب والمؤلفين الذين اخذ عنهم.

ب - تبدو على الكتاب مسحة تنظيمية واضحة.

ج - يمكن القول بأن هذا الكتاب، إذا قيس بالاتجاه العام للكتب

قديما، قد تخلص من كثير من التفصيلات والزوائد.

د - كانت الامثلة تسرد مجملة ثم تفصيل وتفصيل.

ه - هذه المزايا جعلت الكتاب أقرب إلى قاموس في فن معين من

الامثال.

مثلاً من: "الباب الأول: فيما جاء في أوله الف وهو خمسة

عشر مثلاً: آمن من الأرض. آمن من حجام مكة. آمن من

من ظبي بالحرم... التفسير: أما قولهم:

آمن من الأرض ذات الطول والعرض، واما قولهم: آمن من

حجام مكة، وآمن من ظبي بالحرم، فمن الامن. لأنها لا تثار.

قال شاعر الحجاز:

لا والذي امن الغزلان تمسحها ركبان مكة بين الفيل والسعد).

411
لا نستطيع أن نعرف بالضبط الدافع المباشر إلى مثل هذا التأليف، وربما كان ذلك بطلب من الحكم المستنصر أو تشجيع منه على الاقل. ومثل هذا تقوله اعتماداً على اتجاه الحكم العام في تشجيع التأليف وتشجيع أبي علي بنوع خاص، ثم ان هناك من الروايات ما يشير إلى مثل هذا التشجيع.

ولم يكن هذا العمل يسيرًا أو متيسرًا، بل كان يحتاج إلى مجهود عظيم. وقد «شهد بخط ولهما مثله: ابتدأ أبي – رحمه الله تعالى – بعمل كتاب «البارع» في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (95 م) ثم قطعته علماً واسماً، ثم عاود النظر فيه بأمر أمير المؤمنين وتأكيد عليه، فعمل فيه من سنة تسع واربعين وثلاثمائة (960 م) فأخذته بجد واجتهاد، وكم له، وأبتدأ بنقله فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (965 م) كتاب الهمز، وكتاب الهاء، وكتاب العين، ثم اعتن في هذا الشهر».

ويصعب، اعتماداً على هذا الكلام، التحقق بدقة من الزمن الذي استغرقه تأليف هذا الكتاب. أما نستطيع القول انه عمل فيه سنة عشر عامًا،

إنه الرواة: 109، 112.
لم يعمل فيها بصورة متواصلة وانها قطعته اثناء ذلك «علل واشغال». ويبدو لنا من هذا النص ما ذكرناه قبل قليل من اهتمام الحكم المستنصر، أمير المؤمنين، وتشجيعه للقالي في هذا المؤلف، كما كان يشجعه في غيره من المؤلفات.

وقد عاجل المرض ابا علي ولم يمته الوقت الذي يسمح له نسخ ما عمله وتهذيبه. وقد رأى بعض المؤرخين انه «الف كتاب البازع في اللغة في خمسة آلاف ورقة لكن لم يتمه» 1. ويورد آخرون هذه الرواية بالتفصيل مختلفة، مع اختلاف عدد الاوراق، إذ يروي ياقوت، مثلا، انها ثلاثة آلاف ورقة فقط. 2.

وكان لا بد لثل هذا العمل ان يخرج الى الناس. فتوجه وقائع من كان يساعد القالي في اعماله، واحدهما: محمد بن الحسين الفهري، عمل على مساعدة القالي في هذا المشروع منذ عام 961، والآخر: محمد بن عمر الغياني. وقد تعاون الوراقان فاستخرجوا المادة من الصكوك والرقع، وهذوا الاسلوب الذي هي بخط القالي، والاصول التي بخطهما والتي كنها قد كتبها بين يديه، وما تم الكتاب رفع الى الحكم المستنصر، الذي رفع المشروع وشجعه منذ البداية؟

(1) شفرات الذهب، ابن العمار 3: 18.
(2) بقية الرواية: 198، معجم الأدباء 7: 29.
(3) فهرسة ابن خير: 454، انباه الرواة 1: 31، التكملة.

ابن الإبار: 371.

313

ومع هذا الاعتراف بعظمة الكتاب فإن الناس لم يميلوا إليه ولم ينقولوا "لم يعرجا... على بارع أبي علي البغدادي" 3. وربما كان ضيق المجال الذي افتتح إمام الكتاب واحدا من الأسباب التي ساعدت على فقدان أكثر. فمن الملة المجلد التي ورد ذكرها لم يبق لنا الآن سوى قطعتين احدهما في المكتبة الاهلية باريس والآخر في المتحف البريطاني. وقد كتب الأثنتان بخط اندلسي وفي عصر يعود إلى حوالي القرن بعد زمن تأليف الكتاب 4.

والنبقى من البارع يقع، بحسب مخطوطة المتحف البريطاني، في مادة وثمان وأربعين صفحة، وهو ما يقارب ثلاثة أمثال قطعة باريس ونصفها. والقطعتان لا تشركان الا في ثماني صفحات من مصورة فلتين. وليست هذه الأوراق متماثلة، على اية حال، بل هي متفرقات 5.

2. المصدر نفسه.
3. المصدر نفسه.
4. مقدمة فلتين (بالإنجليزية) ص: 1.
5. مخطوطة المتحف البريطاني رقم 9811.
6. مقدمة فلتين.
7. المصدر نفسه.
8. المصدر نفسه.

114
غير أن كلتا القطعتين ليست تحتوي على مقدمة للمؤلف. ولمسنا تقصص من ذلك انه وجد في يوم من الأيام مقدمة للمؤلف، فمثل هذا الأمر يصعب البث فيه. أذا ان ابا علي مات قبل ان يتم الكتاب كما رأينا. ولكن نريد ان نقول ان الهدف من تأليف الكتاب والخطة التي اتبعها المؤلف غير معروفين بدقة، اما يمكن استنتاجهما استنتاجا. وقد رأينا ان القالي قام، بتشجيع من الحكم المستنصر، بتلقيف بارعه لوضع بين ايدي اهل الاندلس معجما يماثل معجمات المشاركة او يتفوق عليها، وقد قصد الى ان يسهل عمليات التفسير والشرح التي كان يقوم بها هو وامثاله من العلماء في تلك الفترة من حياة الاندلس اللغوية والادبية.

ب - منهج القالي في كتاب البارع

رتب القالي كتابه بحسب مخارج الحروف. وكما يستنتج من القطعة المتبقية من كتابه يمكن ترتيب الحروف كما يلي:

١٢٧٥

اما الهزة فقد كان مكانها موضوع خلاف، ويري فلتين: "كذلك ليس لدينا اي شاهد مخطوطة عن موضوع الهزة، ذلك الصامت الذي

(١) انظر كذلك مقدمة فلتين : ٨.

٢١٥
سبب كثيرة من المناصب للقدماء من التجاريين واللغويين في تحديده، ولا بد أن القالي تناوله في بداية الالتماء أو في فصل خاص في النهاية، وهو لا يضع الالفاظ التي تحتوي على هذا الصامت بين الأصول المتصلة من الكتاب، كما فعلت معيام الخليل والأزهري وابن سيده» 1. اما وضع الحرفين الجاه والخاء فلم يمكن القطع بموقعهما وقد وضعا بحسب الترتيب السابق دون الجزم بذلك، وقال فتني بهذا الصدد: "ولا يبين لنا نسخة المتحف البريطاني ولا نسخة باريس من كتاب القالي الوضع الصحيح للحرفين الساكنين ح، خ، والوضع الذي نسباه لهما هنا افتراضي، ومن المحتمل صحته" 2.

والابواب في بارع القالي ستة، هي بالترتيب: أبواب الثنائي المضاعف (الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة)، أبواب الثلاثي الصحيح، أبواب الثلاثي المعتل، أبواب الحواشي أو الاوشاب، أبواب الرباعي، أبواب الخماسي.

1) مقدمة فتني: 8، وانظر المجم العربي: 289.
2) مقدمة فتني: 8.
3) شرح القالي أبواب الحواشي أو الاوشاب بقوله: "هذه أبواب تتصل بالثلاثي المعتل مما جاء على حرفين أحدهما معتل، أو ثلاثة منها حرفا ممتلان" (البارع 22)، وقام بشرحها أيضا في مكان آخر فقال: "إنا سميينا أوسابنا لأننا جمعنا فيه الحكایات والزهر والاصوات والتuces، وما اعتننا ولاه أو كنا فاؤه ولاه أو فاؤه وعينه ولاه، او لاه وعينه بالقلم واحد" (البارع 27). وقد شمل بهذا الشرح الثلاثي المختصر الصحيح أو المعتل بحرف واللقيف والمضاعف بحرفي غير مدغمين.
وفي كل باب من هذه الأبواب تتكرر عبارة "ومن مقلوبة"، وهو النظام الذي يتيح للقارئ، ولنهره من أصحاب هذه المدرسة في تأليف المعجمات، سبيلاً لاستقاء تنقل كل حرف من نظامه في كل بناء من البنية.

---

ج - خصائص الكتاب

نستطيع أن نأخذ صورة واضحة عن خصائص الكتاب إذا حللنا مادة من مواده، لتأخذ مثلاً:

الحم وتشين والناون في الثلاثي الصحيح.

قال أبو علي قال يعقوب: يقال أتينه بعد ما مضى جيشن من الليل.

قال ابن أحمر:

حضي صيبرها في نبي
جوشن ليها بينا بينا فين

إي قطعة من الأرض بعد قطعة، يعني البين والبيين من البحر، قال لنا أبو الحسن بن كيسان رحمه الله: الصبر العلماء من بيض الشديد

(1) الأمثلة متوفرة في مواد البارع المختلفة.

(2) البارع: ١٢١ - ١٢٢.

٣١٧
قال الجوشن: الوسط. وقال الخليل: الجوشن ما عرض من وسط الصدر، وجوشن الجراعة ونحوها صدرها، والجوشن من المسلح.

مقلوبه

قال أبو علي قال أبو حاتم: يقال نشج ينشج نشيجا عليه مثل فعل
يفعل فابنًا ففتح الفاء والعين في الماضي وكسر العين في المستقبل وفتح الفاء وكسر العين في المصدر. وقال أبو زيد: النشيج أشد البكاء. وقال الأصمعي: النشيج بالخلق، وهو هالة تأخذ بالنفس، وهي ارتفاع النفس مثل الفؤاد. قال أبو ذيب:

ليحن نشيج بالنخيل كأنها ضرائر حرمي تفاحش غارها

وقال الخليل: نشج البكاء ينشج نشيجا وهو إذا غص البكاء في حلقة، ولا ينتحب. والحنم ينشج بصوته نشيجا وهو صوت في حلقة عند الفزع. والطعنة تنجل عند خروج الدم، تسمع لها صوتا كالنفخة، فإذا كان ذلك قلت نشجت الطعنة. والقدر تنجل عند الغليان. وقال

الشاعر:

وناشج عينه منهلة تكف.

1 - كان القالي، على ما يبدو، يشعر بالاطمئنان حين يورد اسماء العلماء الثقات، ففي هذا الجزء من المادة الذي تقتاله نجد اسماء يعقوب ابن السكين وابن الحسن بن كيسان وابن عبيدة والخليل وابن زيد والاصمعي. وهذا إحصاء بين وردت اسماؤهم في الصفحات العشر

318
الأولى: أبو زيد الأنصاري، الخليل بن أحمد، يعقوب بن السكين، أبو السمح، الأصمي، أبو عبيدة، الكسائي، الزاحي، أبو حاتم السجستاني، أبو عمرو، الأحمر، أبو العباس، الأموي، الفراء، ابن الأعرابي، الأحرازي. وهذا الإحصاء لا يبين لنا تماما كثرة ورواد اسمائهم لأنه لا يظهر مرات وجودهم، وهي كثيرة... ومنهم من كان يظهر اسمه في جميع المواد كالخيل، ويعقبه في ذلك أبو زيد، ويلهمي الأصمي ويعقوب. وكان في بعض الأحيان يأتي بالمادة كله من قول الخيل، وفيه بصري في ذلك أبو زيد. ومن الطبيعي أنه لم يكن المذكورون آنذاك جميع من رفعهم فهناك غيرهم ظهروا بعد الصفحات العشر الأولى، من أمثال الباهلي، والنضر بن شميل، واللحياني، وسلمة بن عاصم، والرؤاسي، وقترب، والراز، وأبينكيسان، وأبينزنية، وفانت، وأبين دريد، وغيرهم من اللغويين وأبين الجراح، وأبين العطاف الفنوي، وأبين خيرة، وأبين الحمارس الكلبية، وأبين زيد الكلاكي، وأبين جعيل الكلاكي، وأبين صاعد، ورداد الكلاكي، وأبين القادية التميمي، وأبين مسعود، وغنية، من الأعراب والرواية.

٢٨ - ومن المادة السابقة أيضا يظهر لنا بوضوح حرص التقالي الشديد على عدم الالتباس. وهذا الحرص يمثل في ظاهرتين، الأولى

(1) البخاري: ٢٣٤، ٥٠، ٥٣، ٥٤ وغيرها من الصفحات.
(2) المعجم العربي: ٢٩٦ - ٢٩٧.

٢١٩
النص على حركة الحرف كتابة، وربما شاركه هذا الفضل الوراقان اللذان ساعداه على النسخ وربما وهببا بارعه بعد وفاته، والثانية النص على الوزن.

3- وتبين لنا كذلك حبه لرواية الشعر والاستشهاد به. وقد تجاوز في كثير من الأحيان حد الاستشهاد إلى إيراد مقطوعات قصد بها الامتعة والأخبار. ولعل هذا أثر من آثار الامالي وروايات الأشعار والأخبار.

4- ومن الظواهر تفسير الالفاظ التي ترد في النصوص. فإذا احس أن هناك لفظة أو أكثر تستغل على الفهم عمداً إلى شرحها.

5- كذلك فإنه ينقل عن اللغويين بعض لغات العامة. فهي مادة:

الجمل والشين والباء في الثلاثي الصحيح:

1 (1) فهو حين يتعلق عن مادة: الجيم والشين والباء في الثلاثي الصحيح وعن تقاليبه يقول: (البارع 119).

وقال أبو زيد الشريجاني الخلطان وانشاد لقبة بن ارومة: عفا الرس فالسابع من يام عامر فشلك فاحس يستقل قوميّ غفت غير حسن ترتعي أخديرة فهاجت عليك الدار ما لتروبه لملك أن طالت حياتك أن ترى حميكة الآتي، هيئة تهج القبر المت ولا تبه قديم...

NB: ربما كان النص المنسوب للذين.

2 (2) ترد في روايات وأخبار ليست لها صلة بالمجم والذين يرويها لأنها من جملة الروايات السليمة. (انظر البارع ص: 1).

3 (3) انظر البارع 320.
» مقوله: قال أبو حاتم: العامة يقولون الشجر يكسر الشين وهو
لغة وجيد النطق كما يقرأ في القرآن: ( والنجم والشجر يسجدان )،
( سورة الرحمن آية: ۶ ۱) 

۶ - ويعتني القالي باللغات المختلفة. "وانتا نرى عنده من اللغات
المنسوبة لغات الكلابيين والنميريين والطائيين والقيسيين والأسدين
والسيئيين وبني غني، واهل مصر والمدينة والحجاز والجزيرة والعراق
والكلابيين خاصة ليه خطرهم في كتابه، إذ يرد اسمهم في خمس صفحات
من الصفحات العشر الأولى، ويكثر بصورة واضحة في جميع انتهاء
القطعة الباقية. وليس هذا وحده بل تكثر اسماء الأعراب والرواية
الكلابيين عنده أيضا، مثل أم الحمارس وأبي زيد وأبي جميل ورد"،
ومن أسباب هذه الظاهرة أكثر المؤلف الاقتباس من أبي زيد الأنصاري
الذي يروي عنهم كثيرا ".

۷ - وكان من نتيجة إيراده الأقوال المختلفة للغريين المختلفين بغير
مناقشة أو تشذيب ان تراكمت التفسيرات المناقضة، واحدا الى جنب
الآخر دون ادنى تحليل، والواقع ان شخصية القالي ضعيفة ولا نقص بها
لا من وراء ستار، فشخصيات العلماء الآخرن أكثر وضوحا، وادي
هذا الى ان يكون معجمه أقرب الى الجمع.

(1) المصدر نفسه: ۱۱۹ - ۱۲۰ .
(2) المعجم العربي: ۳۰۱ .

۲۲۱
8 — والقالي يأخذ عن العلماء دون ذكر المؤلفات. وجزء من كتابه مبني على الرواية الشفوية، غير أن كثيرين من العلماء كتبوا لبد انته استفاد منها.

9 — وبرغم الجهود الكبيرة التي قام بها القالي، فان هناك مواطن ضعف في الكتاب. ولعل أهم هذه المواطن وبرزها صعوبة البحث عن المواد في المجمع بسبب ذلك النظام العسيرة القائم على المخارج والإنبية والتقليد. وقد أشار الى مثل هذا الضعف أكثر من عام ولموا في ذلك أيضا معجات أخري اعتمدت نفس الأسس. قال ابن دريد: «قد ألف الخليل بن أحمد كتاب العين، فأتعب من تصدى لها، وعلى من سما إلى نهائه. ولكن رحمه الله ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه، فذكاء فظلته». و «كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه ان يعلم موضعه من الكتاب، فغير ان يقرأه، الا ان يكون قد نظر في التصريف، وعرف الروائد والاصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي، ومراوات الحروف من الحلق واللسان والشفة، وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصنيفها في اللفظ على وجه الحركات والحياتها ما تحتمل من الزوايد، ومواضع الزوايد بعد تصنيفها بلا زيادة، ويجتاز مع هذا الى أن يعلم الطريق التي وصل الخليل منها إلى حصر كلام العرب، فإذا عرف هذه الأشياء، عرف موضع ما يطلب من كتاب العين».

1) الجميرا: ٣ ٦.
2) المزهر، السيوطي: ١ ٦٥.
الاتهامات جميعها تطال كتاب البارع بنسب متفاوتة. فالبارع واحد من فئة المعجمات التي اتخذت مخارج الحروف والإبنية والتقاليد أساسا لها.

ومع ذلك، فقد شارك القاضي مشاركة طيبة في الجهود اللغوية، وقدم بهذا الكتاب اعرف الناس فضله ومدحه. لم يكن الكتاب وارتفع إلى الحكم المستنصر بالله، اراد ان يقف على ما فيه من زيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين، بلغ ذلك إلى خمسة آلاف وستمائة وثلاثين كلمة). وقال ابن خير: «زاد على كتاب الخليل نيفا وأربعونات ورقة مما وقع في العين مهما فاملاه مستعملة، وما قليل فيه الخليل فاملا في زيادة كثيرة، ومنها جاء دون شاهد فاملا الشواهد فيه». واطلب آخرون في مدحه ورأوا أنه «لا يعلم أحد من العلماء المتقدمين والمتأخرين الف مثله في الإحاطة والاستيعاب».

١٠ - كتاب الإمالي

أ - تقدير العلماء لكتاب الإمالي

لقي الكتاب شهرة واسعة، وانتهى عليه كتاب التراجم والمؤرخون.

التكملة: ٣٧١.
(1) فهرسة ابن خير: ٢٥٤.
(2) طبقات الزبيدي: ٢٢٤ - ٠٤ - ٢٠٠. انها الرواة: ٢٠٦.
(3) انظر بروكلمان: ٢٧٨ في مخطوطات هذا الكتاب والطبعات، التي صدرت منه ومن الدليل والتبنيه.

٢٢٢
وكتيرا ما جرى الاعتراف بالقالي عن طريق القول بأنه صاحب الأمالي:
» ولما وفد على أبيه – أبي الحكم المستنصر – أبو علي القالي صاحب كتاب الأمالي من بنادق أكرم مثواه .. ١، ومنهم أبو علي القالي، صاحب الأمالي والنوادر .. ٢، وذكر أن أبي علي البغدادي صاحب الأمالي الوزاط على الإندلس في زمان بني مروان قال .. ٣. وقد امتدح ابن خير الكتاب فقال: «وهو كتاب حسن يشتمل على أنواع من العلم لا نظير له في معناه»، واثني عليه الزيدي، تلميذ القالي وصديقه، فقال: «وهذا الكتاب عالية في معناه، وهو أنتفع الكتب»، وهذه الرواية الأخيرة رواها آخرون بالتفاوت قريبٌ. وقد اورد الحميدي من الأخبار ما يشير بالامالي فقال: «قال لنا أبو محمد علي بن أحمد (أي ابن حزم)، وقد ذكر كتاب أبي علي المسمى بالنوادر في الأخبار والشعر، فقال: وهذا الكتاب مبار للكتاب الكامل الذي جمعه أبو العباس المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبراً فكان كتاب

(١) نفح الطيب: ٣٧٢
(٢) المصدر نفسه: ٧٠
(٣) المصدر نفسه: ١٠٠
(٤) فهرسة ابن خير: ٣٤٣
(٥) طبقات الزيدي: ١٢٣
(٦) ابئاه الرواة: ١ ٢٦٦، معجم الأدباء: ٧٨٨٨

٢٢٤
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة. يمكنني مساعدتك في شيء آخر إذا كنت بحاجة إلى ذلك.
للرواية ولزمت العلماء للدراسة ثم أعملت نفسى في جمعه وشغلت ذهني
بحفظه حتى حويت خطبه وأحرزت رفيعه ورويت جليله وعرفت دقيقوه
وجعلت غريزي أن اودعه عند من يستحقه وأبدى لمن يعلم فضله
وجمله إلى من يعرف مخلقه ... » 1 وفي هذه المقدمة تقدير عبد الرحمن
الناصر وثانيا عليه ، وهو شيء يسيء إذا قيس بما لقيه القالي من حفاوة
واكرام .

ج - طبيعة المادة في كتاب الآمالي

وقد أجمل القالي في مقدمته وصف طبيعة المادة التي اشتمل عليها
كتابه فقال : « وأودعته فنونا من الأخبار وضربا من الأشعار وأنواعا من
الأمثال وغرائب من اللغات على أنني لم أذكر فيه بابا من اللغة إلا أشبعته
ولا ضربا من الشعر الا اخترته ولا فنا من الخبر إلا احتله ولا نوعا من
المثل والمعنى إلا استجدها ، ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث
الرسول صلى الله عليه وسلم . على أني أوردته فيه من الإبдал ما لم
يوردته أحد وفصرت فيه من الاتباع ما لم يفسره بشر ليكون الكتاب
الذي استنبطه احسن الخليفة جامعا والديوان الذي ذكر فيه اسم الآمالي
كاملًا » 2 . ومعنى هذا أن كتاب الآمالي يمتاز بالامور الآتية :

(1) مقدمة الآمالي : ص 1 - 2 .
(2) المصدر نفسه : 3 .

٢٢٦
1) الاباح بالتفسيرات اللغوية.
2) المختار من الشعر الذي اعتمده ذوق القالي.
3) الخبر المنتحل.
4) الأمثال والمآثري التي استجدها القالي.
5) غريب القرآن والحديث.
6) فرعان من الكلام يرى القالي أنه مبتكر في التنويه بهما وهم:
أ - الإبدال.
ب - الاتباع.

d - الجانب اللغوي في الأمالي

وللغة نسب كبر في هذا الكتاب أو كما قال ابن حزم: "ولكن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا، فإن كتاب أبي علي لكثر لغة وشعرنا". واللغة لها مواد تكاد لا يعالج بها شيء سواها، إلا أنها تبرز بروزا واضحا حتى في مواد الأخبار والأدب. ويمكن إيجاز هذه الجوائز اللغوية على الصورة التالية:

1 - معالجة كلمة واحدة:

أول مادة يعالجها الكتاب هي كلمة نسا والحديث في معانيها المختلفة. والقالي يشهد لذلك بآيات من القرآن وبكلام العرب.

جدول المبصص: 156، معجم الأدباء 7: 29.
الامالي 1: 7.

227
ويشعرهم ويفصل ويسبح مثلاً كأن أصحاب المجمات القدامى يفعلون ومهل هذا الحديث عن مادة واحدة كثيراً. وتكرره يدل على أن الكاتب يتم بالألفاظ من حيث هي. وربما كان ذلك سبباً دفعه، فيما بعد إلى تأليف معجمه «البازغ». 

3 - مترادفات الاسم الواحد:
فأنه يتخذ الزوجة، مثلاً، ويورد الأسماء المختلفة لها مسمىً، لذلك 2. فمن جملة الأسماء: الحليلة، وعرس الرجل، والفرية، والطلاقة ...

3 - اسماء يربطها الموضوع الواحد:
فأنه يتخذ موضوعاً ما، اسماء الألوان وأوصافها مثلًا، ويتحدث فيها ويفيها حقها.

4 - ما يتعاقب فيه حرفان:
والماجى يورد فقرات كثيرة يتحدث فيها عن حرفين يتعاقبان، كاللام والنون مثلاً، أو العين والجاء،، أو الهزة والهاء، أو السين والتناء، ...

المصدر نفسه: مادة لحن 1: 4 - 7، مادة حرف 1: 7 الخ.

مصدر نفسه 1: 19 - 20.
مصدر نفسه 2: 24 - 36.
مصدر نفسه 3: 40.
مصدر نفسه 4: 65.
مصدر نفسه 5: 66.
مصدر نفسه 6.
مصدر نفسه 7.

228
أو الهاء والجمع، أو الهزة والعين.

والتأتي في ذلك يستشهد بأقوال اللغويين ويورد الروايات.

إن يعلل مثل هذا التعاقب، فهو يقبله باعتباره موجوداً، دون إدرايةً أشارته.

إلى أسباب مثل هذا التعاقب، أو دراسة للتطور الذي يمكن أن يكون قد طرأ على مثل هذه الالتقاء، أو للبيئات والقبائل المختلفة التي يمكن أن تكون قد صدرت عنها الكلمات، ومائتبس مقطعا صغيرة للدلالة على


ويقال: اتصل السما واتمجل، إذا استحب. ويقال للرجل إذا كان

حسن القامة: إنه لتتمل ومتمجل. ويقال: ارحت دابشي وهرحتها.

ويقال: أرنت له وهرئت له؟'

5— ابتدال حرف بحرف آخر:

وهذا قريب مما مضى في الفقرة '4'، غير أنه هنا يستبدل

حرف بحرف آخر ولا يستعمل، من قبل فئة من الناس، إلا الحرف

البديل دون الحرف الأصيل. مثال ذلك 'ابدال الياء جما في لغة

(1) المصدر نفسه 2: 76.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه 2: 66.

229
قهيمٌ» ١. وفي هذا المقام يورد امثالة لابدال اليا حبي في لغة قيمٍ، دون
أدنى تعليق أيضا. وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بني
حنظلة: ممن انت؟ قال: قفيمٌ، فقلت: من أينهم قال: مرح، أراد:
قيمي ومرهٍ». وهناك امثالة أخرى لم يعين فيها فئة العرب التي تقوم
ببدال حرف آخر١٢.

٦— الشرح والتفسير:

وهو على أنواع، فترة يتناول الاحاديث١، وترارة يتناول غريب
الحكايات، كحكاية الفتات٤، وترارة يتناول القصائد والمقطوعات٦،
وينتناول أيضا الآيات٦، والخطب٧.

والواقع أن هذه الظاهرة عامة في الكتاب، غير أننا قد نجدها،
مثلما هي الحال في الامثالة الماضية، منفردة في فقرات خاصة، طلبت من
أجل ذاتها. أما في المواد الأخرى فإن جزءاً منها من عمل المؤلف مرتبط
بشرح الغريب من الالفاظ وتفسير الغامض والمستقل من المعاني.

(1) المصدر نفسه ٢: ٧٥.
(2) انظر مثلاً: «وقال أبو علي:
قال أبو عبيدة: الرب تقلب حروف المضاعف الى اليا فيقولون:
تظرنت، وانما هو تظرنت، قال العجاج:
تقصي البازي اذا البازي كسر.

وأنما هو تقصص من الانقضاض... » (الlamaي ٢: ١٦٧) ٧.

(3) المصدر نفسه ١: ٧.
(4) المصدر نفسه ١: ١٧.
(5) المصدر نفسه ١: ٧٧.
(6) المصدر نفسه ٢: ٢٩٥، ٤٩٣، ١٢٤، ١١٥، ٣١٦، ٤٨.
(7) المصدر نفسه ١: ١٤٥.
٧- باب الاسم مستقل:

كتب احرف الابدال مثلاً، وقد افرد مؤلفون آخرون مثل هذا الباب، منهم سيبويه في الكتاب، والزيدي في الاستدراك على سيبويه والقالي يورد به بغير أدنى علاقة بما يسبقته من أبواب، أو بما يلحقه. وفي احرف الابدال يشير القالي بسرور عظيم حين يولف ما بين هذه الأحرف ويجعلها في عبارة سريعة هي: "طال يوم اجتمته" ويقول بجاد: "و هذا اننا عملته".

٨- ينقل المناقشات اللغوية:

من ذلك مثلًا مطلب ما وقع في مجلس أبي عمرو بنعلاه بين شبيل بن عدروة ويونس والفرق بين النافذ خمسة من الروبة، والقالي، مثلما يفعل غالباً، يكتفي بسرد وقائع المناقشة دون أن يخذل أو يقدد، ولم نجد مثل هذا الأمر عند الزيدي، تلمذ القالي وصديقه، في كتابه العظيمين: لحن الموارد، والاستدراك على سيبويه.

٩- خصائص كتاب الإمالي

١- يكون الكتاب ذهيرة لغوية هامة للمتأدب والدارس، حتى

(1) المصدر نفسه ٢: ١٨٢.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه ١: ٤٨ - ٤٩.

٢٣١
حين يطرق إلى الأخبار والمواضيع الأدبية والخطب والترجمات والأشعار المختارة. ذلك أنه، في أغلب الأحيان، يلجأ إلى تفسير ما يحس بصعوبته على القراء أو السخن، وهذه ظاهرة طبيعية بالنسبة لمن هو في وضع القاضي المدرس. والقاضي يفسر غريب النصوص، سواءً أكانت نصوصاً دينية أو أدبية أو لعوية أو إخبارية أو غير ذلك.

٣٠- وإذا كانت رواية من هذه الروايات تتمثل على بيت أو أكثر فقد يأتي القاضي بماي اليابات. وقد يورد أبيات أخرى من قصيدة أخرى للشاعر نفسه، وقد يأتي بأبيات مشابهة لشاعر آخر، وهكذا إلى أن يحس أنه وقته الموضوع حقه.

٣١- والقاضي يحرص على الدقة، لذلك فانه في كثير من الأحيان يعمد إلى ذكر وزن اللفظة، كي يستمع الالتباس. وقد وجدناه يفعل ذلك كثيرا في معجمه «البارع»، ومن أمثلة ذلك في الأمالي: « والمجذام: مفعول من جذم، والجذم: القطع ..».

٤٠- ويدل القاضي على حفظ كثير وسعة في الرواية الشفوية غير أنه أحيانا يسجل الأخذ عن الكتب مثل « قال أبو بكر في كتاب المتناهي في اللغة: هذا أعرابي أدخل قردا إلى سوق الحيرة لبيعه فنظرت إليه ..»

المصدر نفسه ١٧١.

٢٣٢
امرأة فقالت: مسح...

5- أما ذكره للعلماء فكثير كثرة بالغة، وهو يعتمد على اللغويين
اعتماداً كبيراً في روايته، والرواية الواحدة، في العادة، تستعمل على غير
لفوني واحد.

***

نظرة إجمالية في أثر القالي

ومهما يكن من شيء، ليس من اليسير أن يحدد المرء أثر هذا العالم
في حياة اللغة بالأندلس ولكني هنا أحاول أن أجعل أهم المظاهر التي خلفها
في التيار اللغوي:

1) نشر في الأندلس كتب كثيرة حملها معه.

2) قدّم للأندلسيين أصولاً معتددة مقروبة على العلماء فأوجد
بذلك أساس الدقة اللغوية.

3) وضع كتب هامة مثل البارع والنوادر والمقصور والمحدود كانت
زادة للأجيال القادمة، تدرسها أو تشرحها أو تكملها.

4) أثر بشخصيته الفذة في خلق طبقة من التلامذة لا يرون اماما

إذا:

(1) المصدر نفسه 43: ٤٣.

٣٣٣
(5) أعطى للاندلسيين معايير من التقدير العلمي الذاتي بتواره وسماحته خلقه فهو يروي على سعة اطلاعه كتاب الدلائل، وهو يبني على ابن التوطية فيجدها هذا الثناء مركزا هاما في تفسير الاندلسيين.

وخلاصة القول أن الاندلس عرفت في القالي "المعلم الأول" في اللغة، وعلى منهجه وأصوله بنت وجهتها اللغوية.
نستطيع ان نقسم النشاط اللغوي في القرن الرابع، إذا نحن نظرنا الى افواج الدارسين، في ثلاث موجات كبيرة:

1- موجة الدارسين الذين شهد نشاطهم الثلث الأول من القرن وكانوا تلامذة قاسم بن أصبغ والخشني وغيرهما من المعلمين في القرن السابق، ومنهم من اتمد به العمر حتى لحق بالموجة الثانية، وشارك في شيء من نشاطها، الا ان الموجة الثانية طغت عليهم وجعلتهم في الظل.


3- موجة الطلاب الذين درسوا على هؤلاء الاعلام، وعلى غيرهم من
معمل اللغة، مملأوا بنشاطهم بقية القرن الرابع، ومنهم من تداخل نشاطهم مع الموجة السابقة، ومنهم من شهد أوائل الخامس، وهؤلاء، أو كثير منهم، يمثلون حلقة الوصل بين هذا العصر والعصر التالي. وهم يقعون بين قمتين كبيرتين وليست من الحق أن نغفل الدور الذي قاموا به في الدراسات اللغوية، أو على الأقل في عملية النقل من جيل إلى جيل. وليس في الامكان تميزهم بحسب اتجاهات خاصة أو بحسب الاساتذة الذين درسوا عليهم بحيث تقول على وجه القطب: هذا تلميذ التالي وذلك تلميذ الزيدي، إلا في حالات قليلة لأن كثيرا منهم درسوا على غير واحد من أولئك الأساتذة. والواقع الذي لا استطيع أن احصره تلاميذة هؤلاء العلماء لكثرة الآخرين عنهم سواء أكانوا من طلاب اللغة أو طلاب العلوم الأخرى. وقد عد ابن خير تسعة عشر عالما روا كتاب النوادر وحده عن أبي علي. فإذا تذكرونا أن ابا علي قضى ستة وعشرين سنة في التدريس، وتذكرونا كيف طال العمر بابن القوطية حتى روى عنه أجيال متلاخون، وتذكرونا المدة التي قضاها الزيدي في التدريس، أدركنا الاستقصاء مهما بلغ فلن يأتي إلا على أسماء قليلة، وإنما أخص بالذكر في هذا المجال أولئك الذين كان لهم نصيب في النشاط اللغوي آما تأليفا أو تدريسا. وبعض هؤلاء الذين ذكرهم قد نوهت بما لهم من مؤلفات فيما تقدم. فهم إذا مجموعة تكمل جانا من الصورة اللغوية في هذا

(1) فهسة ابن خير: 324 - 325
القرن، وأغلقهم يبقى هذه الصورة ناقصة. وهذا ثبت بأسمائهم مرتبة
بحسب سني وفياتهم حيث يمكن ذلك.

1 - محمد بن ابن بن سيد النحوي القرطبي (ـ 965/354):
ويبدو أنه أخو أحمد بن ابن الآتي ذكره، أما هذا فيكنى أبا عبد الله
وذلك يكنى أبا القاسم. وكلاهما تولى الشرطة وكان مقدما عند الحكم
المستنصر، وكلاهما كان عالما في العربية وتلمذ على القالي. فما أخذ
محمد عن أستاذه كتاب الإجناس لظلام الاصمعي (أبي نصر أحمد بن
هاشم) والقلب والإبدال يعقوب بن السكية والفرق لثابت بن أبي
ثابت وكتاب الخيل لأبي عبيدة والفقه بين جرير والفرزدق واختارات
المفضل والاصمعي وأراجي المجاج ورؤية.

2 - محمد بن الحسين الفهري (ـ 5/965): روى عن
القالي ولازمه وتقدم في حفظ الآداب والعلعم باللغات، وعنه أخذ ابن
الافليلي، ولكنه قضى أكبر نشاطه في الورقة لاستذائه القالي، واليـ
والي زميله محمد بن معيج الجياني يعود الفضل في تهديب ما لم يهدبه
ابو علي من كتاب البارع ـ حسبما تقدمت الإشارة. وسماح الحميدي
غلام القالي وقال: «لازم أبا علي اسماعيل بن القاسم حتى نسب إليه

(1) تاريخ ابن الغربي: 69.
(2) فهرسة ابن خير: 281، 2783، 139، 926.
(3) التكملة: 371، جذوة المنسج: 374.

377
لطول ملازمته له واتفاعه به». وواضح من تاريخ وفاته أنه توفي قبل أستاذه.

٢- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي القرطبي المعروف بالصنوع (٩٨٣/٣٧٣) تلميذه القاضي ومن ثقات أصحابه وكان الغالب عليه علم اللغة ولم يكن له في غيرها من العلوم حظ. وصف بالضبط وحسن النقل.

٣- عبدالله بن مصعب القرطبي المعروف بابن الصناع (٣٧٣/٩٨٣) : سمع من قاسم بن مصعب وروى عن القاضي كثيراً من كتب اللغة وكان ضابطاً حسن النقل معدوداً في ثقات أصحاب القاضي.

٥- خلف بن سليمان بن عمرو (عمرو في فهرسة ابن خير) البازاز (٩٨٧/٣٧٨) : صناعه الاصل من استطاعة، وسكن قرطبة كان نحوياً للجوا كتب عن القاضي وغيره. ومن الكتب التي درسها على القاضي كتاب الزاهر ابن الابنري ونوادر ابن الابناري ونوادر القاضي والامثال للامي صمعى وكتب أبي زيد الانصاري.

(١) جدود الحبشي : ٣٧٤.
(٢) تاريخ ابن الفضلي : ٢٧.
(٣) المصدر نفسه : ٢٧٧.
(٤) المصدر نفسه : ١٦٣.
(٥) فهرسة ابن خير : ٣٣١، ٣٧٣، ٣٢٥، ٣٧١، ٣٢٧.
6- محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي القرطي (989/379) : كان عالماً بصنوف من العلوم كثير الكتب صحيحة
الضبط حسن النقل، وقد حدث عن القالي والرخاي، أستاذه،
بحكايات وأخبار ونوادر.

7- أحمد بن أبان بن سيد (993/383) : قد مر ذكره
وما كان عليه من معرفة، وقد اتخذته فيما تقدم - مثالاً على الثقافة اللغوية
المتخصصة، وسردت ما درسه على القالي من كتب. وهو يعد من أكثر
تلاميذه القالي تأثيراً في الجيل التالي من دارسي اللغة، ومن أشهر من
أخذوا عنه ابن الافليلي.

8- محمد بن عاصم النحوي القرطي المعروف بالعاصي (996/386) : نحوي مشهور أمام في العربية، أثنى عليه ابن حزم
و قال أنه لا يقصر عن أكابر أصحاب محمد بن يزيد المبرد، وكان من
كبار الادباء وعلمائهم. روى عن القالي وعن الرخاي، وهو أستاذ
ابن الافليلي.

9- عبيد الله بن فرج الطوطامي القرطي (996/386) : 

139
رؤى عن القالي والرباحي وابن القوطية ونظرائهم وتحقق بالأدب واللغة.
ومن مزوياته عن القالي كتاب خلق الإنسان لثابت والاشعار الستة الجاهلية، وشعر الحطيئة وغيرها. وقد ذكرت له فيما تقدم كتاب
"اختلاف لغات العرب".

١٠ - عبد الله بن شعب بن أبي شعيب الاشوني (١٠٣٨/٩٩٩): سمع من القالي وابن القوطية، وكان شيخًا أدبا له بصر باللغة واللغة.

١١ - حسين بن وليد بن نصر القرطبي (١٠٣٩/١): كان
نحوًا عالما باللغة متقدما فيها وهو ممن درس على ابن القوطية بقرطبة ولها رحلة إلى الشرق، وبعد عودته أدى أبناء المنصور بن أبي عامر.
وكان ابن الإفيلي من تلامذته الاخذين عنه.

١٢ - محمد بن عطاء الله النحوي القرطبي (١٠٣٩/١): غلب عليه النحو، وهو أحد تلامذة الزيدي المقربين إليه حتى أنه استأدهله بثنيه.

(1) فهرسة ابن خير : ٣٦٤، ٣٨٩، ٣٩٢.
(2) تاريخ ابن الفراهي : ٢٨٧.
(3) المصدر نفسه : ١٣٥.
(4) الصلاة : ٥٠.
13 - محمد بن خطاب الأزدي القرطبي النحوي ( - قبل 400)
10 - روى عن القالي وأبن القوطية وابن الرباحي وعني بالعربية وتقدم في صناعتها، وكان يدرس عليه أباد الآراك وأخصا بني حدير.
14 - عبد الملك بن طريف القرطبي مولى العبديين ( - نحو 400/1011 -): أخذ عن ابن القوطية وآلف في الأفعال كتاباً لبني قبولاً حسناء بين الدارسين، وقال الحميدي نقله عن ابن حزم إنه زاد في كتاب الأفعال لأبن القوطية زيادات استثيمدت منه وأخذ عنه.
15 - أحمد بن محمد بن ربيع الأصبهاني القرطبي ( - 399/999 -): روى عن أبي علي البندادي، وعني باللغة والآداب والأخبار.
16 - محمد بن أحمد بن عبد الله الأموي القرطبي المصرف يابن البطار ( - 399/999 -): أحد تلاميذ ابن القوطية. له رحلة حج فيها، كان يجمع إلى معرفته باللغة تبحراً في الفقه والفرائض والحساب ومعرفة بعقد الشروط لا يجاريه في ذلك أحد من أهل عصره وجمع فيها كتاباً حسناً درسه الناس بالمسجد الجامع بالزهراء في أيام المنصور.

(1) جذرة المقتبس: 56، والتكملة: 77.
(2) الصلاة: 44، وآباه الرواة: 2، وانظر فهرسة ابن خير.
(3) ظل وجدوة المقتبس: 106.
(4) الصدر نفسه: 106.

241
17 - محمد بن أحمد العقيلي القرطبي (ـ 404/1011) : روى عن التالى وكان مقدماً في علم العربية وقد اشتعل بتدريسها.

18 - سعيد بن عثمان البربري الليفي القرطبي المعروف بابن القزاز (ـ 404/1011) : تعلم على أساتذة كثيرين منهم أبو علي التالى. كان حافظاً للغة والعربية ضابطاً لكتبه متقناً في نقله، وهو الذي ذكرت من قبل رده على صاعد في كتاب الفصول، وذكر أنه أكثر التحامل عليه فيه. ويعد ابن القزاز من أجمل أصحاب التالى، وهو أحد ثلاثة صحت اللغة بالأندلس عن طريقهم بعد أبي علي، أما الاثنان الآخران فهما الزيدي وابن أبي الحباب.

19 - أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب النحوي القرطبي (ـ 404/1011) : روى عن التالى ولزمه وكان أثيراً لديه وكان من جلة شيوخ الأدب عالماً باللغة والأخبار حافظاً ضابطاً لها، صحيح الرواية، شديد الحفظ للغة والتفسير في علومها وكانت فيه غلبة شديدة. وهو مؤدب المظهر بن المنصور. روى عن التالى كتاب إصلاح المتنق لابن السكري وأدب الكتب وفصل ثعلب وأمثال وأبي عبد وكتاب فلمر وأفعال للزجاجة والمثل للفقه وخلق الإنسان لثابت والملاحن لابن

الصادر نفسه: 46.
(2) المصدر نفسه: 4، وتأييده الرواة: 44 - 47.
(3) تأييده الرواة: 7.
(4) الصلاة: 45، وجدوى المقتبس: 111.

244
20 - ابن سيدة والد اللفوي المعروف واسمه اسماعيل؟ 
( بعد 104/20 ) : لقي الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين وكان من النحاة 
الذكياء.

21 - سعيد بن محمد المعافري القرطي المعروف بابن الحداد
( بعد 104/20 ) : أخذ عن ابن القوطيه. وقد ذكرته فيما تقدم حين
تحدثت عن بسطه لكتاب الأعمال من تأليف استاذه.

22 - هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي القرطي
( 104/11 ) : نحوه روى عن القالي وكان من الطلبة الذين
تعلقوا عنه كتاب النوادر بجامع الزهراء. وقد حكي كيف ذهب مرة إلى
الدرس في فصل الربع فأخذته سجابة وابتل شبابه ودخل جامع الزهراء
على أبي علي وحوله أعلام أهل قرطبة فأداراه القالي منه وقال له
مهملا أبي نصر لا تأسف على ما عرض لك ثم حكي القالي حكاية عن
 نفسه يشبه بها ويصور مبلغ ما كان يقاسميه أيام الطو ل. قال ابن
 جندل : وسلاني بما حكاه، وهان عندي ما عرض لي من تلك الثواب

(1) فهرسة ابن خير : 320، 324، 336، 340، 371، 373، 377
(2) المصنف نسخه : 269
(3) المصنف نسخه : 261 – 262
وأستكررت من الاختلاف إليه ولم أفرقه حتى مات رحمه الله. روى أيضا عن الرازي كتاب النقائض لابن ولاد، كتابي صنعة الكتاب والانتشار، كتاب النجاح، كتاب الأخبار لمازني، كتاب أبي الحسن الاحتفش في النحو، وألف كتب في تفسير عيون مسائل سياوهة.

۲۳ - عبادة الله بن حسين بن إبراهيم بن عاصم القرطبي المعروف بابن الغرير (۱۲۶۴/۴۱۳) . روى عن القالي كتاب النوادر، وهو من أبن م بهاويات، ولي الشرطة، له تأليف في الأنواع، واختصار للبيان والتبيان.

۲۴ - حبيب بن أحمد المعروف بالشطيسي (۱۹۴/۴۱۴) . روى عن القالي كتاب النوادر، وعن ابن القوطية، وروى كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم، ودون شعر الغزالي الجاحي على حروف المجمع. وقد كان في الخطأ مدخر عن قرطبة عام ۴۱۴/۱۰۴. وقال الحمدي توفي قريبا من الثلاثين، وأربعتاء (۱۳۹۹) م وهو مستبعد كما ترى من تحديد سنة.

---

(۱) فهرسة ابن خير : ۳۸۶ .
(۲) المصدر نفسه : ۳۱۴ ، ۳۱۴ .
(۳) التكملة : ۱۹۱.
(۴) الصلة : ۱۵۲ وجدوتة المقصس : ۱۸۳ .
(۵) فهرسة ابن خير : ۲۳۰ .
25 - سليمان بن خلف القرطبي المعروف بابن نفيس (ش. ٤٠٨)

17 - سمع على أبي علي كتاب النوادر من تأليفه وغير ذلك وأجاز له. وروى عنه أيضاً مؤلفات أبي زيد الانصاري. 2. نوادر ابن الاعرابي.

26 - عبد الله بن الريعي بن عبد الله التميمي (ـ٤١٥/١٣٢٤)

ساكن قرطبة سمع القالي وغيره وروى عنه ابن حزم.

27 - حسان بن مالك بن أبي عبيدة (ـ٤١٦/١٣٥) - روى عن الزبيدي والترزاوي وكان من جلة الأدباء العلماء محدوداً من أئمة اللغة وهو الذي كتب للمنصور كتاباً في الأسمار سمته «ربيعة وعايق».

قرأ على الزبيدي كتاب فلات وأفعلت للزجاح وكتاب أبنية سبيله للزبيدي نفسه.

28 - معاذ بن عبد الله بن طاهر البلدي (ـ٤١٨/١٣٧) - تلميذ ابن القوطية والرضاوي وكان بارعاً في اللغة العربية والأدب.

29 - محمد بن خروج بن سلمة اللحمي الإشبيلي (ـ٤١٩/١٣٨) - صحب أبا بكر الزبيدي وختص به، وكان عمره يوم توفي واحد وسبعين سنة وأشهر.

(1) الصلاة: ١٩٤ - ١٩٥.
(2) فهرسة ابن خير: ٣٢٠ - ٣٢٣.
(3) الصلاة: ١٥٣ وجدوا القطب: ١٨٣.
(4) المصدر نفسه: ٥٩١.
(5) المصدر نفسه: ٤٨٤.
20 - عبادة بن ماء السماء الشاعر (١ ٤٦٨/١٢٨/٤٢١ أو ٤٣١/)
(١٣٥١) : غلب عليه الأدب والشعر، و ألف كتابا في أخبار شعراء
الأندلس، وهو من تلامذة الزيدي. روى عن الزيدي كتابه لحن
العوام، والواضح في النحو، ومختصر العين، والمستدرك من الزيادة
في كتاب البارع، ورسالة التقرير. ومن كتبه القالي روى كتاب البارع
في اللغة وكتاب الإبل وتاجها، وحلي الإنسان والخيل وشيتها، ومقالة
الفرسان، وتفسير القصائد والملفات. وقرأ أيضا المفضلات
والاصصيات ومقصورة ابن دريد والاضداد لثعلب.

21 - يوسف بن ورمز بن خيران السكوني البطليوسي (١ ٤٢٤/١٣٣٣/١)
: تلمذ على الزيدي وابن أبي الحباب وابن الزرار
في قرطبة وكان عالما بالعربية، ولم توفي كان قد قارب الثمانين.
وهناك تلامذة لم تذكر المصادر سنوات وفاته ومنهم:

22 - محمد بن إبراهيم بن معاوية القرشي : حسب إبا علي
القالي وأخذ عنه وآكثر الملازمته له، وورث له تصنيفه.

(1) جذوة التقيس : ٢٧٤، الذكرية ١/٢٠ : ١ - ١، الصلة : ٤٣٦،
 فوات الوفيات ١ : ٢٥.
(2) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير.
(3) الصلة : ١٣٩.
(4) ألباء الرواة : ٢٣٦.

24 - يوسف بن فضالة الأديب أبو الحجاج: من أشهر أصحاب أبي علي والآخرين عنه، ودرس عليه كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت، وفعلت وأفعلت للقالي، وأفعل من كذا له، وكتب الأخبار التي جلبها.

* * *

(2) الصلة: 139.
(3) فهرسة ابن خير: 330.
(4) المصدر نفسه: 302.
(5) المصدر نفسه: 303.
(6) المصدر نفسه: 398 - 399.

247
ويلاحظ أن أكثر هؤلاء الذين ذكروهم ينتمون إلى قرطة في مركز النشاط العلمي في ذلك العصر. وقد أغلقت ذكر فئتين في هذه القائمة:

1 - فئة من اللغويين الذين امتد بهم طلق العمر، وكانت لهم جهود واضحة تجاوزت مطلع القرن التالي، مثل ابن التياني وابن الافليبي وغيرها من تلامذة هؤلاء العلماء الإعلام.

2 - فئة من اللغويين عاصرت هؤلاء الذين ذكروهم ولكن أكثرهم كان ضعيفا في تخرج الطلبة أو في الاتصال بهذه الحركة العلمية نفسها التي تزعمها القالي والزيدي وابن القوطية.
الكتاب الثالث
الحركة اللغوية في الأندلس في القرن انكساس الجذري
الفصل الرابع

العوامل المؤثرة في توجهات الفكر
اللغوي في القرن الثالث

1 - صورة موجزة للأحوال السياسية في هذا العصر

قد أشرت في فصل سابق إلى ما بلغته الدولة الأموية العثمانية من مجد سياسي وعمران داخلي، ولكن هذا كله بدأ بالانقراض بعد وفاة المنصور، إذ تولى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة (336 - 346) لفترات الأحوال بقوة الاستمرار سيرا مقبولا. غير أن ولد المظفر المسمى عبد الرحمن شنجول لم يقع بأن تكون كل

251
السلطة في يده بينما الخليفة هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر لا حول له ولا قوة، والفرص على المؤيد أن يكتب عهدا بالتنازل له عن الخلافة. ولم يكن الأمويون يرغبوا بهذا الذي حدث فثار محمد بن هشام بن عبد الجبار بقرطبة، وترقب بالمهدية، وإشعان بن هشام المؤيد قد مات واتخذ له جندا من العامة وأطراف الناس، وقرئهم وآثرهم على العبيد الاعماري وعلى الطوائف البربرية. عندئذ انشق الأمويون على أنفسهم وثار فريق آخر على المهدية بقيادة سليمان الذي تلقى بالمستعين. وكان أكثر الذين التفوا حول سليمان هم البربر متحالفين مع شامنة بن غسية الذي أهدهم جيش عظيم من التصاريف فحاصر الجيشان المتحالفان قرطبة، وكانت مناوشات ومعارك انتصر فيها سليمان المستعين بعد أن حَرَب هو وجيشه قرطبة، وفر ابن عبد الجبار ثم عاد بجيش جديد يحاول استعادة المدينة. ذلك هو ما يسمى في التاريخ باسم القتلة الاعمارية (1299 - 1302). وظل الأمر في قرطبة لسليمان حتى أخذها منه بنو حمود سنة 405. كل هذا كان يحدث حول قرطبة بينما كان فتيان العامريين يهرعون منها ويتكل كل منهم بلداً ويعلن استقلاله فيها. فاستولى مجاهد العامري على دانية والجزائر، واستولى مبارك ومظفر العامريان على مدينتي بنسبة.

(1) راجع هذا المنهد في البيان الغرب 1: 42 - 46 .
(2) المصدر نفسه 1: 51 .

252
وشاطبة، واستولى خيران الصفلي العمري على مدينة المرية، وكَوَّن
زهراء الفتى العمري دولة امتدت إلى شاطبة وبِكَاسة وما وراءهما من
أعمال طليطلة.

وظهر جليا بعد اختفاء المحاولات المتكررة لارجاع الخلافة الأموية
ان الفتنة البربرية قد قضت على وحدة الاندلس كما قضت على عمران
قرطبة. واترى في كل منطقة زحل قوي أغلب استقلاله، وهذا هو ما
يسمى في تاريخ الاندلس بعصر ملوك الطوائف. ففي قرطبة بنو

(1) راجع أعمال الإعلام 112 - 141.
(2) اتصلت العمارة بقرطبة في أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولا،
وفي عرضها فرسخين ( 24 ميلا × 6 ) كل ذلك ديار وقصور
ومباني ومعابد وتمثال وسائر واختان واشوار وحمامات
بطول ضفة الوادي الفضي بالوادي الكبير ... وكان لقرطبة
واحد وعشرون رياض ... وبلغ عدد دورها في أيام المنصور
1127 دارا، ومن المساجد 1387 مسجدا ومن الحمامات
3111 حماما، ومن الفنادق والخانات 174 لسكي التجار
والمسافرين والعرب والقراء وغيرهم، ومن الحوايت 134،
حيانا. فلما أكثر ذلك العمران في الفتنة. ( راجع ذكر بلاد
الأندلس الورقة 24 - 28، مخطوطة الرباط رقم 58 لمؤلف
مجهول ) ويلقول البكري: "عقب الفتنة التي كانت على رأس
اربعماثة من أهل الجزيرة واستمرت إلى وقتنا هذا وهو سنة سنتين
وال-Semitات من الهجرة عفت آثار هذه القوى وغيّرت رسم ذلك
العمران، فصار أكثرها خلاء بندب ساكينه، ويبعد يقص
مبسمله وكذلك حكم الله في كل جديد ان بليبه، وفي كل أهل
ان يخله" ( المسالك والممالك، مخطوطة الرباط 484 ق.
الورقة 72 ). وانظر حديث ابن حيان في الأدبية عن اصاب
قرطبة في هذه الفتنة، فقد كان شاهد عيان لما يجري يمستد
( 2 / 111 - 113 ).

253
جهور ١، وفي اشبيلية بنو عباد ٢، وفي بطليوس بنو الافطس ٣، وفي طليطلية بنو ذي النون ٤، وفي سرقسطة بنو هود ٥، وفي غرناطة بنو زيري ٦.

١ مؤسس هذه الدولة هو الوزير أبو الحزم بن جهور، وقد تولى الأمر بعد فرار هشام بن محمد، الملقب بالعندل بالله، سنة ٤٣٢/١٣٣١. وكانت حكومته تبسط سلطانها على جيان وإبنة وبتامش والدورة وراجوانة واندوجر. وعرفت حكومة ابن جهور في صحف التاريخ الإسلامي «بحكومة الجماعة». وتوى في ابن جهور ٤٣٥/١٣٣٣، وسقطت المدينة بأيدي بني عباد عام ٤٣٦/١٣٣٤. (دول الطوائف: ٦٠- ٣٠).


الصنهاجونا، وفي اركش بنو خزرون، وفي البونت بنو قاسم، وفي شلطيش وولاية البكريون. ويطول الأمر لو أردت تعداد كل تلك الدول، وإنما ذكرت هنا أشهرها. وتثبيز هذه الدول فيما بينها قوة وضعف، وقيم وانتقاء، ولكنها تشارك معاً في مظاهر محددة. فكل دولة تنفق على جيش تهد لمواجهة الخطر من الدولة المجاورة، وبذلك تنقل الرعية بما تفرضه من ضرائب، وكل دولة تدفع الضرائب السنوية لأنفونس السادس (الابن العش) لأنه اقوى من كل دولة منها على حدة وهي من جزء التنافس فيما بينها لا تفكر في مواجهته مجتمعة. ولذلك نستطيع أن تنبي في هذا العصر ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: مرحلة المحاولات المتكررة لانقاذ الاندلس بإعادة الخلافة الأموية. وقد انتهت هذه المرحلة حوالي 431/10 م. المرحلة الثانية: مرحلة البناء الداخلي في كل دولة على حدة، وبخاصة الدول الكبيرة مثل دولة بني عبيد وبني

الافتش وبني هود وبني جهور الخ. وقد انتهت هذه المرحلة عندما سقطت طليطلة مركز بني ذي النون في يد الإذقونش عام 1085/478. المرحلة الثالثة: مرحلة الخطر وانتقاض الأمر في الأندلس. فان سقوط طليطلة كان يعني ان الإذقونش لن تقف به اطماعه عند هذا الحد، لأن طليطلة هي مفتاح الأندلس من الشمال. وجاء سقوطها الى استدعاء الصحراويين (أو المرابطين أو المنشقين) بقيادة يوسف بن تاشفين، فكانتم معركة الزلاقة (1186/479) كأكبرة لإطامع الشمال. ولكن ما لبث يوسف نفسه أن طبع في الاستيلاء على الأندلس لرغبة الرعية فيه، وبخاصة الفقهاء، ولا رأى من شقاق وتنابذ بين أمراء الطوائف، فاستولى على تلك الدول واحدة واحدة، ما عدا ناحيتين: دولة بني هود، فقد ابقاها حدا فاصلا بينه وبين قوى الشمال، وبنفسيا التي استولى عليها السيد الكنيططور (1195/485) وامتدت دولته فيها حتى سنة 1202/495.

تلك صورة موجزة اشد الايجاز لأنه ليس من همٍ أن ادرس الناحية السياسية الا بمقدار ما تلقي ضوءا على طبيعة الحياة اللغوية. وإذا عدت إلى تصور العلاقة بين هذه الأوضاع والنشاط العلمي عامة خرجت بالنتائج الآتية:

(1) راجع: اعمال الاعلام، تحقيق بروفيسور: 248 - 249، وراجع أيضا الاستقصا 30 - 10. 

256
1 - قضت الفتنة البربرية على كثير من العلماء بالموت أو بالهجرة من الأندلس إلى خارجها، أو بمغادرة قرطبة إلى مدن إندلسية أكثر اطمئناناً.

2 - أصبحت حياة العالم أو الأديب في هذا العصر، من ناحيتها العاشية، قائمة في الأثر على التجوال المستمر والاحتماء ببلاطات الأمراء.

3 - لم تمتد فترة الاستقرار في هذا العصر طويلاً بحيث تسمح للفرد أن يشعر بالأمان وان يصدر انتاجه في ظله. ولذلك نستطيع أن ننصف العلماء الإندلسين انصافاً حقيقاً إذا تصورنا أنهم أقبلوا على هذا القدر من التأليف في وقت تعبه الفوضى ويشتد فيه اليأس من العمل الإيجابي.

4 - كانت الصيغة الأدبية أغلب على هذا العصر من سواها، لحاجة كل أمير إلى بطاقة من الشعراء تشهد به مناحبه وأخرى ليست فيه. ومهما يقل عن التنافس بين أمراء الطوائف في تشجيع العلوم فانه ليس من الخطأ القول بأن ما أثاره تشجيع الحكم وحده للكتب التي ألقت في مختلف الموضوعات يفوق ما أثاره أمراء الطوائف.

(1) راجع آثار الفتنة البربرية في الحياة الأدبية في كتاب تاريخ الأدب الإندلسي (عصر سيادة قرطبة) : 183 – 189.

المادة اللغوية 17257
الافطس وبيتودي جهور الخ. وقد اتت هذه المرحلة عندما سقطت طليطلة مركز بني ذي النون في يد الأندلس عام 478/1085. المرحلة الثالثة: مرحلة الخطر وانتقاض الأمر في الأندلس. فان سقوط طليطلة كان يعني ان الأندلس لن تقف به اطعامه عند هذا الحد، لأن طليطلة هي مفتاح الأندلس من الشمال. وجز سقوطها إلى استدعاء الصحراويين (أو المراقبين أو المتشينين) بقيادة يوسف بن تاشين فكانت معركة الوثيقة (186/482) كابحة لأطاع الشمالين. ولكن ما لبث يوسف نفسه أن يعثر في الاستيلاء على الأندلس لرغبة الرعي فيها، وبخاصة القهوة، ولما رآه من شقاق وتناذب بين أمراء الطوائف، فاستولى على تلك الدول واحدة واحدة، ما عدا ناحيتين: دولة بني هود، فقد ابتكرها حدا فاصلا بينه وبين قوى الشمال، وبئسية التي استولى عليها السيد الكنيبطور (485/1093) وامتدت دولته فيها حتى سنة 495/1099.

تلك صورة موجزة اشد الإيجاز لأنه ليس من هم� ان ادرس الناحية السياسية إلا بمقدار ما تلقي ضوءا على طبيعة الحياة اللغوية. وإذا عدت الى تصور العلاقة بين هذه الأوضاع والنشاط العلمي عامة خرجت بالنتائج الآتية:

1 - قضت الفتنة البدرية على كثير من العلماء بالموت أو بالهجرة من الأندلس إلى خارجها، أو بمغادرة قرطبة إلى مدن إندلسية أكثر أطمئنًا.

2 - أصبحت حياة العالم أو الأديب في هذا العصر من ناحيتها المعاشية قائمة في الأكثر على التجوال المستمر والاحتمال بلاطات الأمراء.

3 - لم تمتد فترة الاستقرار في هذا العصر طويلا بحيث تسحب للفرد أن يشعر بالأمان وان يصدر انتاجه في ظله. ولذلك نستطيع أن ننصف العلماء الأندلسيين اصطفا حقيقة إذا تصورنا أنهم أقروا على هذا القدر من التأليف في وقت تعبه القوضي ويشتد فيه اليأس من العمل الإيجابي.

4 - كانت الصبغة الأدبية أغلب على هذا العصر من سواها، لحاجة كل أمير إلى باتنة من الشعراء تشير بمناقبه وتتعلق له مناقب أخرى ليست فيه، ومهمة يقل عن التنافس بين أمراء الطوائف في تشجيع العلوم فإنه ليس من الخطأ القول بأن ما أثاره تشجيع الحكم وحده للكتب التي ألما في مختلف الموضوعات يفوق ما أثاره أمراء الطوائف.

(1) راجع أثر الفتنة البدرية في الحياة الأدبية في كتاب تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) : 173 - 181.

الحركة اللغوية 1757
3 - العوامل الجديدة التي أثرت في الحركة اللغوية

على أي حال كان لهذا العصر خصائصه الفارقة من الناحية السياسية التي بعتت بدورها فروقاً في الوضع الاجتماعي والاقتصادي. ومن ثم وجدت عوامل محلية أثرت في توجيه الحركة اللغوية في هذا العصر وجهتها التي سارت فيها، بالإضافة إلى ما كان هناك من عوامل تقليدية من رحلة إلى الشرق، وهجرة للمشاركة والكتب المشرقة إلى الأندلس، وحلقات للتدريس والمناقشة، وتشجيع على التأليف.

أ - الخصب اللغوي الذي أوجده القالي وتلامذته

وأول هذه العوامل الجديدة ذلك الخصب اللغوي الذي أوجده القالي وتلامذته. وكان لا بد أن يؤدي ثمراته على حسب قانون التطور الطبيعي في هذا العصر الذي اتحدث عنه. فما كنا نرى رسوخ الدقة اللغوية، والاتجاه إلى شرح الأمهات من كتب اللغة، واعتماد الأصول، واتساع مجال الثقافة اللغوية، لولا تلك الحركة التي أثارها القالي بشخصيته، وتعليمه، والكتب التي هاجر بها، والتلامذة الذين تخرجوا على يديه. ولكن هذا العامل تشكل أثره أيضاً بقوة العوامل الأخرى.

(1) تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والرابطين: 77.
ب ـ تعدد المراكز الثقافية

وثانيا تلك العوامل تعدد المراكز الثقافية على أصول الانقسام السياسي، بحيث أصبحت كل عاصمة دولة من دول الطوائف مركزا من مراكز الأدب والعلم. وقد كان تشير في العصر السابق أكثر ما تشير إلى قرطبة التي كانت كالقطب المغناطسي في اجتذابها للعلماء من مدن الأندلس وغير الأندلس، أما في هذا العصر ففعل قرطبة لم تكن كبرى المراكز العلمية بل أصبح ينافسها كثير من المدن. واتصل هذا العامل بظاهرة امراء الطوائف انقسامهم، فقد كان الأمير هو الراعي الأول للحركة الثقافية، وكان لون هذه الحركة يسير حسب معول ذلك الأمير. فكان الميل الأدبي اغلب على بلاط اسمبلية وكان الميل العلمي اغلب على بلاط بني ذي النون بطيطة وبني هود بسرقسطة. وكانت البهجة بجمع أكثر عدد من العلماء المشهورين في مختلف العلوم، من فقه وحديث ولغة، ميزة لبلابط العامريين في دانية. ومن الصعب أن تأخذ هذا القول مأخذا حاسما اذ ليس معنى غلبة الميل الخاص انعدام ضروب النشاط الأخرى، ولكنني ما دمت اتحدث عن ناحية التشجيع الذي يبذلته الأمير فلا بد أن ألمح صعوبة في استبانة موضوع العالم اللغوي من هذا التشجيع نفسه، ويزيد الأمر صعوبة ذلك القلق السياسي الذي كانت تعاني فيه الجماعة الأندلسية وهو يؤثر بدوره على الفرد وعلى
مصادر معيشته. ولذلك لم يكن الشاعر وحده هو الذي يطلب رزقه بالتنقل بين بلطات الأمراء، بل وجد كذلك العالم اللغوي الذي يطلب رزقه معلما أو عضوا في حاشية الأمير بالتنقل من بلد إلى بلد. وأحيانا تكون النقلة استدعاء من قبل الأمراء أنفسهم اعتمادا على شهرة ذلك العالم وتنافسا بينهم في الاستثمار بالمشهورين من الأدباء والعلماء. ولذا في تنقل البكري وابن السيد وابن الديني وابن سيده وغيرهم أمثلة على التحرك المستمر في الاتجاه بأمير أو آخر. وما زال نرى الأمراء ينهجون منهج الحكم المستنير في اقتراح الموضوع الذي يؤلف فيه العالم اللغوي وضع حدود لنهج التأليف. فالأعلم يقول في مقدمة كتابه الذي شرح به أبیات كتاب سيبويه: "هذا كتاب أمر بتلخيصه وتهذيبه وتخصيصه المعتضد بالله المتصور بفضل الله، أبو عمرو عبيد، ابن محمد بن عبد الله بنه، وأدام عزومه، عناية منه بالأدب وميلا اليه، وتهما بعلم لسان العرب وحرصا عليه، أمير، أدام الله عزه وأعزه سلطانه ونصره، باستخراج شواهد كتاب سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، رحمه الله عليه، وتخصيصها منه وجمعها في كتاب يخصه وفصلها عنه، مع تلخيص معانيها وتقرير مراميها... فانتهيت إلى أمره العلي، وسلكت فيه منهج مذهب الرفع السنى، وأتمته على ما حدي 1. وقد

1) كتاب سيبويه 1: 3 0.
نرى العالم يطرق كتابه باسم أمير تقريا إليه، كما فعل أبو عبيد البكيري حين كتب «الثنابه على أوهام أبي علي في أماليه» فانه أهداه للافتتح
ابن عباس. ويمثل تمام بن غالب التنائي أنموذجا ثانيا هو أنموذج العالم
الذي لا يستطيع ل نفسه تجاوز الحقيقة، ولا يهم ان يزيّن كتابه باسم
عظيم من العظماء. فقد سأله أبو الجيهم ماجاه العامري ان يكتب في
صدار كتابه «انه مما الله لأبي الجيهم، وبعث إليه الفدينار اندلسية ،
فرد الدنانير، وأبي من ذلك، وقال: والله لو بذلت لي الدنيا على
ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب، فاني لم أجعنه له خاصة لكن لكل
طالب عامه» ۱. ولم تشتهر هذه الحكائية الدائرة على النزاهة والتعفف
وعلو الهمة الا لأن امثالها كانت قليلة، ولأنه كان من حسن حظ العالم
ان يجد أميرا يرعا فيزيتن كتابه باسمه.

فتنقل العلماء ظاهرة تفارق ما أهتنا في العصر السابق من استقرار
العالم في بلد، واتحال الطلب للأخذ عنه؛ وغالبا ما يكون هذا البلد
هو قرطبة. أما في هذا العصر فقد أصبح كثير من معلمى اللغة متنقلين،
واستغنى الطالب، الى حد ما، عن الارتحال الدائب من أجل الطلب.
وفي تضاعيف هذا التنقل نلمج شيئا من الاستقرار النسبي، تستطيع من
خلاله ان تقرن بكل بلد علماء اشتهروا فيه على وجه الت قريب. فكانت

۱) فهرسة ابن خير: ۴۶۰، جودة المقتبس: ۱۷۲.
قرطبة مركزا لحفلتين كبيرتين من حلقات العلم اللغوي، حلقتا ابن الافليلي، وحلقتا ابن سراج، وانضاف اليهما ابن السيد الذي لم يكن ليغادر قرطبة لولا خوفه على حياته من بعض وزرائها. ولهما حل في بندسية اصبحت له مقاما دائما وعاش فيها حتى ادرك العصر التالي. وفي اشبيلية وجد اثنان من كبار علماء اللغة هما أبو الحجاج الاعلم الشرطي، وأبو عبد البكري، وهما أيضا مهاجرين إلى اشبيلية وليستا من أهلها أصلا، وقد أطلق اللسان الثاني منهما إلى المقام في اشبيلية في ظل المعتمد بن عباس وظل فيها إلى أن توفي عام 487/1094. وأما الأعلام فانه بعد ان طلب العلم في قرطبة سكن اشبيلية، وظل فيها أيضا حتى توفي عام 573/1176. وكذلك استقر في اشبيلية ابن دحيم استادا للغة وال نحو. وان لم يقرن ابن التيني بمرسية، الا أنه استدعى إلى البحرية ليدرس فيها بعض ابناء الوزراء. وفي ظل بني صماد بالمرية أيضا، عاش محمد بن مصير اللغوي المعروف ابن أخت غانم مرتئلا إليها من مالقة. وهو شارك كتاب النبات لابي حنيفة في مجلدات عديدة. وفي ظل مجاهد العامري وابنه اقبال الدولة قضى ابن سيده أكبر اياه، ووجد في دائرة بيئة صالحة تمكنه من التفرغ للعلم والتأليف. فقد استطاع مجاهد بمهلة الى العلم وتشجيعه للعلماء ان يجمع حوله نخبة من

(1) الصلة : 239.
(2) نهرسة ابن خير : 376.
(3) الظهرة ابن اخت غانم في المغرب 1 : 376 وثبيت الوعاة : 106.

262
العاملين في الميادين العلمية، لا في ميدان اللغة فحسب، فقد قصد صاعد الادنلسي نفسه قبل أن يرحل عن الأندلس إلى صقلية، وعاش في بلاده ابن عبد البر التمري أحد كبار فقهاء الملكية في عصره. وقصد مملكته ابن حزم الأندلسي. وفي ميورقة، وهي جزيرة تحت حكمه، نشأت المناظرة بين ابن حزم وابي الوليد الباجي. أما من اللغويين عدا صاعد وابن سيد، فقد قصد ثابت الجرجاني، فأكرم وقادته إلى مدينة دانية، وفيها شرح ثابت كتاب الجمل للزجاجي، وايلي ثابت ارتحل أبو تمام النحوي عن بلدة قطن بسيورقة، وسكن دانية، ودرس عليه. وفي طليطلة استقر سعيد بن عيسى بن الأصرف يعلم اللغة وهو مؤلف شرح كتاب الجمل. كما كان أبو الوليد الوفي يدرس فيها اللغة إلى جانب تدريسه للهندسة والعدود وعلوم الأوائل، ومن معلمي اللغة الذين استقروا في طليطلة إبراهيم بن لب بن إدريس التجبي وأصله من قلعة أيوب، سكن طليطلة وأدب بالعربية في ستة مائة، ثم انتقلت المدينة مدة الزمن ثم ذكر لأبي الوليد الوفي أن إبراهيم حريص على تعلم الهندسة فقال له: خذ فيه، فقرأ عليه كتاب أقليدس وأحكمه وتدرجه منه إلى قراءة غيره حتى برع في هذا العلم وأخذ يقرئه للناس وتخلع عن

(1) وفيات الأعيان 2: 181.
(2) الصلة : 142.
(3) التكملة 3: 291، وانظر نفح الطيب 2: 282.
(4) الصلة 449.
(5) المصدر نفسه 218.
جـ الاهتمام بانتشار الكتب

كان من أثر القلمة البَرَبِيرِيَة أن بيع ما كان بمكتبة الحكم من كتب ومحفوظات أوكس الأثاث، فاقتشر تلك الكتب في مدن الأندلس المختلفة، وزاد اقبال الناس على القراءة بعد أن كانت فائدة هذه الكتب مقصورة على قرطبة أو على العلماء والدارسين المقربين من الحكم، وقد حكي ابن سيده إنه رأى كتبًا منها في طليطلة، أي بعدما يقرب من قرنين ونصف من خراب هذه المكتبة. وقضت القلمة أيضاً ببيع تلك المكتبة الكبيرة التي كانت تنافس مكتبة الحكم في ما احتوته من أصول عنيّة مكتبة التاضي عبد الرحمن بن قطيس. ودام إخراج الكتب وبيعها منها مدة عام كامل. وأخذ ورثة ابن لطيس لما باعوه أربعين ألف دينار قاسمية. واندفع كثير من المنقنين إلى أقنعة الكتب وانتشار مكتبات خاصة بهم في المدن الأندلسية. فكان من أصحاب المكتبات في قرطبة محمد بن يحيى الفاقشي المعروف بابن الموصل (442/1050). قال فيه ابن الباران: "كان جميعًا لدفاتر العلم من لدن صباح متنقية لكرامته"
بصيرا بخارها عارفا بخطوطهما يحكمون اليه في ذلك، مؤثرا ليا على كل لذا، حتى اجتمع منها عندما لم يجتمع مثله لأحد بالاندلس بعد الحكم الخليفة. وكان عندما اصلاح المنطق بخط ابي علي التالى، والغريب المصنف اصل ابي علي، ونوادر ابن الأعرابي بخط ابي موسى الحاضر، وتاريخ ابي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملول الوشقي. بيع هذا كله في تركه وأغلي فيها حتى لقومت الورقة في بعضها بربع مثقال". ومن هؤلاء القرطبيين جعفر بن محمد بن مكي القيسي اللغوي تلميذ ابي مروان عبد الملك بن سراج، فقد جمع عددا كبيرا من الكتب. كذلك أسس الأمير هشام حفيد عبد الرحمن الثالث مكتبة عظيمة اشتراها الخليفة سليمان المستعين من بعد. واهتم مسلمة بن سعيد الاتصاري بجمع الكتب في رحلته، وكان كلما اجتمع له منها مقدار صالح نفسي بهالي مصر، فأدخل الاندلس ثمانية عشر حملا من الكتب في كل فن من فنون العلم. وهناك أمثلة أخرى كثيرة عن القرطبيين الذين كونوا مكتبات خاصة ذكر منها ربيرا أمثلة في مقالته، وأشار إلى كثرة عدد النسخ، وصيورة الورقة حرفة معتمدة.

أما في اشبيلية فعمل أكبر اثنتين من جماعي الكتب هما: الفقيه ابن

(1) التكملة : ٢٨٧.
(2) الصلة : ١٣٩.
(3) مقالة ربيرا : ٧٦.
(4) المصدر نفسه .
حزم، والعالم أبو عبيد البكري، وسأتحدث عند الكلام على أبي عبيد
عن مدى اهتمامه بالكتب وحرصه عليها.
ولم تكن مدينة المرية تقل عن قرطبة في الاهتمام بجمع الكتب
وأشهر من نال صيتها في هذه الناحية وزير الفتى زهير العامري أخو أبي
أحمد جعفر بن عباس، فقد عرف هذا الرجل بأنه بذلة أهل زمانه في أربعة
أشياء: المال والحب والبخل والمهارة في الكتابة. وزعموا أنه لم يجتمع
عند أحد من نظارته من المال والكتب والآثاث والأخاث ما اجتمع عندنا.
وقد اجتمع في مكتبتنا ما يبرع على أرباعمئة ألف مجدل عدا الأوراق
والأكراس التي ملأت قصره. وقال لسان الدين: كان جامعا للدواوين
العلمية معتنيا بها مغاليا لها نفعا بها من خصه لا يستخرج منها شيءًا
لفرط بخله بها إلا انسبيها حتى لقد أثرى كثير من الوراقين والتجار معيه
فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك؟.
وفي بطليوس عرف المفكر بن الاغضب صاحبها بالفناء مكتبة
عظمية، اعتمد عليها هذا الأمير في تأليف كتابه "المفكر" في خمسين
مجلدا، تناول فيها الأدب والتاريخ.

1) انظر: الذكرى 2/1 : 151 وما بعدها.
2) مقالة ريبرا : 80.
3) الاشاطرة 1 : 129.
4) انظر البيان الغرب 3 : 236 و يقول ابن سعید في الغرب 1 : 36.

662
وليس حظ طيبةً أبلى من حظ غيرها في العناية بالكتب فقد كان أصحابها ينوذون من الحر경ين على جمعها يقول ريبيرا: "دفهم جمعهم للكتب إلى الاستياء عنوانة على مكتبات خاصة فتهوها مكتبة العروسي حيث أتيج الناس أن يشهدوا أمراً عجباً عندما شبت النار في حي القرانيين ولم يتم أحد بأن ينفذ منها سوى حجرات ابن ميمون، جنوع الكتب، حيث كان يحفظ مكتباته التي اشتهرت باحتواها على الكتب الصادقة" ١. وهذه أمثلة فحسب، ومن تبت الأذناء عن جمع الكتب في مدن أندلسية أخرى وجدنا متنايرة في كتب التراجم.

وكلما كبرت هذه الصورة عن إنشاء المكتبات الخاصة زادت في تصورنا للجو الثقافي في المدن الإندلسية، إذ أن الإندلس لم تعرف المكتبات العامة الا مجموعات يسيرة من الكتب التي كانت توقف على المساجد لزينة منطلبة في دراستهم ٢. وفي هذا الجو الثقافي كان للغة والكتب اللغوية مقامها الذي لا ينكر وبخاصة لاهتمام الإندلسين باللغة وعلومها اهتماماً يفوق ما كانوا يولونه من عناية لغير ذلك من العلوم ٣.

د. التسامح النسبي

ومن تلك العوامل التسامح النسبي الذي ظهر في عصر ملوك

(1) مقالة ريبيرا: ٨٢.
(2) المصدر نفسه: ٧٧.
(3) انظر هذا الكتاب، المقدمة: ٤١ وما بعدها.

٢٦٧
الطوارئ بالنسبة لدراسة العلوم القديمة. وقد يكون من المستغرب أن
نجمل هذا العامل واحدا من العوامل الفعالة في الحركة اللغوية. ولكن
الاستقراء يدلنا على أنه أثر بطريقة غير مباشرة في الحركة اللغوية عندئذ.
ويمكن أن تصور هذا التسامح من قول الماضي صاعد عند حداثه عن
خراب مكتبة الحكم: "وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس. ووجد
في خلالها أعلام من العلوم القديمة كانت أفلتت من أيدي المنتحين
بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر، وأظهر أيضا كل من كان عنده
من الرغبة شيء منها ما كان لديه منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حينذ في
طلب العلم القديم شيئا فشيئا". كما نستطيع ان نلحصها من أسماء تلك
الإعلام التي عملت في الحقل الفلسفي والعلمي في هذا العصر. وآية
هذا الذي اعتنده من أثر لانتشار هذه العلوم في الحركة اللغوية أن أبرز
العاملين في حقل اللغة في هذا العصر كانوا من المشتغلين بالفلسفة
والمنطق. فقد كان ابن سيده، أكبر عقلية أندلسية عملت في هذا المجال،
من عنى بعلوم المنطق عناية طويلة. قال الفاضل صاعد: "وألف فيها
تأليف كثيراً مبسوطًا ذهب فيه إلى مذهب متيي بن يونس، وهو بعد هذا
أعلم أهل الأندلس قاطبة بال نحو واللغة والشاعر، وأحفظهم لذلك حتى
انه يظهر كثيروا من المصنفات فيها، كنريب المصنف، واصلاح المنطق

(1) طبقات الإمام ٦٧

٢٦٨
الأخ ..» ۱. ويتحدث ابن سيد في معرض الفخر بما يحسن من العلوم فيقول: «وذلك اني اجد علم اللغة اقل بضائع علمي وواسر صناعي إذا اضفته الى ما اننا به من علم حقيق النحو وحوشي الأروض وخفي للغوية وتصوير الاشكال المنطقية والنظر في نبض العلوم الجدلية التي يجني من الاخبار بها نبو طبع أهل الوقت ، وماهم عليه من رداءة الأوضاع والملفت » ۲. وكان ابن السيد ذا ثقافة فلسفية إلى جانب ثقافته اللغوية النحوية. وقد أفتك في هذا الباب كتابه « الحدائق في المطالب العالية الفلسفية » ۳. وذكرت له المصادر أيضا كتاب « شرح الخمسة المقالات الفلسفية » ۴. وما تناول أدب الكتاب لابن قتيبة بالشرح لم يستطع أن يتصور كيف أن عالما لغويًا يلبس على الأديب في عصره دراسة الفلسفة والمنطق فقال: « وقد روى ان الذي دعا الى الطعن عليهم في كتابه هذا أنه كان متهما بالليل الى مذاهبهم واعتقادهم ، فاراد ، رحبه الله ، أن ينفي الظنه عن نفسه بلغتهم الطعن عليهم ». وكان أبو الوالي الوفي الطليطلية « من التفتيش في العلوم المتوسطين في ضروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقيق بصناعة الهندسة والمنطق » ۱.

---

(۱) المصدر نفسه : ۷۷.
(۲) المحكم ۱ : ۱۶.
(۳) طبع بمصر عام ۱۹۴۲.
(۴) انظر بروكلمان (ط ليون) ، الملحق ۱ : ۷۵۸ ، والمخطوط موجود في هرست بريش ۱۶۵.
(۵) الالتزام : ۱۸.
(۶) طبقات الأمم : ۷۴.
وكانت لسعيد بن الاصفر أحد علماء اللغة مشاركة في المنطقة. أما ابن حزم فانه وإن لم تصلنا تصنيفاته الواضحة التي أشار إليها صاعد في "علم النحو واللغة"، فاننا ننثر في كتبه من آراء نافذة في اللغة يجعله فيما أرى من علمائها المقدمين. وقد كان ابن حزم من أشد الناس اهتماما بالمنطق في عصره، متحمسا في ذلك اهتمام الفقهاء له بقراءة كتب تؤدي الى الالحاد. وقد اتفق في المنطق كتابه "التقريب لحذ المنطق والموصل الى النهض" واراد أن يستعمل لغة وأمثالا كي يقرره من الدارسين، وبذلك يضع في أيديهم ميزانا صحيحا للفهم والبرهان. ولا ننس أبا الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني فانه كان عالما في اللغة مشتغل بعلوم الأوائل وخاصة المنطق، وكانت تجري بينه وبين ابن حزم مناظرات في بعض الموضوعات الفلسفية وعلى أطلق ابن حزم صفة "الملحدين". ولا تحدثنا المصادر بشيء عن ثقافة ابن الافيلي المنطقية الفلسفية، ولكنها تقول ان ابن الافيلي لحقت تهيئة في دينه مع آخرين من الأطباء. وسأبين عند الحديث عن هذا العالم اللغوي أن هذه التهيئة في الدين ربما لم تكن شيئا سوى اتهامه بدراسة المنطق والفلسفة. كذلك لا تحدثنا المصادر بشيء عن تحصيل البكري لثقافة فلسفية، ولكننا ان وسننا

---

(1) المصدر : 218
(2) طبقات الامام : 77، "ولابي محمد بن حزم بعدها تصنيف وافر في علم النحو واللغة".
(3) الفصل 1 : 17
مدون هذا المصطلح قليلا وجدنا البكري عالم يدرس المصادر القديمة فيعتمد على بطليموس في المجسطي والجغرافيا ويتستند أحيانًا من كتاب هروشيوس (اوروسيوس).

فنجن اذ أزاء ظاهرة لافتة للنظر هي هذا الترابط بين الثقافة العلمية الفلسفية، وبين الاتجاه اللغوي. وليس من اليسير أن تتبنى مدى التأثير المتبادل بين هذين الاتجاهين، ولكن من المسلم به أن الدراسة المنطقية وال démarche قد منحت الاتجاه اللغوي دقة وشمولًا وهيا زيو للبحث النظري في اللغة. ولكن عوامل جديدة حالت أولا دون الاعمان في هذا اللون من الدراسات، وحالت أيضًا دون التوفر على النظرية اللغوية. فلم يكن للاندلس في هذا المجال الا التفاعلات جزئية.

وقد أشار صادق إلى هذه العوامل مجتمعة تحت مفهوم القلق السياسي الذي كانت ت تعرض له الإيالس فقال: "إلى أن زهد الملبك في هذه العلوم وغيرها، لكن اشتغال الخوارج بما دهم اللغور... قائل طلاب...

---

1 مقالة الدكتور موسى الباجري والجغرافيون في الأندلس.
2 لم يكن هذا وقفي في الأندلس على المشتغلين باللغة بل تميز به بعض العلماء اليهود كذلك ومنهم مروان بن جناب بسرقنطة وكان من أهل العناية بصناعة النطق ومع التوسع في علم لساني العرب واليهود ( طبقات الأمم : 89 ) واسحاق بن قسطر (348/458 ) الذي خدم مجاهادا العامري وابنه أقبال الدولة فكان بصيرا بالنطق متقدما في علم اللغة العرائيه ( المصدر نفسه) والصلة بين النحو والمنطق في الشرق أمر لا يحتاج إلي برهان.
3 لعل الأصول ان تقرأ "قان".

271
العلم وصُرِّم أفراداً بالأندلس» ۱. وكلاً صاعد معتناء تعرض ملموّك الطوائف للاختيار الخارجي تَمّ انشغالهم عن تشجيع العلم والأدب بمحاولة ردّ العدوان داخلياً كان أو خارجياً، ثم عدم اطمئنان العلماء واضطرارهم إلى الجلاء المستمر، وكل ذلك لا ينطبق على العلوم العقلية فحسب، بل يصب انواع الدراسات جميعها التي تزدهر في ظل الاستقرار والأمن.

۳. الظاهرة النظرية في حياة اللغة

ولهذا اكتفى الأندلسيون بما يسد الحاجة العملية في دراسة اللغة، ولم يلفتوا كثيراً إلى المحاكمات النظرية إلا ما كان من بعض الآراء التي عرض لها ابن حزم في سياق حدثه في التواحي الشرعية والجدلية الدينية. وكان مذهب الظاهربي وأصول المنطق آثرهما في كل ما جاء به من نظارات، ذلك أن الظاهرة يعتبرون اعتقاداً كبيراً على الدقة النظرية في استخراج الأحكام كما أن اللغة لدى ابن حزم ذات منطق خاص لا بد من ادراكه تماماً للوصول إلى البرهان الصحيح.

ا. البحث في أصل اللغة

وأول المشكلات التي تعرض لها هي مشكلة كيفية ظهور اللغات:

(1) طبقات الإمام: ۲۷۰.

۷۷۲
أعلن توقيف أم عن اصطلاح. وقد ذهب ابن حزم إلى أنها توقف، وأدته على ذلك أن الكلام لواء كان اصطلاحا لما جاز أن يصطلي عليه إلا قوم قد كملت أذهانهم وتمت علومهم، وليست هذه هي صفة الإنسان في دوره الأول إذ يحتاج إلى سنوات طويلة حتى يبلغ هذا المستوى. ولو أن الناس اصطلاحوا على لغة مدَّى عليهم وقت قبل أن يصطلحوا عليها، فكيف كانوا يتفهمون أثناء ذلك الوقت؟ ثم لو اعتمدوا أن يصطلحوا على لغة، لكان هذا مستدعيا لغة يتفهمون بها على وضع ذلك الاصطلاح. ولكن اللغة الأولى كانت توقفية في رأي ابن حزم ثم اصطلاح الناس بعد ذلك على اصطلاح لغات شتى من هذه اللغة. فما هي تلك اللغة الأصلية؟ قال القوم: هي السريانية، وقال آخرون: هي اليونانية، وقال فريق ثالث: هي العبرانية، وقال آخرون: هي العربية. ويرجح ابن حزم أن تكون السريانية أصلاً للعبرانية والعربية ولكنه لا يقطع أن تكون هي اللغة التوقفية الأولى.

ومن هذه المشكلة تطرق ابن حزم إلى السؤال، أي اللغات أفضل؟ فقال: إن كل قوم ذهبوا إلى تفضيل لغتهم وهذا لا معنى له لأن الله قد كتبهم كل الناس بلغتهم، فليس هناك تفاضل بين لغة وأخرى.

(1) فيما يتعلق بقراءة ابن حزم هذه النظر، الاحكام 1: 29 - 30.

المادة اللغوية: 18

273
ب- مشكلة الإشتقاء

وتصدى ابن حزم أيضاً لمشكلة الإشتقاء، وانما دعا الى التصدي إلى هذه المشكلة أنه رأى بعض اللغويين يتحدث عن اشتقات اسماء الله تعالى مثل ابن جعفر النجاشي الذي ألف كتابا في ذلك، ووجد بعضهم يتمحول في تبيان دلالات النطق فيقول ان الجين مأخوذ من الاجتنان اي الستر، ويقول الزجاجي: العشقة نبت يخض ثم يصير ثم يهيج، ومنه اسم العاشق عاشقاً، وهذا الموقف أدى ابن حزم الى ان يقول: ان الاشتقاء كله باطل، حاشا اسماء الفاعلين من أفعالهم فقط واسماء الموصوفين المأخوذة من صفاتهم الجسمية والنفسانية، وهذا أيضاً لا ينكر هل اخذت اسماء من الصفات او اخذت الصفات من اسماء، الا اتناومن ان احدهما اخذ من صاحبه، مثل ضارب من الضرب، وطاع من الأكل، مثل ابيض من البياض، وغضبان من الغضب، وما اشبه ذلك. وأما سائر الاسماء الواقعة على الاجناب والانواع كلهها، فلا اشتقاء لها أصلاً، وليس بعضا قبل بعض بل كلها معاً. وقد كنت أجري في هذا مع شيخنا ابن عبد حسان بن مالك، رحمه الله، وكان أذكروا من لقيننا اللغة، مع شدة عنايته بها وثقاته وتحريره في تقلها، فكان يقول لي: قد قال بهذا الذي تذهب إليه كبير من اهل اللغة قديمهم، وسماء لي، وشككت الآن في اسمه لبعد العهد، واظن انه نطوله.

(1) الأحكام ۴: ۱۳ ۸: ۸۹۳

۲۷۴
ج - بطلان العلل النحوية

ولعل أجزاء الآراء التي جاء بها ابن حزم إبطاله العلل النحوية. فقد قال في كتاب "التمايز" : "واما علم النحو فالمقدمات محددة عن العرب الذين تزيد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم، واما العلل فيه فإن عليه جدا". فقوله بفساد العلل محلة تقضي على أكثر أجزاء النحو، ولكنه لم يفسّر كيف يمكن أن يكون هناك نحو دون تلك العلل. وما كان ابن حزم في هذا الا متأثراً بموقفه الظاهري من أهل القياس وإبطاله لأحكام الخليفة جميعها في الشرائع. اما الحملة على العلل النحوية والقياس فسوف تغدو موضوع ابن مضاء في كتابه "الرد على النحوين" لكن ابن مضاء يمثل عصر آخر غير هذا الذي أتحدث عنه؟

د - الصلة بين اللغة والشريعة

واهم ابن حزم، خضعًا لمذهب الظاهري، بتحديد معاني اللفاظ، وخاصة اللفاظ التي تدور بين أهل النظر كالفاظ الحد والرسم والعلم والاعتقاد والبرهان والدليل والإقامة والدقة والحقيقة والقياس والصلة وما إلى ذلك، لأن هذه اللفاظ تدور في المناظرة، وعدم الوضوح في

(1) التمثيل : 202.
(2) الأحكام : 76 وما بعدها.
(3) الرد على النحوين، نشره الدكتور شوقي ضيف، القاهرة.

1947

275
تحديدها يورط المتناظرين في اللجاه.
وخصوصاً لمذهبنا، أضمن الألفاظ امتثال العموم. ومناقش الفائزين بأن الألفاظ لا تتحمل إلا على الخصوص، أي تحملها على بعض ما يقتضيه الاسم في اللغة دون بعض، إلا إذا قام الدليل على أنها مخصوصة (1). فاز قرأنا قوله تعالى: "فكاتبوهم أن علمتم فيهم خيرا" (النور : 33) ووجدنا أن لفظة الخير في اللغة تقع على الصلاح في الدين وعلى المال، فلا يجوز أن نقص هذا النص بعض ما يقع عليه دون بعض الابن، بنص، فلما قال تعالى: "فيهم" ولم يقل: "معهم" ولا قال تعالى: "عندهم" علماً أنه انا أراد أهل الدين فقط، فلذلك قلنا أنه لا يجوز مكتبة كافر لأنه لا خير فيه البث (2).

فازنا ننظرنا إلى الكلام من زاوية العموم والخصوص وجدناه اقساماً entonces:

(أ) خصوص يراد به الخصوص مثل زيد وعمرو.

(ب) عموم يراد به العموم أي يحمل على كل ما يقتضيه لفظه كاسم.

(1) قال: الواجب حمل كل لفظ على عمومه وكلما يقتضيه اسمه دون توقف ولا نظر كلف أن جاءنا دليل فوجب أن نخرج عن عمومه بعض ما يقتضيه لفظه صرنا إليه حينئذ. وهذا قول جميع أصحاب الظاهر. وبهذا نأخذ وهو الذي لا يجوز غيره. (الإحكام 97:3).

(2) الإحكام 159: 2.
الجنس مثل الخيل والبغال.

(ج) عموم دل نص القرآن والسنة على أنه قد استثنى منه شيء. فكان ذلك المستثنى مخصصاً من الحكم الواجب.

وزاد آخرون قسماً رابعاً وهو «خصوص يراد به العموم» وخطأهم ابن حزم وقال أن هذا غير موجود في اللغة.

وقد بين ابن حزم أيضاً وجود نقل الأسماء عن مسبياتها التي وضعتها أصلاً وقال أن ذلك يتم بأربعة أوجه:

1 - نقل الاسم عن بعض معناه الذي يقع عليه دون بعض وهذا هو العموم الذي استثنى منه شيء ما كقوله تعالى «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم» (آل عمران : 173) فكلمة «الناس» الثانية تدل على بعض الناس.

2 - نقل الاسم عموماً وضع له في اللغة بالكلية وتعليقه على شيء آخر كلفظ «الصلاة» فقد نقل من معنى الدعاء وحده إلى حركات محدودة من قيام وركوع وسجود الخ ... وكذلك هي ألفاظ «الركأة» و«الكفر» ومن هذا الباب الاستعارة والمجاز في الشعر والكلام عامة.

3 - نقل خبر عن شيء ما إلى شيء آخر اكتفاء بفهم المخاطب كقوله

(1) انظر الأحكام 3 : 127 - 131

277
 تعالى "واسمال القرية" (يوسف : 26) والمراد: أهل القرية.

4 - فقل لفظ عن كونه حقا موجها لمعناه إلى كونه باطلًا محرفا

وهو النسخ.

وقد تتب ابن حزم إلى ان التخليط في فهم هذه الوجوه هو أصل كل خطأ وقع في الشرائع وهو من أقوى اسباب الاختلاف بين الناس.

ومعنى هذا أنه قرر الأصول اللغوية التي أدت إلى الخلاف في بناء الأحكام.

وتناول ابن السيد هذا الموضوع نفسه في رسالته: "الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم".

ولكن ابن السيد لم يطلع، فيما يبدو، على ما كتبه ابن حزم، إذ كان يتصور وهو يكتب رسالته أنه قد جاء بشيء "يشبه المخرج" وان كان غير مخرج، ينتهي إلى الدين بأدنى سبب ويتطرق من اللسان العربي بقوى سبب ويذكر من تأمل غرضه ومقصده أن الطريقة الفقهية مفتترة

الاحكام:

(1) الاحكام 3 : 135 - 136

(2) ذكر اسم هذا الكتاب في صور مختلفة فهو التنبيه على الأسباب الموجهة للخلاف بين المسلمين (كشف الطنون : 484) والتنبيه على الأسباب الموجهة لاختلاف الأمة (الصلاة : 282 والديلياج المذهب: 131 وسادات الذهب : 5 واينا الرواة : 242) والتنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء (أزهار الرياض : 1.7) وسبب اختلف الفقهاء (بعيدة الوعاة : 88)
الي علم الأدب، مؤسسة على أصول كلام العرب. وقد حصر ابن السيد الأسباب الموجبة للخلاف في ثمانية أمور:

1) اشتراك الألفاظ والمعاني
2) الحقيقة والمجاز
3) الافراد والتركيب
4) الخصوص والعموم
5) الرواية والنقل
6) الاجتهاد فيما لانقض فيه
7) التسخ والملسوخ
8) الاباحية والتوسيع

وواضح أن أكثر هذه الأوجه يمكن ردّها إلى ما ذكره ابن حزم من قبل، وبعضها من قبل التوسع في مدلولات التركيب، أو في عملية الاستدلال نفسها، أو في الخطأ المتربث على جيل بالاعراب، أو على التصحيح وما أشبه. ولتمثل على بعض هذه الوجه لتوضيح الموقف اللغوي الذي يقفه المؤلف:

فمن أمثلة الخلاف المعارض بسبب وقوع النقطة على أكثر من معنى كلمة «القرء» وهي تعني الحيض كما تعني الظهر، وكلمة «أعفوا» في

الانصاف: 8

279
قوله « وأعنوا اللحى » فيب تغني وفرى وكُشروا كما تغني انقصوا وقصروا. ولتعدد الدلالة في اللحظة الواحدة يكون الحكم المبني موضعا للاختلاف بين الفقهاء. ومن أمثلة هذا في التشكيل قول عليٌّ: "أيها الناس تزعمون أن قتلت عثمان! ألا وان الله قتله وانا معه" أراد أن الله قتله وسيقتله معه، ففهم قوم منها أنه شارك في قتله.

ولست أريد أن اتبع أمثلة ابن السيد على كل وجه من الوجوه الثمانية، وإنما اكتفي بهذا القصد لأدلّ على هذا الباب من الاتجاه اللغوي الذي فتحه ابن حزم وارتباطه في اللغة بالتشريع ارتباطاً وثيقاً.

4- صلة اللغة بالواقع العملي

فذا تركنا هذه المناقشات النظرية في طبيعة اللغة والاشتقاء وما إلى ذلك، وجدنا مشكلات عملية جديدة تواجه وضع معلم اللغة في ميدان التعليم، ووضع اللغة بين العلوم من ناحية، وصلتها بالحياة العملية من ناحية أخرى.

أـ أما من حيث وضع معلم اللغة في ميدان التعليم فاكا إذا تأملنا ما كان يتم في العصر السابق، وجدنا أن معلم العربية، مثل القالي وغيره، كان يدرس الشعر والأدب، ويعلق عليه ألي جانب تدريسه للغة.

(1) النصاف: ٢٤٠
والغريب. ولم يكن استمرار هذه الحال طبيعياً، فإن معلم اللغة قد يحسن الاعتقال بتفسير المعاني القريبة ولكنه ربما لم يحسن عملية النقد أو الكشف عن النواحي البلاغية في النص الذي يدرسها. وهنا نشأت مشكلة جديدة، هي: هل يحسن معلم اللغة تعليم البيان؟ وتبرع عن هذه المشكلة مسألة أخرى، هي: هل البيان شيء يمكن تعليمه؟ ولما لواء هذه المشكلة من الناحية الأدبية ابن شهيد، فحاجم جماعة التحويين وعليم اللغة هجوماً عنيفاً فقال: «وقوم من المعلمين بقرطبتنا فمن أتى على أجزاء من النحو، وحفظ كلمات من اللغة، يحققين على اكباذ عميزة وقلوب كتلوب البشر، ويرجعون إلى فطن حمئة، واذهان صدة لا منفذ لها في شعاع الرقة، ولا مدب لها في انوار البيان، سقطت اليهم كتب في البديع والنقد، فهموا منها ما يفهمه القرد الصامت من الرقص على الابتعاد، والزمر على الالحان ...» ۱. وقد تكون هذه الظاهرة في أول امرها وليدة الخصومة الشخصية بين ابن شهيد وابن الافيلي وغيره من معلمي اللغة، ولكنها على أي حال، أثارت التساؤل حول العلاقة بين تعليم اللغة والنقد الأدبي. وكان من شأن هذه الحركة أن تحدد لل النقد وجهة مستقلة أوجزها ابن شهيد بقوله: «وأصاب البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب، واستياء مسائل النحو، بل بالطبع مع وزنه من 

۱ الذكرى ۱/۱ ۱۴۳۳ هـ
هذين» غير أن ابن شهيد امتن في إعطاء المشكلة طابعاً ذاتياً، وأكثر
من التحكم بطبقة المعلمين عامة، وباين الأفلايلي خاصة.

وقد زادت هذه المشكلة وضوحاً من وجهتها العملية عندما عين
ابن الأفلايلي، شيخ معلم اللغة، كاتباً لدى محمد بن عبد الرحمن
المستكفي في وضعه جانباً من البلاغة لأنه كان على طريقة المعلمين
المتخفين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين، فزهد فيه.

ب _ وأما من حيث وضع اللغة بين العلوم فقد رأينا كيف أن
العصر السابق عرف معنى التخصص الدقيق في ميدان اللغة. ولما
حل القرن الخامس جدّد ظروف معاشية وغيرها استدعت اثارة هذا
السؤال: ما هو القدر من اللغة الذي ينفع غير المتخصص؟ وكان
الباحث الأول على تحديد نطاق الدراسة اللغوية هو الإشافاق من ان
تلقى على ما عداها من علوم، وبخاصة العلوم الدينية. وكان ابن
حزم من أول المبادرين للإجابة على هذا السؤال. وبا أنه كان يعتقد
أن العلوم جميعاً ليست العناصر مساعدة في سبيل فهم الشريعة فاتنا
نراه يحدد القدر اللازم من اللغة والنحو لطلاب هذين العلمين بقوله:
«واقل ما يجزى من النحو كتاب الواضح للزيدي، أو ما نجا نحوه
كالموجود لابن السراج وما أشبه هذه الوضع الحقيقة. وأما التعمق
في علم النحو ففضل لا منفعة لها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة

282
دون الأوجب والأهم ... فمن يزيد في هذا العلم إلى احكام كتاب
سيبوه فحسن ، إلا أن الاشتفال بغير هذا أولى وافضل لأنه لا منفعة
لتزيد على المقدر الذي ذكرنا إلا من أراد أن يجعله معاشا ، فهذا وجه
فاضل لأنه باب من العلم على كل حال . والذي يجزء من علم اللغة
كتابان : أحدثهما الغريب المصنف لأبي عبيد ، والثاني مختصر العين
لزبيدي ، ليقف على المستعمل فيما وليكون ما عدا المستعمل منهما عدة
لحاجة ان عنتت يوما ما في لفظ مستغلق فيما يقرأ من الكتب . فان
اوغل في علوم اللغة ، حتى يحكم خلق الإنسان لثابت ، والفرق له ،
المذكر والمؤنث ابن الابناري ، والممدود والمقصر والمهموز لأبي علي
التالي ، والنبات لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، وما أشبه ذلك ،
فحسن ، بخلاف ما قلنا في علم النحو ، لأن اللغة كلها حقيقة وذات
أوضع صحاح وعبارات عن المعاني . ولو كانت اللغة انسحع حتى يكون
لكل معنى في العالم اسم مختص ، لكان ابلاغ لفهم وأنجلي للشك وأقرب
لبيان .

وبنحو من هذا تحدث ابن السيد عما يحتاجه أصناف الكتاب من
ثقافة نحوية ولغوية فقال : " يحتاج كل واحد منهم إلى أن يتمره في علم
اللغة حتى يعلم الأعراب ويسلم من اللحن ويعرف المقصر والممدود

(1) رسائل ابن حزم : ٦٤ -٦٥

٢٨٣
والمطوع والموصول والمذكر والمذكور والمؤنث ويكون له بصر بالهجاء فإن الخطا في الهجاء كالخطأ في الكلام وليس على واحد منهم أن يسمع في معرفة النحو امعان المعقل الذين اتخذوا هذا الشأن صناعة وصيروه بضاعة ولا امعان الفقهاء الذين ارادوا بالاغراق فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله وكيف تستنبط الأحكام والحدود والمقائد بمقاس كلام العرب ومجازاتها» ۱. ويبنا نجد ابن السيد يسمي عمل الفقهاء امعانا، نجد ابن حزم يدعو إلى القصد، والى حد ادنى من المعرفة اللغوية.

۱ - وأما من حيث صلة اللغة بالحياة العملية فان الاشواق من قلة التحصيل هو الذي ينهى الى تفهم تلك العلاقة. وقد كانت هناك شواهد واقعية من تسوير الجهاد على المعرفة واتتصابهم للإقراء أو التدريس، وهم يجهلون أبسط الأصول التي لا بد منهما مثل، من يمتئهم فقده روئ لنا ابن حزم كيف أن أحد القراء الثلاثة الذين كانوا يقرأون للعامة بقرطبة لم يكن يحسن النحو، وكان ذات يوم يقرؤه أحدهم: "وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تجيد" (۱۹ ق) ولم يخطئ التلميذ في القراءة فرد عليه معلمه قائلا: "تحيد" بالتنوين ۲. وروى أيضا كيف أن خطيبا قال يوم الجمعة: "لقد جاءكم رسول من

(۱) الاقتضاب: ۱۶۶ - ۶۷
(۲) الأحكام: ۱۶۴
أنفسكم عزيز عليه ما عنتتم (التوية : 128) । ولذا ألح على أن الفقيه لا بد أن يتعلم اللغة والنحو لكي يتمكن من فهم القرآن والحديث والفقه عامة، فقال: «ففرض على الفقيه أن يكون عالماً برسالة الله وحلى وبنبى صلى الله عليه وسلم، ويعمل علماء بالنحو الذي هو تركيب اللسان الكلام الذي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ. فمنا جهل اللغة، وهى الفهم الواقعة على المصميات، وجهل النحو، الذي هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني، فدلم يعرف الكلام الذي به خاطبنا الله تعالى ونبينا عليه السلام، ومن لم يعرف ذلك الكلام، لم يجعل له الفتية فيه، لأنه يفتى بما لا يعرف».

وما كان في أمكان أحد أن يتيح جماعة تلك المشجوعة الطافية من الخطأ، والبعد باللغة عن صفاتها وشدة التحرري فيها بالدعاء إلى النقاء الدقيق الذي دعا إليه الزيدى من قبل في «لحن الموام»، فجمع الزمن أخذت تتفتى الأخطاء في الكتابة، حتى عند المدققين الذين يتحرون وجه الصواب، وما ذلك إلا لأن العامية الإندلسية كانت تزاحم الفصحي مزاحمة شديدة، من حيث هي لغة محكية، وتضطر الكاتب أو الآديب إلى أن يتحلى وضعاً جديداً حين يكتب أو يتأسف، وأن ينتقل من منزلة

المصدر نفسه 4 : 164.
المصدر نفسه 5 : 146.

285
الي منزلة، وحسناً مثالاً على ذلك أن ترجع إلى تعب القميي ابن العريبي
لأخطاء ابن السيد في شرحه على سقط الزنيد، فنجد يقول: في بعض
ردوده: «المعلوم أن (الخافقان) جنباً الأرض من الهواء» فيتصدى
ابن السيد له قائلاً: «رفعت الخافقين وهما منصوبان بأن ثم صحت
عليهما فكان تصحيحك على اللحن أشد من اللحن» ١. ويقول في
موضع آخر: «وهو قول بقدم الأعراض أو مجاز لا يعدم (انتقاض)
فريد ابن السيد بقوله: «وهذا كلام أول ما نتند في فساد الأعراب
بترك نصب الانتقاض ووجه الاتصال» ٢. وقد تقول أن هذا كله نوع
من التعسف بين عالمين يعمل أحدهما على الآخر، ومن طلب وجه
الخريج وجده، ولكن دلالة على هذه الظاهرة الخطيرة واضحة. ولو
قد تبينا هذا النوع في مستعمل الكلام وضرب الترسل لوجدنا
الجانب اللغوي فيه أبين من الجانب النحوي، وإن كانت قدرتنا فيه
على الحكم أصعب لبعدنا نحن اليوم عن تلك السلامة اللغوية التي كان
ينشبت بها علماء اللغة المحافظين على نchgها .
وكان ما يزيد الموقف حدة منح اللغة العامية الأندلسية مكانة
أدبية. صحيح ان هذه اللغة كانت موجودة — يقدر أو يذكر من البعد
عن الأصول العربية الصحيحة مختلطة ببعض الالتباس الاعجمية —

(1) الانتصار : ٧٠.
(2) المصدر نفسه : ٤١.

٢٨٦
ولكنها اما كانت تمثل نشاطا شعبيا لا يتدعى الشؤون اليومية وبعض الأغاني الشعبية، فيما أقدّر، أما في هذا القرن الخامس فانها اتخذت من الرجل ندّا للشعر، واعترف الاندلسيون بهذه الأزجال واستمعوا إليها ولجئوا وأجازوا نظمّها. في هذا القرن ظهر ابن نماره وابن راشد وغيرهما ممن يسمّين ابن قزمان - وارث طريقتهم - وامام الزجل في عصره - باسم «المتقدِمين» ويشي من بينهم على ابن نماره يقوله: «يروى أن أرسل طبعا وأخصب ربما ومن حجا الى وطافب به سببا أحق بالرياضة في ذلك والإمارة ميال الشيخ أختار ابن نماره فانه نهج الطريق وطرق قِفِّ النظم الطريق ...» 1. أما ابن راشد فقد ذكره صفي الدين الحلي وسامه: «يخلف» وقال: «وكان هو امام الزجل قبل أبي بكر بن قزمان وكان ينظم الزجل القوي من الكلام فلما ظهر ابن قزمان ونظم السهل الرقيق مال الناس إليه وصار هو الأمام بعد، ونظم ينكر على قوة النظم زجلا مطلعا: »

زجلك يا ابن راشد قوي متين
وكان هو للقوة فالحمالين

يريد ان كان النظم بالقوة فالحمالين أولى به من أهل الأدب» 2. أما تقدير الناس لهذه الأزجال واعتناقهم بها فقد أشار إليه ابن قزمان أيضا في مقدمته وهو يتحدث عما عرفه في نشأته أواخر هذا القرن

1) مقدمة ديوان ابن قزمان، وانظر أيضا الرجل في الاندلس: 53.
2) العاطل الحالي: 16.

287
قال: «ولقد كنت أرى الناس يلبكون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المقدمين يتعليمون في السماء الأزلف ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأجزل». والطيب الكبير لقديمي الرجالين في رأي ابن قرمان، هو تورثهم في «الأعراب»، فكان الطريق باللغة أصبحت طريقين فاما اعراب تام ومما بعد عنه إلى أقصى حد».

ولم تكن هذه المكانة الأدبية التي بلغتها العالية قاصرة على الزجل وحده، بل ارتفعت درجة أخرى حين تدخلت في صميم بناء المشهد.

وقد حذرتنا ابن بسام أن الوشاح، يأخذ النطق العامي والعجمي ويسمه المركز ويضع عليه الوشاح؟ ولا يعني «النطق» هنا استعمال لفظة واحدة بالاستعمال قبل كامل أصبح يسمى «الخرجة»، وهذا هو الذي جعل ابن سناء الملك يشترط حين تحدث عن بعد عن أصول نظام المشهد. كان تكون الخرجة عامية حادة ظريفة؟، وقد كان الإندلسيون ينضرون البعد عن المشهد الشعري ويأخذون في تجربة أقفال المشهد وغصنوه ووحدات صغيرة، وقد لحظ الدكتور عباس هذه الناحية في المشهد وعلق عليها بقوله: «اننا نقول حقا أن المشهد معرب ولكن الإسكان بالوقت في التجزئة القصيرة واختيار الألفاظ.

(1) مقدمة ديوان ابن قرمان، وانظر الزجل في الإندلس: 52.
(2) الذخيرة 2/1: 1.
التي لا تظهر حركات الأعراب في أواخرها أمران يجعلان العلاقات العربية ضعيفة ويحيلان الموشح إلى مستوى قريب من مستوى الكلام الدارج، ولم تجد كثيراً محافظة المحافظين الذين أحبوا الازجال والموشحات في مظهرها الشفوي. وأبدو أن يدونوها في كتبهم، فإن حركة التسامح غلبت من بعد، وأصبحت هذه أديباً معترفاً به قراءة وتدويناً.

وعلى الطرف الآخر تقوم حركة مضادة تعتمد الدقة اللغوية الخالصة وتعد ثورة من ثرات ذلك الجو العلمي الذي هيأه القالي وتلامذه ورسخوا أصوله بدون من الحكم المستنصر، ومدار هذه الحركة على التحري الشديد والضبط والمقارنة بين النسخ واعتماد الأصول. وقد كان القالي نفسه وهو «المعلم الأول» للاجئين اللغوية بالأندلس أول هدف لسهام هذه الحركة. وليس في هذا تكرار لجمل القالي أو تنكر لفضله ولكن يشبه أن يكون القالي نفسه هو الذي دفع إلى ذلك، فقد زوَّد الأندلسيين بصادر متباهة المنزع وأطاعهم على الكتب الأمهات ووضع بين أيديهم الأصول الموثقة، وكان هو بصري المنزع في الرواية، ولم يكن الخريجون من بعد يحللون بالتناسك برواية دون أخرى فجمعوا بين أقوال العلماء جمعاً وأحلوها متاماً واحداً من

(1) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والرابطين : ۲۴۴.

الحركة اللغوية ۱۹۹۹
الاعتبار، وكان في ذلك ردّ مسني على القالي، أو أن شئت فقل كان ذلك
توسيعاً للأخذ لم يقف دونه أيُّار لمدرسة لغوية على أخرى. وشيء آخر
دعا إلى ذلك التعطب هو الوهم الناشيء عن الحفظ، وخاصة في كتاب
«النوادر» وهو مما أمله القالي من حفظه، والحفظ يتفاوت، والوهم
فيه أمر غير بعيد، فهذا عاملان أوجدا للغوين مجالاً لتصحيح القالي نفسه.

أما العامل الأول وهو افتتاح الدرس اللغوي على مختلف
الروايات وأخذها جميعاً بمقدار واحد من التقدير فيظهر على وجه
الواضح في كتاب الإقتضاى لابن السيد البطليوسى. فالقسم الثاني من
هذا الكتاب ارشاد وتبني لما وقع من خطأ، وفي هذا القسم « مواضع
وقت غلاطى في رواية أبي علي البغدادى المنقولة إنا فلا أعلم أي نظم
ابن قتيبة أم من الناقل عن عنه » 2. وقد كان ابن السيد في هذا الكتاب
اما متشابها من الرواية بالعودة إلى أصلها في النص المنقول، واما عارضا
الروايات علماء آخرين، وواضح أنه في الكشف عن أخطاء ابن قتيبة
إنا يخطئ جوابه من رواية القالي، فكانه يرد على أبي علي في أكثر
المواطن، تضميناً أو تصريحاً. ومن أمثلة ذلك:

1) القسم الأول منه شرح لخطة أدب الكاتب والقسم الثالث:
دراسة وتخرج للشواهد التي وردت في كتاب ابن قتيبة.
(2) الإقتضاى: 1967.

٢٩٠
(أ) أنشد ابن قتيبة:

يقلن لقد بكنت قلت كلاً وهل ي يكون من الطب الجليد
قال: هكذا نقل إليها عن أبو نصر هارون بين موسى عن أبي
علي البغدادي رحمة الله عليها والصواب فقلن بأخذ لأن قبره:
«كنت عواذلي ...» وأنشد أبو علي في النواذد: «فقائلوا»
بتذكر الوضير وهو غير صحيح أيضا لآن الضمير عائد على العواذل.
والمراد بين النساء ...».

(ب) قال ابن قتيبة: ومن ذلك الآري، يذهب الناس إلى أنه
المعلق. قال المفسر: هكذا رواه أبو علي - بكسر الميم وفتح اللام -
وجعله منعزلة الآلات وقال هو شيء منسوج من صفى يمدوته بين
أيدي خيلهم. ووجدته مقيدا عن علي بن حمزة والسكركي «معلف»
بفتح الميم وكسر اللام - لأنه مكان للاعتلاف، وكل فعل على وزن
فعل يفعل - بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل - فإن اسم
المكان وائمزه منه فعل - بكسر العين - كالضرب والمغر.

(ج) وقال لهم أسود مثل حلك الغراب، قال الأصمعي: سواه.
وقال غيره: أسود مثل حلك الغراب وقال: يعني منقاره.
قال المفسر: وقع في كتاب أبي علي البغدادي أسود من حنك.

1) المصدر نفسه: 107.
2) المصدر نفسه: 116.

291
الغراب وهو غلف، لأن هذا يجري مجرى التعجب، فكما لا يقال: ما أسوده فكذلك لا يقال هو أسود من كذا، وقال أبو العباس ثعلب: هو أشد سوادا من حلق الغراب وحذائه الغراب، وهذا صحيح على ما يوجه القياس.

إلى أمثال ذلك في غير موضوع من كتابه، وهذا لا ينبغي أن يستأنس ابن السيد برأي القالي في الرد على غيره من العلماء وخاصة على مؤلف الكتاب، ابن قتيبة.

وأما العامل الثاني وهو عامل الوهم الناشيء عن الحفظ فقد أثر في كتابا سمعاه مؤلفه أبو عبيد البكري «التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه». ويمكن أن نريد الوهم لدى القالي فيما يرى البكري إلى مظاهر عدة منها:

1 - الخطأ في التفسير: فقد أشنق القالي:

أن الذئاب قد اختضرت براثنها والناس كليم بكير إذا شبعوا، فقال: يريد أن الناس كليم عدو لهم إذا شبعوا بكير بين وائل.

قال البكري: لم يريد الشاعر هذا المعنى لأن الناس كليم لم يكونوا عدوا لبني تميم ولا أبطالهم وإنما يريد أن الناس إذا شبعوا هاجت أضعفهم يطلبوا الطوائل والترات في أعدائهم فكانوا لهم كبكر بن وائل لبني...

المصدر نفسه: 120.

292
3 - خطأ في الرواية: أنشد أبو علي « وأهلك مهر أبيك »
- ففتح الكاف - وانها هو يكسرها لأن الحديث موجه إلى أسماء في
البيت السابق:

أسماء لم تسألني عن أبيك والقوم قد كان فيهم خطوب.
3 - حين يجيب قائل الشعر، يشبه إلى أعراقي، من ذلك آيات
للاحوص الذي لم يدخل البادية أبداً.

4 - خلط شعر آخر لاتجادهما في الوزن والروي.

5 - نسبة الشعر التي غير قائله الأصلي.

6 - الخطأ في بعض أسماء الإعلام والأماكن كان يقول سلمى في
من اسمه سلمي، والثدي - بكسر الدال - في اسمه الثدي.
- بفتحها - أو في النسبة: كقوله ملك بن الرب المزني وهو المازني.

7 - خطأ في تفسير اللغة، مثل قوله في تفسير « جاهل » من قول

الشاعر:

التنبيه: 18
الصدر نفسه: 02.
الصدر نفسه: 27.
الصدر نفسه: 31.
الصدر نفسه: 34.
الصدر نفسه: 02.
الصدر نفسه: 05.

393
كريم إذا لاقيته متبسما
واما تولى أشعث الرأس جافله
الجافل: الذهاب، قال البكري: وهذا تفسير لا يسوغ في هذا
البيت ولا يجوز وأي مدخل للذهاب هنا، وانا الجافل هنا من الجمال
وهو الشعر الكثير.

وقد تتبع البكري هذه الأخطاء وأمثالها حثما وردت حسب ترتيب
النوادر، ولم يعن بتصنيفها تحت موضوعات محددة.

ولكن هذا التعقب لا يعني أن منزلة التالى قد نزلت في تفسير
الإندلسين، فهناك دائما مجال للاعتقاد عن الخطأ بالسهو والوهم
والنسان، وهذه هي طريقة أبي علي في الدقة العلمية، ولو ظهرت
هذه الكتيب في الرد عليه وهو حي لسر من تأثير توجيهه وتدريسه.
يقول البكري في مقدمته معتذرا عن التعقب على التالى: "أبو علي
رحمه الله - من الحفظ وسعة العلم والنقل ومن الثقة في الضبط
والنقل بالملل الذي لا يجاه، وبيح يقصر عنه من الثناء الأخف ولبن
البشر غير معصومين عن الزلو ولا مربين من الوهم والخطل، والعالم
من عدت هفواته وأحصيت سقطاته".

(1) المصدر نفسه: 99.
(2) المصدر نفسه: 15.

294
5 - العوامل التقليدية وآثارها في الحركة اللغوية

قد عرضت في كل ما تقدم العوامل الجديدة التي أثرت في حياة اللغة، وما تمخض عنها من مظاهر ومواقف تلبية للحاجتين النظرية والعملية. وتشكل هذه المظاهر والمواقف قضايا ثارت وتفتتت أجوبة. فبما كان نصيب العوامل التقليدية من هجرة من الأندلس وليها، ومن حلقات تدريسية، ومن نشاط في التأليف، اعتبرت الشهرة العملية لكل تلك العوامل مجتمعة، جديرة كانت أو قيمة؟

أ - ليست أمراً على الصواب حين أقر أن الهجرة إلى الأندلس في هذا العصر قد ازدادت عن ذي قبل رغم ما كانت تمنى به البلاد من قلق ومخاوف من الناحية السياسية. فقد تدخلت عوامل جديدة غير العوامل المألوفة للمهاجرين، والارتفاع فجعل الأندلس هدفاً لطوائف مختلفة من المهاجرين. وفي مقدمة هذه العوامل الأحداث السياسية التي حلت بمناطق أخرى من العالم الإسلامي يومئذ. فقد هاجمت قبل العدب الهلالية مدينة القيروان عام 441/1050، وقامت على عمرانها في أيام المعز بن باديس من بني زيري الصنهاجيين. وتشنت القيروانيون وطلبوا الملجأ حيث وجدوه، ومنهم من لجأ إلى صقلية ومنهم من هاجر إلى الأندلس. ومن مشهوري المهاجرين إلى الأندلس أبو الحسن الحصري وابن شرف القيروان. وفي عام 464/1267، أخذ النورمان يهاجمون
جزيرة صقلية فطلب كثير من اهلها النجاة بأنفسهم ولجأ العدد الأكبر منهم إلى الإسكندرية. غير أن بعضهم توجه إلى الأندلس، ومنهم المشهور هؤلاء الشعراء ابن حميس وأبو العرب. وللنظر ان هؤلاء المهاجرين الذين لمحتهم في الأندلس ادنا كنوا أشده اهتماما بالشعر والأدب والندق منهم باللغة. ولكن لا ندري ان نجد بين المهاجرين جماعة أولوا اللغة وتدريس المعاني اهتماما ملحوظا. وهؤلاء أهم من نعرفهم من المهاجرين:

1 - اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله الحجبي القيرواني صاحب شرح المختار من شعر بشار. نزى في مائة عام 405/1515، وقد أمّله به مرض تركه طريحا مدة من الزمن يمتحنه اثنان من رفاقه، وإذا جن الليل خفقت من حوله في احياء مائة أوتار العيدان والطناير والمعازف من كل ناحية. ويدفع أنه أقام متنقلة في البلدان الأندلسية مدة من الزمن وقرأ عليه بعض أهلها كتاب "إذب الكتاب" لابن قتيبة. ولكن صفحات شرح المختار تدل بما اقتسه من آثاره لأهل الأندلس على أن الأندلس أثرت فيه أكثر مما أثر فيها.

2 - عثمان بن أبي بكر الصديق السفارسي. دخل الأندلس سنة سْت وثلاثين وأربعة (١٤٥ هـ) وفي هذا التاريخ نفسه دخل

---

(1) ترجمته في النكتنة : ١٨٩.
(2) المختار من شعر بشار : ١٤ - ١٥.
(3) الصالة : ٣٨٧، جدة المقتبس : ٢٨٥.
قرطبة وأسمع الناس بها، ثم تجول في بلاد الأندلس مدة ستين وعاق إلى قرطبة. قال ابن بشكوال: «وكان حافظًا للحديث وطرقه، واسمه رجاله ورواته منسوبيّا إلى معرفته وفهمه. وكان يمضي الحديث من حفظه ويتكلم على استاذيه ومعانئه، وكان عارفا باللغة والأعراب، ذاكرًا للغريب والآداب، ممنعني بالرواية وشهر بالفهم والدراية يجمع إلى ذلك حسن الخلق، وأدب النفس، وحلاوة الكلام، ورقة الطبع».

وهو هذا الصدفي هو أوّل من أدخل كتاب غريب الحديث للخطابي إلى الأندلس. وكان في رحلته في الشرق قد لقي ابا العلاء الموري وروى عنه خطبة الفصيح 2

(3) علي بن إبراهيم التبريزي المعروف بين الخازن. دخل الأندلس سنة 431/1040 وبلغ طليطلة في السنة التالية. وكان من أهل العلم بالآداب واللغات، سمع منه جماعة من علماء الأندلس.

(4) محمد بن الحسن الحضامي الرادي. دخل قرطبة سنة 467/1074، وروى عنه بعضهم كتاب «فقه اللغة» لابي منصور الثعالبي مشافهة.

المصدر نفسه: 388
(1) الجامع في إخبار ابن العلاء 16
(2) ترجمته في الصلة: 406
(3) ترجمته في الصلة: 572
5 - أبو الفضل الوزير محمد بن عبد الواحد التيمي البغدادي.
خرج من بنداد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه السقط. وسمى ابن السيد
"شيخنا في شعر أبي العلاء". وقد دخل الأندلس بعد اختتام الحال
في القروان ويقول الحميدي أنه حظي عند ملوك الأندلس بأدب وعلمه
واستقر بطليلة.

6 - أحمد بن الصنيد العراقي. روى عن المعرى شعره
وشرحه ودخل الأندلس ومدح الروساء والأكبر وكان أكثر مقامه عند
بني طاهر.

7 - عبد الدائم بن مرزووق بن جبر القرواني، أبو القاسم.
وهو الشيخ الثاني لابن السيد في رواية شعر المعرى. وقد توفى
عبد الدائم بطليلة سنة 472/1080.

8 - ولعل أبعد هؤلاء المهاجرين أثرا في الأندلس أبو الفتوح

(1) ترجمته في جدوة المقتبس: 48، فهرسة ابن خير: 414، نفح
الطب 2، وأناصر: الجامع في إخبار أبي العلاء للجند: 479، الدخيرة 4/1، وايفاء العلاء وما ألفه عبد العزيز اليمني 24.
(2) الأنساب: 21.
(3) جدوة المقتبس: 19.
(4) ارشاد الأريب: 86، بغية الواعية: 135.

298
ثبت بن محمد الجرجاني 1، فقد دخلها مبكرا عام 406/1015 وكان يوم وصولها عالما ناضجا قد درس على مشاهير الشيوخ المشارقة كابن جني والربعي وأبن السيرافي، مشاركا في عدة علوم أخرى بعد اللغة الفلسفة والمنطق كما كان حاضنا في حمل السلاح وأنواع الجندية والفرسية، ووصل بأبي الجيش ماجاهد العامري، وخرج معه في غزوة إلى سردانية، ثم عاد يطفو البلاد ويدرس العربية، فأما في دانية كتابا في شرح الجمل للزجاجي، كما درس أيضا اختصار الكلام لثعلب. أخذ عنه محمد بن هشام المصاحفي. وكان الكتاب المنشور في التدريس بخط ابن خالويه. قال أبو الفتوح: "قالت كتابي هذا من الفضيحة بخط ابن الكوفي. وكان نسخ كتابه من خط ابن الابتاني وقابله به". وروى المصاحفي عنه أيضا شرح أيات إصلاح المنطق لأبن السيرافي، وشرح أيات اللفظ له أيضا، وشرح أيات الغرب المصنف، وكل هذه الكتب رواها أبو الفتوح عن ابن السيرافي. وكان يقول: إنه علم من أمه باللغة والفقه والشعر والنحو. وكذلك قرأ عليه كتاب الجمهرة لأبن

---

(2) الاحاطة: 1:285.
(3) فهرسة ابن خير: 338.
(4) المصدر نفسه: 343.
دريد ۱ وقرأ أيضا عليه شعر أبي الطيب المتبري ۲. وقد أخذ عن ثابت كبير من الاندلسيين وشهد له علماؤها ومؤرخوها بالتقدم فيما كان يحسنهم من علوم فقال فيه أبو مروان بن حيان: "ولم يدخل الاندلس أكل من أبي الفتوح في علمه وأدبه." وقيل ابن زيدون: "لقيته بغرناطة أخذت عنه أخبار المشاركه وحكايات كثيرة وكان غزير الأدب قوي، الحفظ لللغة نازعا إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة له بذلك قوة ظاهرة". وقرأ عليه ابن زيدون نفسه الحماسة في أشعار العرب روايته لها عن عبد السلام البصري.

غير أن طموح ثابت جعله ينغمس في حياة الأندلس السياسية وكانت نهايته أن قتلته باديس صاحب غرناطة سنة ۴۳۱/۱۰۴۱ فتكون اقامته بالأندلس قرابة ربع قرن.

وقد تمكن الأندلس قبالة المعلمين وحدثهم بعاصمت مطروح الدارسين من أقطار أخرى. فوجد بعض المهاجرين إلى الأندلس يتلمذون على علماء الأندلس في اللغة، من ذلك: العزيز بن محمد ۷ (۴۸۸ -)

المصدر نفسه: ۲۴۹.
المصدر نفسه: ۲۰۴.
الإحاطة ۱: ۲۸۵.
المصدر نفسه.
المصدر نفسه: ۱۸۶.
مجلة خبر مقتطفة مفصلة في الإحاطة ۱: ۲۸۶ - ۲۸۸.
الصلة: ۴۲۹.

۳۰۰
1095) ، وأصله من العدوة . فانه أخذ كثيرا من كتب اللغة والإداب عن
ابي القاسم بن الأفيلي . كذلك المبارك بن سعيد البغدادي المعروف بابن
الخشابا ( بعد 1847/97 ) فانه بعد ان قدم الاندلس تاجرا سننة
386/1990 جلس يسمع كتاب النوادر للماقي من ابي مروان بن سراج.

ب - أما في الهجرة من الاندلس ، فإن اللغويين الذين ذكرتهم
المصادر قد قرنوا بهم خيرا عن الرحلة إلا في النادر ، وربما دل هذا
على الاكتفاء الذاتي في علم اللغة ، وسهولة وصول الكتب المهاجر بدلا
من الرحلة في لقاء العلماء . ولعل ابرز ما نقل من الخبرات رحلة
الاندلسيين إلى الشرق بالاهتمام الذي أبداه الاندلسيون بإبي العلاء
المعري ومؤلفاته فقد كان كثيرا من يرحل حريصا على لقاءه والرواية
عندها . ومؤلفات المعري مصدر هام للغة مثلما هي زاد ادبي أيضا . وقد
سرد ابن عبد الفقراء الكلاهي اسماء كتب ابي العلاء التي هاجر في هذا
العصر إلى الاندلس في كتابه ( احكام صنعة الكلام ) ، ومنها كتاب
القائت والصاهل والشاحج وشرحه ، والفصل والغايات ، والسجع
السلطاني ، ورسالة الغفران ، ورسالة الفلاحية ، ورسالة الإغريض ،
وسقط الزند ، واللزوميات ، وكتاب الاستغفار الخ . وقد اصبحت هذه

المصدر نفسه : 696.
(2) راجع اسماء بعض هؤلاء الاندلسيين في : جامع اخبار ابي العلاء:
68 وما بعدها .
(3) انظر : احكام صنعة الكلام : 138 - 139 ، وتعريف القدماء : 53

301
الكتب نموذجاً أدبياً رفيعاً مثلما غدت مجالاً للدراسة والشرح والتعليق.

- وأذا قرنا بين هذا العصر والعصر السابق وجدنا أن المظهر الثلاثة الكبرى التي تحدثنا عنها، أعني: التدريس والمناظرة والتأليف، قد تضاءل فيها المظهر الثاني، وكانت أبرز نشاطات هذا العصر ذهبية في تبارين هما التدريس والتأليف. ولعل انفعال الأذهان بنشوء دعوة ابن حزم الظاهرة ووفود بعض المذاهب الكلامية، كالمذهب الأشعري، بقوة إلى الأندلس قد قوية المناورات المذهبية والكلامية، وحجاباً عنا، أو أضفنا، المناظرات اللغوية.

وقد رأينا كيف تعددت المراكز العلمية فكثر عدد المدرسين وظهر بوضوح المدرس المتجول مثل: إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب (ـ 5/6 1112) تلميذ ابن سيده، الذي كان يتجول في البلاد معلماً بها ومثل كثيرين غيره.

وأما كنا نひとり بعض العلماء بالشهرة في التأليف على الرغم من علمهم في التدريس مثل: ابن سيده وابن السيدفان من الحق أن نميز كبار الاستاذة المدرسين الذين تخرج عليهم إديهم أكبر عدد من طلاب هذا العصر. ولعل الذين ذهبوا بأكثر الشهرة في هذا الميدان أربعة هم:

(1) الكتملة: 140.

302
1 - ابن الافيلي، 2 - ابن سراج، 3 - أبو الويلد الوجشي، 4 - العلّم الشنتمري.

1 - أما ابن الافيلي فهو إبراهيم بن محمد بن زكرياء بن مفرح ابن يحيى بن زيد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري. ويبدو من هذا أن إبراهيم بن محمد يعود إلى نسبه إلى أصل عربي صحيح وأن جده الصحابي القائد سعد ابن أبي وقاص.

ويرى بعض المؤرخين أن لقبه هذا، ابن الافيلي، قد ورثه عن بلدة في الشام يرجع أصله إليها. لا يذكر المؤرخون ممن هم الجد الذي أتسب إليه، والذي كان يسكن افليلا.

وأوابن الافيلي من أهل قرطبة، ولم يذكر واحد من المؤرخين، الذين راجعت مؤلفاتهم، ضرارة، أن ابن الافيلي ولد في قرطبة، ولكن ذلك يفهم من إجماعهم على أنه «قرطي» وأنه كان متصدرًا للعلم في بلده، أي قرطبة. فقد ولد فيها عام 53/367 وطلب العلم على مشاهير

(1) انظر ترجمته في: الصلاة: 54 - 95 ، بقية المنسق: 191،

(2) انظر الرواة: 183 - 241 ، وفيات الأعيان: 333 - 344،

(3) بقية الوعاء: 181 ، معجم البلدان: 642 - 644، معجم الأدباء: 419 - 422،

(4) شذرات الذهب: 3 - 77، شذرات الذهب: 479/449،

(5) والافيلي - بكر الهجرة ، وسكون القاء ، وكسر اللام ، وسكون الاء المنشأة، وبعدها لام ثانية. هذه النسبة إلى الافيلي، وهي قريبة بالشام كان أصله منها. انظر: وفيات الأعيان 54 - 5، وانظر أيضا: الصلاة 1: 94، شذرات الذهب 266.
الشيوخ فيها، فكان تلميذاً للزبيري وابن أبي الجبال واحمد بن أبي بكر بن أبي سفيان، وهو أبرز تلامذة القالي. فدرس عليهم وعلى غيرهم من العلماء يومئذ، فأخذ كتاب معاني الحروف واقسامها عن الحسين بن الوليد النحوي المعروف بابن عريف، وكتاب الكمال وكتاب الغريب المصنف وكتاب الالفاظ ليعقوب عن ابن سفيان، وكتاب أدب الكتاب وكتاب فائت الفصيح عن ابن أبي الجبال، وكتاب لحن العوام عن الزبيري. واستكثر من الدراسة على هؤلاء الأعلام حتى غدا حجة فيما وقف له جهده، وحتى قال فيه ابن بسام: "بذل أهل قرطبة في علم اللسان العربي والضبط لغريب اللغة في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية، والمشاركة في بعض معانيها، وكان غيروا على ما يجعل من ذلك الفن كثير الجهد فيه، راكبا رأسه في الخطا بين إذا تقلده أو نشب فيه، يجادل عليه، ولا يصرف عنه صارف". ومع هذا الاطلاع الواسع، ظل مقترا إلى علم كان بحكم مهنته في اشد الحاجة إليه، وذلك هو علم العروض. وكان يريد من حاجته إلى هذا العلم أنه لم يكتف بتدريس اللغة، بل تددي للنقد والكلام في أقسام البلاغة، أي تددي لتعليم البيان. وهذا هو الذي أشار شاهرا ابن شهيد وجعله

---

1. فهرسة ابن خير: صفحات متفرقة.
2. الدخيرة 1/1: 240.
3. المصدر نفسه.
4. بغية المتنس: 199، انباء الرواة 1 : 182.

304
يتخذ من ابن الافليحي محطا لسخريته، بل يصوره بصورة مضحكة في رسالة التوابع والزوابع. ولا ريب في أن ابن شهيد لم ينصف ابن الافليحي في هذه الحجة، فقد شهد له بعض معاصره بأنه كان عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وابي الطيب المتنبي، وأنه كان اشد الناس اتقاء للكلام ومعرفة براعه. وحسبه بهذا شهادة على أن الرجل لم يكن يحسن تدريس اللغة فحسب وإنما كان يجمع إلى ذلك ذوقا أدبيا مسما على النقد.

وقد ظل ابن الافليحي قطبا لحلة تجمع كثيرا من الطلبة في قرطبة إلى ان حثت الفتنة البربرية فقضت على كثير من العلماء بالتشرد، وعلى مجالس العلم بالكساد. ويدو أن شيئا من هذا أصاب ابن الافليحي فأخذ يبحث عن رزقه بالقرب لأمراء بني حمود في قرطبة، أو كما يقول ابن بسام، 'فازدلف الى الأمراء إلى ان نال الجاه'. ثم عادت الخلافة الأموية إلى قرطبة في شخص المستكفي فاتخذ ابن الافليحي كاتبا عنده. وكانت هذه الحادثة احتكافا عمليا لما كان يدرسه ابن الافليحي نظرية في الامتحان 'لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلفين'.

وبعد المستكفي تولى أمر قرطبة في هذه الفترة القلقة هشام

-------------------------------
(1) الصلة : 94 
(2) الذكرة : 241 /1 
(3) المصدر نفسه، ومعجم الأدباء : 7 

الحركة الغويتم 2005
المعتد. ويبدو أن هشاما هذا تقرب إلى قلوب العامة بمطالبة بعض المفكرين مثل ابن عاصم والسياسي والحمار، وكان ابن الأفيلي وحدها من هؤلاء المطلعين فأخذ وسجنه. ويدل نص ابن بسام حين يقول:

«ولحقته تهمة في دينه»، على أن الأمر كان متصلة بشيء من دراسة الفلسفة أو المنطق. وهؤلاء الذين يسيهم ابن بسام «الاطباء» لا يمكن أنتهم سبب تبضعهم إلا أن فهمنا أن اللحظة تعبن الفلاسفة أو المشتغلين بعلوم العقول، إذ لم يحدث إبدا أن كان الأطباء محترم تهمة، أو هدفا لاضطهاد الحكم. ولا بد أن تكون هذه التهمة كذلك، اعتني ذات صلة بالدراسات الفلسفية، ولا لما استطعنا أن نوفق بين معنى التهمة في الدين وبين قول فقيه محدث مثل ابن بشكوال في النهاة على ابن الأفيلي:

وكان صدق اللهجة حسن الغيب صافي الضمير حسن المحاضرة مكرماً لجليسه».

تطالع العمر بابن الأفيلي فتجاوز به فترة القلق في حياة قرطبة، وعاش حتى شهد بلده يعيش في ظل الحكومة الثورية التي أوجدها الجهوريون، وتوفي عام 1449/1449.

هل تجاوز نشاط ابن الأفيلي ميدان التدريس؟ يبدو أن ابن شهيد اتخذ ابن الأفيلي نموذجا لمعلم اللغة، فاتهمهم جميعاً بأنهم يعجرون عن التأليف فقال: «ومن دليل تقصير عصابة المعلمين أنهم لا

(1) الصلاة : ۹۳.

۳٠۶
يقدمون أن يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيناً، ولا تنجر مادتهم أن ينشئوها تأليفاً 1. ورسخت هذه التسهلا في ذهني ابن بسهام فتأتي إليها بقوله: "وما بلغني أن أنتك في شيء من فنون المعرفة إلا كتابه في شعر المتنبي لا غير 2. والحق أن شرح ابن الأفيلي لديوان المتنبي هو أشهر ما عرف له، وقد أثبى عليه الذين ترجوا له بالجودة.

وتخرج على يدي ابن الأفيلي تلامذة كثيرون منهم: أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبري، والعلاء بن أبي المغيرة بن حزم، وابن سراج.

2 - أبو مروان عبد الملك بن سراج (ـ 496/1009). شهير عن بني سراج أنهم من موالى الأمويين، ولكن إبا مروان كان ينكر ذلك ويقول أنهم من العرب صليبة، من كلب بن وبرة. وقال ابن بسام: من كلاب بن ربيعة، وإنما أصابهم سبأ في القديم. وكانت عائلتهم متعلقة الشهرة والتباهة في الأندلس على الرغم من ارتدائهم عن خدمة الدولة، واقتصادهم على سياسة ضياعهم الملفقة. وبما تضععت حالهم بعض الشيء في الفتنة البربرية فعادوا بعدها إلى التماسك. وفي عهد الفتنة...

(1) الذكرى 1/1 : 220.
(2) المصدر نفسه 1/1 : 241.
(3) انظر: أنباء الرواة 1/183، معجم الآباء 3/263.
(4) تاريخ الكتباء : 139، الصلاة : 199.
نفسها ولد عبد الملك ونشأ في قرطبة فلم يشهد من عمرانها السابق ولم يعلم عنه إلا ما كان يحدثه به أهله، فانصرف إلى العلم على بقية الشيوخ يومئذ كابن الافليي والمؤرخ أبي مروان بن حيان، وأطاعته ملكته في ميدان اللغة فتفوق فيها تفوقا ملك اعجاب معاصرته. وكان يجمع إلى علمه مثابة في دينه، وسماحة في خلقه، وبعدا عن العبج والخلياء، وقدرة على الافهام. وبذلك اجذب إليه الدارسين من كل صوب. وعاش تسعة وثمانية سنة، وظل إلى آخر حياته حسن البنية، سليم الحواس، متوقد الذهن، سريع الخاطر، يقرأ دقيق الخط، ويضاير على المطالعة. وقال فيه أحد تلامذته: "كان بحر علم، عالما بالتفاصيل ومعنى القرآن ومعاني الحديث، أحظر الناس للسان العرب، وأصدقهم فيما يحمله، وأقومهم بالعربية والأشعار والآداب والانساب والأعيان، عنده يسقط حفظ الحفاظ، ودونه يكون علم العلماء، فائق الناس في وقته، وكان حسنة من حسنات الزمان، وبقية من الأشراف والأعيان".

وإذا كنا قد وجدنا لابن الافليي نشاطا في التأليف يسيرا فان المصادر تسكت عن ذكر أي مؤلف لابن سراج، وكل ما نعرفه من جهوده، سوى التدريس، قول ابن بسهام: "وأحبيب كثير من الدواوين الشهيرة الخطيرة... واستدرك فيها اثني عشر من سقط ووضعها، ووهم..."

(1) الذكرى 2/10 31
(2) الصولة 446

308
مؤلفيها كتاب البئر لابي علي البغدادي، وشرح غريب الحديث
للخطفائي وقاسم بن ثابت السرقتسي، كتاب أبيات المعاي للقتبي،
وكتاب النبات لابي حنيفة، وغير ذلك من الكتب مما لم يحضرني ذكره،
ولم يكن حصره، إذ كانت قبل فتحها عليه، وأصالحها بين يديه،
طامعة الإعلام، مختلفة النظام، وقد سدد التصحيف طرقها، وعوّر
التبديل نسجها، ففتح مستغلقها، ونظم مفترقها، وعنى خلقها، وأراح
يدها، وقيد مهملها 1. وواضح أن ابن بسام يذهب في كلمه مذهب
التهمول، ولا فان هذه الكتب قد تداولها العلماء ودرسوا الطلبة قبل
ابن سراج، ولم تكن طامة الإعلام، أو مختلفة النظام، وإنما الذي
يهمنا في هذا النص دلاته على أن ابن سراج كان مهتما بالاستدراك
على كتب من سبقه. وأيضاً كان الأمر فان مثال ابن سراج إذا أثرورة
في مجال العلم بعناصر شخصيتهم أكثر مما يؤثرون بمؤلفاتهم. وقد
شهد له عارفوه بأنه كان "وقرأ المجلس مهيباً متواضعا على اتساع
 علمه" 2، فكانت الرحلة في ذلك الوقت إلى مدى إمام اللغة في
الأندلس غير مدافعة. وقد سرد لنا ابن خير قائمة طويلة بالكتب التي
أخذها ابن سراج عن أستذاه أبي سهل الحراني وقائمة أخرى بالكتب
التي درسها عليه تلميذة أبو علي الفضائي، وكلها من كتب الشعر.

2. الصلة : 466 ، انباء الرواة 2 : 280.
3. الصلة : 466.
4. فهرسة ابن خير : 297.
3 - أبو الوليد هشام بن أحمد الوقشي (ـ489/1991)

ينسب إلى وقش، وهي قرية بخارج طلطلة، بينهما اثنا عشر ميلاً. ولم تكن معارفه قاصرة على اللغة والنحو بل كان واسع الاطلاع على فنون المعارف والعلوم في عصره. فهو كما وصفه المصادر من أعلام الناس بالنحو واللغة، ومعاني الأشعار، وعلم العروض، وصناعة البلاغة، بصير بأصول الاعتقادات وأصول الفقه، نافذ في علم التروط والفرائض، متحقق بعلم الحساب والهندسة والمنطق، مشرف على آراء الحكماء. ويجمع إلى هذا الاطلاع الواسع حسن المعاعرة ولين الكئف وصدق اللهجة. وفي دولة المأمون بن ذي النون أصبح قاضياً لمدينة طلثيرة، من ثغور طلطلة. ذلك هو ما تحدثنا به المصادر، دون ان تضيف أي شيء يتعلق بوجهته في التأليف أو بتلامذته الآخرين عنه.

4 - أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشنبري (ـ476/1083)، وهو منسوب إلى شنترية العرب، هاجر من بلده إلى قرطبة عام 433/1043 فدرس فيها على ابن الافيلي وعلي أبي سهل الحراشي. درس على هذا التأليف الإشعاعية الجاهلية وأخذ عنه أيضاً شعر السليان وقصيدة عمرو بن كئثم وقصيدة لقيض بن معرق اليدادي.

ترجمته في الصلاة: 617، المطبوع: 343، بداية المتمس: 470، طبقات الأمام: 74،
ترجمته في الصلاة: 143، المطبوع: 443، وبداية الوعاة: 422.
وشعر الاسود بن يعفر وشعر حاتم وشعر زيد الخليل، حتى أحكم اللغة واقل بالاهتمام على معاني الشعر خاصة، ثم استدعاه المعتضد الى اشبيلية وفي ظله ألفت أكثر المؤلفات، فهو يذكر في مقدمة شرحه لأبيات سبقوه أنه ألفه بطلب من المعتضد، كذلك يذكر ابن عذاري أنه الفله شرح الحماسة وشرح الاعمار الستة. وكانت الرحلة في وقتها إليه، ويبدو أنه ظل مقيماً في اشبيلية إلى آخر أيام حياته، وكلف ببره في آخر عمره وكانت سنة توفي تناهز الثالثة والستين، ومن أشهر تلامذته، وهم عديدون، أبو علي الغساني.

(1) فهرسة ابن خير: 398.
(2) البيان المغرب: 284، وانظر أيضاً فهرسة ابن خير: 314.
(3) المختصر في النحو، كتاب المسالة الرشيدة والمسالة الزنبورية، وجزء فيه مختصر الأنواع.

311
الفصل الخامس

حركة آناليف اللغوي نوبيت في هذا العصر

اولا - صورة عامة

لا يقل هذا العصر عن العصر السابق غنى في المؤلفات، وإن كانت هذه أقل تنوعًا. وفي سبيل أن نرسم صورة تصلح للمقارنة بالعصر السابق أدرجنا هنا نبناً باسماء المؤلفين ومؤلفاتهم في هذا العصر:

1 - ابن الافيلي (ـ ٤٤٧/١٤٦٩)

1 - شرح ديوان المتنبي. وصفه بعضهم بأنه حسن أو

(1) انظر ما سبق من هذا الكتاب ص: ٣٢.
(2) مخطوطة برلين ٧٥٦٩، مكتبة القرويين بفاس ١٣٤٨، المتحف البريطاني ثاني : ١٣، الرابط : ٢٤، قطعة منه بمكتبة داود بالووصل ٢٣ رقم ٩ ( انظر بروكلمان ٣ : ٨٩).
مشهور أو جيد.

2 - الحسن بن محمد بن علي البطيطوس.

3 - شرح كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة.

3 - الحسن بن علي بن محمد الطائي المرسي (ت 988/1100).

3 - المقنع في شرح كتاب ابن جني.

4 - سعيد بن عيسى الأصفر (ت حوالي 460/107).

4 - شرح كتاب الجمل للزجاجي.

5 - أبو عبد الله بن عبد العزيز الأكروي (ت 487/1094).

5 - الكلي في شرح الأمالي.

6 - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال.

7 - التنبؤ على أوهام أبي علي في أمالي.

(1) درس بلدة بطيطوس على ابن الغراب وغيره، وكان مقدماً في علم اللغة والأدب والشعر (الصلة: 137).

(2) مربي عرف بالفقيه الشاعر (الصلة: 137).

(3) من ساكني طبيطوس، كان عالماً باللغة والشعر واللغة والإشاعر (الصلة: 218).

(4) انظر تجربته في ما يلي من هذه الرسالة (اتجاهات كبيرة في التأليف).

(5) نشره عبد العزيز اليمني - القاهرة 1936.

(6) حققه الدكتور أحسن عباس والدكتور عبد المجيد عابدين - الخرطوم 1958.

(7) طبع في مصر 1966، ط 1، دار الكتب المصرية.
8- صلة الفصول في شرح أبيات الغريب المصنف لأبي عبيدة.
9- استنقاقي الإسماء.
10- شفاعة عليل العربية.
6- عبد الله بن محمد بن السيد.
11- شرح سقط الزند.
12- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب.
13- إصلاح النخل الواقع في الجمل.

يبدو ابن السيدة كتاب الزجاجي لابنه "نزع به المزعج الجميل" و "حذف الفصول واختصر الطويل". غير إنه ي dönem فيه اقراطه في الإيجاز والاختصار، كما أنه يأخذ عليه عدم الديقة، والبقاء القول دون تفحص، وقبول الآراء غير مناقشة، وسوء العبارة أحياناً. ولم يكن ابن السيدة أولاً من اعترض وانتقد، بل سمته غيره "الي الاعتراض.

(1) فهرسة ابن خير: 342.
(2) فهرسة المباهلة: 334.
(3) كشف الطون: 105.
(4) أنظر ثبت تراجمه فيما يلي من هذا الكتاب ( اتجاهان: كبيران في التأليف).
(6) مخطوطة دار الكتب المصرية.

315
عليه وتخطئته في بعض ما نحا اليه …».

ويقف ابن السيد عند حدود التنبؤه على الفعل واكتشاف الاختلال ، وهو لا يحاول ان يستوفي النقص في كلام الزجاجي و « ما لم يذكره من انواع هذا العلم واقسامه » 1 . ويستغرق هذا التتبع في مخطوطة دار الكتب المصرية بين الورقة 2/و الى آخر الورقة 76/و.

من خصائص الكتاب :

أ – يبدأ بذكر المسألة التي يعترض عليها ، ثم يأتي الجواب بعد عبارة : « قال المفسر ».

ب – قال إن يذكر اسماء التحوين او يشير الى كتبهم.

ج – غلب على الكتب الشواهد الاصطناعية.

د – جاءت آراؤه جامدة تبرز شخصيته واعداده بنفسه :

» .. هذا التقصيم خطأ .. والصحيح .. 

ه – لما كان التقصيم من الكتاب تتبع اختاى الزجاجي فقد تبعه في عبارات ليست خاطئة , أو هي تحتمل أكثر من تفسير واحد .

14 – الحل في شرح آيات الجبل 2.

(1) راجع مقدمة المخطوطة .
(2) كشف الظنون : 6-7 . ومن الكتاب نسخة في ، القاهرة ثاني 2 : 741 , راغب 1319 ( انظر , بروكلمان 2 : 174 ) .
لما اتتهي ابن السّيد من كتابه «إصلاح الخلل» اراد ان يتم عمله
بكتاب ثان يتناول فيه اعراب ابيات جمل الزجاجي ، وشرح معانيها ،
وذكر اسماء قائلاتها . وقد قدد من ذلك ان يصل «كل بيت منها ما
يتصل به ليكون ابن لفرض قائله ومذهبه». وابن السّيد يحس بأنه
يستطيع ان يكون ذا ققع ، برجم ان غيره قد تحدث في هذا المجال ، فقد
يكون لكلامه «مزية على سواء وزياة فائدة من وقته عليه ورأيه ..». 1
ويستغرق هذا الكتاب الثاني (وقد سماه الجمل) من مخطوطه
دار الكتب المصرية بين الورقة 76 1/3 إلى آخر 15 1/2 ، وهي آخر
الكتب.

من خصائص الكتاب:
أ — يرد الشاهد لصاحبه ، وذكر ، اذا تعددت الروايات في
نسبة البيت ، اسماء الشعراء الذين ينسب البيت اليهم.
ب — ينتقل الى التفسيرات اللغوية والتحقيقات النحوية حين يرد
ما يستوجب ذلك من اشارة او كلمة او اسم او غير ذلك.
ج — يستشهد بالقرآن والاحاديث والشعر القديم.
د — يروي عن العلماء وذكر اسماء الكتب التي يأخذ عنها.
ه — يترصف الآراء المختلفة دون ان يكون له شخصية مميزة في
هذا الجانب من الكتاب.

(1) مخطوطة دار الكتب المصرية : ورقة 76 1/3 وما بعدها .

٣١٧
15 - شرح ديوان الشعراء الستة
16 - شرح ديوان المتنيبي
17 - المسائل المشتركة في النحو
18 - كتاب في الحروف الخمسة: السين والصاد والضاد والظاء والدال، جميع فيه كل غريب
19 - المثل في اللغة، ذكرت المصادر أنه يقع في مجلدين، اتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع عظيم. فإن مثل
قترب في كراسة واحدة، واستعمل فيه الضرورة وما
لا يجوز، وغلظ في بعضه». غير أن المخطوطة التي
راجعتها ظهرت ما يلي:

يقع الكتاب، وهو بخط اندلسى نيق، جيد الضبط، مشكل
في معظمه، في سبع وخمسين ورقة من القطع الكبير، والنسخة مبتورة
ومخرومة، وفيها الحروف التالية: الألف، الباء، التاء، الإيماء،

(1) مخطوطة فيض الله رقم 940 (بروكلمان، 1: 88)
(2) بغية الوعاة: 288 .
(3) المصدر نفسه.
(4) شذرات الذهب 4: 65 ، ومنه نسخة في مكتبة راغب 1431
(بروكلمان، ط. ليدن، اللحق 1: 758).
(5) وفيات الأعيان 2: 282 ، وانظر: شذرات الذهب 4: 65
وهرسة ابن خير 362 ، ومن الكتاب نسخة مخطوطة في
مكتبة عاطف ابندار: 2754 ، واللالي: 3371 ، القاهرة ثاني:
346 (انظر: بروكلمان، ط. ليدن، اللحق 1: 758).
(6) نسخة بدار الكتب المصرية: مجاميع ش. 3

318
الجاء، الخاء، الدال، الاء، الزاي، الوا، الاء، الكاف،
اللام، الميم، النون، الساده، الضاد، العين، والحرفان الأول والأخير
غير تمام.

وهو من كتب المكاكتات، صنفه ابن السعد على حروف العجم
وفي الترتيب المغربي. وصنف المفردات داخل كل حرف في قسمين،
وسمي الحرف بابا. فصار منهجه كما يلي:

1- قسم كتبه إلى أبواب وفق الحروف

2- جعل كل باب في قسمين:

أ - الواحد لما اتفقت معانيه
ب - والآخر لما اختفت معانيه

مثال: "حرف التاء":
باب المثل المتعلق المعاني. كلمة. يقال: إبي قائلها بـ لا تما وتبها
وتتبا. قال الراعي يصف إبلا:

حتى وردن ليهم خمس بائص. جدا تعاوره الرياح. وييلا
باب المثل المختلف المعاني. وهو ست كلمات. التقرب والتراب
والتراب. الـتربا فتح التاء مصدر تربت الرجل إذا ضربته ترائبه;
وتربى الكتاب إذا وضعته عليه ترابا. والترب بكسر التاء اللدة.
والتراب بضم التراب.. الخ.

ومن خصائص هذا الكتاب:
1 - كتلة التحقيقات اللغوية وال نحوية فيه.
ب - الاستشهاد بالشعر القديم والقرآن والحديث.
ج - نقل آراء اللغويين والتمثيل بأقوالهم وذكر اسمائهم.
د - شخصية المؤلف واضحة، فهو لا يكتفي بالنقل، بل يناقش الآراء المختلفة، ويرجح منها ما يراه موافقاً لقواعد اللغة وتأثير النصوص.

2 - كتاب المسائل والإجواب. وهو يشمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب اجوبته وألف من مجموع المسائل كتاباً ضخماً يتناول ما ينفّ السأله عليه. ويبدو أن الكتب كان مجموعاً لمسائل قليلة عرضت لأبي السيد في مناقشاته ومحاسبه، ثم لما اخترت هذه المسائل تعمّ وتكثّ فكر في جموعها وجعلها في كتاب، غير أنه أدرك أن هناك مزيداً من المسائل ستبرز مع الأيام فقال: "ووهذا التأليف معرض للزيادة فيه، اذ كان السؤال يوجب ذلك، ويتضفيه ولا تتم له ولا اقتصاء حتى يتشارف العمر الانتهاء".

وتغلب على الكتاب الناحية اللغوية، وطريقتة فيه لا تختلف عن اخذه كتاحة شرح سقط الزند والاقتضاب، والحكم الدقيق غير متيسر، إذ أن

(2) رسائل في اللغة: 114، 920.
المشروع ثلاث مسائل فقط من أصل مائة مسألة.

21 - الاسم والمسمى.

22 - أبوات المعني.

23 - التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة. وفي هذا الكتاب

مباحث لغوية.

24 - التذكرة الإدبية.

25 - رد ابن السيد على اعتراضات ابن العربي عليه في شرح شعر

الموري.

7 - ابن سيده

26 - الأنيق في شرح الحساسة.

27 - شرح ديوان النبي.

1 - منه نسخة مخطوطة في مكتبة فيض الله: 1161 (انظر بروكلمان،

ط. ليدن، الملحق 1: 758).

2 - انظر خزانة الادب 1: 9، وقد ذكره بروكلمان، ط. ليدن الملحق

8: 758).

3 - الصلة 1: 282، الدبيج المذهب: 141. وقد طبع الكتاب في

القاهرة سنة 1319/1902، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة

شهيد علي: 1111، وفيض الله: 1161 (انظر بروكلمان ط.

ليدن الملحق 1: 758).

4 - أناه الرؤية: 2: 142.

5 - فهرسة ابن خير: 419. وقد طبع الكتاب بعصر بحريت، الدكتور

حامد عبد المجد عام 1955 تحت اسم "الانتصار ممن عدل عن

الاستثمار".

6 - الصلة: 396، الدبيج المذهب: 142.

7 - سماه بروكلمان: شرح مشكل ديوان النبي، ومنه مخطوطة في

القاهرة أول 7: 272، والقاهرة ثاني 3: 218، ومكتبة المجلس

في طهران 1999 (انظر بروكلمان 3: 82).

الحركة اللغوية 201
مرتبة على حروف المجمع حتى حرف الزاي ومن بعده على السياق الآتي: ظل يكتب م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي. "وموضوعها في الأصل لقوى تخيل فينا الناظم ان ركب من رجال الشرق قادهم الاعتراب نحو المغرب. وسماو عن اسمائهم، وآبائهم، وقبيلتهم، واخوالهم، ولدائهم، ومراقبهم، ومعادن قسيهم، وسهامهم، وما يقتضون من الوحش والطير، وما يأكلون منها، وما يهدون الى حبائهم، واسم حبيبة كل منهم، والبيت الذي يقال لها عند الاهداء، وما كانت تنشده هي في الجواب. كله ذاك بالتفصيل مبدوءة بنفس الحرف الذي تداوله من حروف المجمع كل رجل منهم في دوره.

٨ - أحمد بن محمد المرسي (حوالي ١٤٦٠/١٦٨)

٢٣٣ - شرح الغريب المصنف لأبي عبد .

------------------------------------------
(١) المحكم : ١٠٠
(٢) الدبياج المذهب : ٢٠٥
(٣) راجع مجلة الشرق، السنة السادسة والثلاثون ١٨١ - ١٩١
(٤) المشرق : ١٨١ - ١٨٢
(٥) كان عالم بال نحو واللغة والآداب، وكان يقرأ العربية (التكملة) : ٢٠
------------------------------------------
1 - خلف بن فتح المعروف بابن أبي الموتى (ـ بعد 133/424 هـ)
2 - كتاب الناهج في شرح ما أشكل من الجمل للزجاجي.
3 - ابن التياني، تمام بن غالب (546/1445 هـ)
4 - تلقيق العين في اللغة.
5 - يوسف بن سليمان الشنتمري المعروف بالعالم (476/1858 هـ)
6 - شرح إصلاح المنطق لابن السكيت.
7 - أسحق بن الحسن الزيات (ـ بعد 688/1579 هـ)
8 - شرح كتاب الجمل للزجاجي.
9 - كتاب في المبني والمعرب.

(1) قرطبي الأمل، هاجر من بلده مضطراً أثناء الفتنة البربرية، فأقرَّ العربة بسريستة (التكملة: 192)، وقد ذكره بروكلمان (ط.
ليدن، اللحق 1: 102).
(2) خلف بن فتحون الجودي القيسي. من أهل يابرة وسكن قرطبة.
أُخذ من داره في قرطبة مكاناً يمارس فيه مهنة التعليم (التكملة:
196).
(3) كان أماناً في اللغة ثماء في إبرادها، مذكورا بالدينانية والعفية والورع،
وله كتاب تلقيق العين في اللغة لم يوَلَف مثله اختصاراً أو اكثاراً. قال عنه ابن بسام (المختصر: 4/11): إنه كان أحد أعضاء ديوان
النداء في زمن المنصور بن أبي عامر. وانظر ترجمته في: جذوة
المقتبس: 176، بقية المقتبس: 272، الصلاة: 241، ابناها
 الرواه: 1: 259، 260، وفيات الآيات: 1: 217، بقية الوعاة:
138، كشف الظنون: 81.
(4) فهرسة ابن خير: 36-369.
(5) انظر ثبتاً بتراجم الأعلام: 31 من هذا الكتاب.
39 - شرح الاعصار السنة الجاهلية.

40 - شرح اشعار الحماسة.

41 - شرح ايات كتاب سيو، وقد سماه: تحصيل عين الذهب

من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب.

42 - النكت في كتاب سيو.

43 - المخترع في النحو.

44 - المسأله الرشيدة.

45 - جزء فيه الفرق بين المسبب والمسبب.

46 - المسأله الزنبورية.

47 - جزء فيه مختصر الأنواع.

48 - شرح ديوان زهير.

(1) فهرسة ابن خير: 388، ويوجد منه نسخة في الرباط: 313.

(2) فهرسة بروكلمان ط. ليدن، الملحق 1: 542.

(3) من نسخة في القاهرة ثالث: 44، وربما 40 (انظر

بروكلمان ط. ليدن، الملحق 1: 542).

(4) فهرسة ابن خير: 314 - 315.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

(7) المصدر نفسه.

(8) المصدر نفسه.

(9) المصدر نفسه.

(10) نشره لندرغ - ليدن 1889، وطبع بالقاهرة 1946،

انظر بروكلمان (1: 96).

324
49 - شرح ديوان علقة الفحل.
57 - شرح ديوان النابغة.
51 - شرح أبيات الجمل.
133 - أبو الفتوح ثابت الجرجاني.
55 - شرح كتاب الحماسة.
58 - شرح جمل الزجاجي.
14 - أبو بكر عاصم بن يوب البلوي (٥٤/٤٤). 
54 - شرح أشعار الحماسة.
55 - شرح كتاب الأشعار السنة الجاهلية.
56 - شرح ديوان أمراء القيس.
15 - أبو علي الحسن بن علي النمري.
57 - شرح كتاب معاني أبيات الحماسة.

***

(1) نشر بالقاهرة ١٣٩٣/١٣٨٧، ونشره ابن شنب في الجزار ١٩٤٥ (انظر بروكلمان ١: ٨٧).
(2) مخطوطة الأمير زبان الثاني: ١٣٣ (انظر بروكلمان ١: ٨٩).
(3) يوجد منه نسخة في مكتبة لالي: ٣٢٥ (انظر بروكلمان ٢: ١٧٤).
(4) انظر ثبتا بترامج أشي الفتوح في ص: ٢٩٩ من هذا الكتاب.
(5) مخطوطة الإسكوريال ثاني: ٢٨٩ (انظر بروكلمان ١: ٧٩).
(6) كان من أهل العرقية بالآداب واللغات ضابطا لهما. وعليه درس ابن السيد البلييوسي (الصلة: ٤٧٤، وانظر بروكلمان ط. ليدن، الملحق ١: ٣٤٣، وسميته البلييوسي).
(7) نهيرة ابن خير: ٣٨٨.
(8) المصدر نفسه: ٣٨٩، ومن الكتاب نسخة في مكتبة فيض الله.
(9) طبع بصر ١٣٨٢/١٨٩٥، ١٨٩/١٣٨٣. 
(10) نهيرة ابن خير: ٣٨٨.

٣٣٥
ثانياً – اتجاهان في التأليف كبيران

هذا عدد من الكتب يتحدث عن طبيعة التأليف الفائزة على اللغة والنحو في هذا العصر. وإذا استثنا بعض المؤلفات الصغيرة وجدنا هذا التأليف يمثل اتجاهين كبيرين: اتجاه لشرح الكتب التي أصبحت عدة دارسي النحو واللغة، وهي ثلاثة أنواع: 1 - شروح لدواوين شعرية، كديوان المتنبي والمعري، 2 - شروح لمجامع، كديوان الحماسة والاشعار، 3 - شروح للمقترات النحوية واللغوية مثل الجمل للزجاجي والنوادر للقائي وأدب الكتاب والغرب المصنف وأصلاح المنطق. أما الاتجاه الثاني فهو التأليف المعجمي. وهو من حيث الكم أقل بكثير من الاتجاه الأول. وإذا كان أبو عبد البقري وابن السيد ابرز من مثيل الاتجاه الأول، فإن ابن سيده يعتبر أكبر من مثيل الاتجاه الثاني وإن شارك بعض مشاركة في الأول. وهذا موضع التوجه الذي دراسة مثالي هذين الاتجاهين ودراسة أهم مؤلفاتهم.

(1) الاتجاه إلى الشرح

1 - أبو عبد البقري وكتاباه "فصل المقال" و "اللالي"

أ - شيء من سيرة البقري

يشتهر عبد الله بن عبد العزيز أبو عبد إلى اسيرة من الأئمة كأنت

تحكم ولية وشطيطين وأونية ولبة في عصر ملوك الطوائف، التي تعاني
عليها المستضد بن عبد مندابي عبد أبي عبد العزيز البكري فلحق
الاب بقرطبة ومعه عائلته جميعاً، ويصف ابن حيان هذ الحادث بقوله:
"وبهر من رجل سريعاً عاقلاً عفياً، أديباً يفوق صاحبه، ابن يحيى جلالة
وخلالاً الي زيادة عليه بيت السرو والشرف، وباين له بذ الاقتران جمالاً
وبهاء وسراً وأدباً ومعرفة يكتن النسب معاً. فعاش أبو عبد في قرطبة
بعد لجوء اهل اليلة، ويقول الدكتور حسين مؤنس: «ولا ندري كم أقام
أبو عبد في قرطبة، ولكن الثابت أنه لم يفارها إلا بعد أن ذاع صيته
بالعلم ورغب بعض أمراء النواحي في ان ينقل الى ملدهم». وفي هذه
الحالة اتصلت الأسباب بينه وبين بعض شعراء قرطبة، فنراه يمدح الوزير
المفروض، ابن السكفاء ولكن شعره لا يدلى كثيراً على تمكن في الشاعرة.
ويرى الدكتور مؤنس ان الف، في هذه الفترة كتابه التنبؤ على اوهام أبي
علي في أماليه، لأن الكتاب يحمل طابع الشباب والرغبة في الظهور عن
طريق تتبع شيخ من شيوخ الادب، كما اتبع سيالي؟. ولكني اعتقد أن هذا
الاستنتاج غير صحيح، إذ تدل مقدمة الكتاب على أن النه للمعتهد بن
عباش، وهذا يعني أنه متصل بفترة اقامته في اشبيلية لا في قرطبة، وأيا كان

(1) القلم، القسم الثاني، الورقة: 97-18، مخطوطة بغداد،
الحطة السرايا: 182.
(2) صحفية معهد الدراسات الإسلامية، مجلد 6، ص: 111.
(3) المقالة السابقة: 312.

327
الامير فان ابا عبيد أخذ ينقل معرجا على امراء الطوائف. وذكر ابن
الابار في الحمل اته سنار الى محمد بن معن صاحب المرية، فاصطفاه
لصحبته وآخر مجالسته والأسن به ورفع مرتبه ووفر طعمه. وكان ابن
صماد هو صاحب المرية، ويبدو ان ابا عبيد لم يطل الاقامة في كنها، وأنما
آثر الارتحال الى اشبيلية في كنف المعتد بن عبد، وظل فيها الى ان
ادركته متيته سنة 487/1994. ويورد له النويري شعرة يشيى، به المعتد
يماحيف، سنة 477/1084.

وتنبأ المصادر في سرد الفضائل العلمية لدى ابا عبيد فتقول انه
كان من اهل اللغة والآداب الواسعة، والمعرفة بمعاني الأشعار والرجز
والانساب والأخبار، متقنًا لما قيده ضابطًا لما كتبه، حيث الكتب متشابها
فيها، كان يسبقه في سباني الشرب وغيرها اكراما لها وصيانته».
ويقول
فيه ابن بسام: «كان بأفتقى آخر علماء الجزيرة باليزمان، وآلههم بالبراءة
والحسن، وأصبحهم في العلم والطلقا... ولولا تأخر ولادته وعهدة في
زيادته، لانسى ذكر كنه المتقدم الأول (ابي عبيد بن سلمان)».
وبلغ
من الشهرة جدا ان كان ملوك الأندلس يتبادون مصنفاته.

1) (الحمل السيرة)، 186-187، وانظر الوافي بالوفيات، 6: 218.
2) (نهاية الارب)، 33.
3) (الصلبة)، 277.
4) (الذكرى القسم الثاني الورقة: 67 مخطوطة بغداد.
5) (الوافي بالوفيات)، 6: 218.

328
وقد تحدثت المصادر عن وله بالخمر، واتهمه الفتاح في القائلين بأنه
«كان مباكرًا للراح لا يصحو مسخمارا ولا يحمو رسم ادمانه مس
مضمارا» 1، ولكن ائذى الدكتور مؤنس في ما ذهب إليه من شك في
هذهبالغة، إذ أن من الف هذا القدر من الكتب لا يمكن أن يكون
مدمنًا، وكما نستطيع أن نقوله ان ابا عبيد كان يشرب الخمر متأثرا
بضياع ملك أبيه، وبالوضع الذي كانت عليه الاندلس، فكان شربه لها
ضررا من المسلمين والتضامن للسلوان. 2.

وأما توفي أبو عبيد كان قد نيف على الثمانين، وقد رآه الفتاح وهو في
سن كبيرة، ووصفه يقوله «رأيته وانا غلام ما أقرح هلالي ولا نبع في
الذكاء كوثري ولا زلالي، في مجلس ابن منظور، وهو في هيئة كأنما
كسيت بالبهاء والنور، وله سبلة نروم العيون ايضاها، ويفوق السواد
بياضها» وقد بلغ سن ابن محلم وهو يتكلم فيفوت كل متكلم 3.

وقد درس أبو عبيد كثيرا من الأصول اللغوية التي جلبتها القالي الى
الاندلس وقد تقدم الخبر عن شدة غرامه بإقتناء الكتب، لذلك كانت
ثقافته شديدة التنوع. وقد عد له الاستاذ المغني اثي عشر مؤلفا
بعضها في الجغرافيا وبعضها في النبات وفي اعلام النبوة. ومن الطرف ان

(1) قلائد العقين : 191.
(2) انظر مقالة الدكتور مؤنس : 315.
(3) القلائد : 191، والإشارة إلى عوف ابن محلم، الذي يقول:
ان الثمانين ولهما قد احوجت سمعي الي ترجمان

۳۲۹
تكون ثقافته اللغوية أساساً هاماً في الاتجاه المعجمي الذي سار فيه، فكتابه "معجم ماستعمج" هو استعراض لأسماء الأماكن من الأخبار والحديث والتواريخ والاشعار. وكتابه في النبات ذو صلة وثيقة أيضاً باللغة. وكان أبو عبيد من القادرين على أن يوجه جهوده في الاتجاه المعجمي اللغوي لما أورتي من سعة في الاطلاع، ولكنه آثر الشرح والعطب لآمانته الكتب المشرقية. ولعل ذلك لسنا يعود إلى اكتسابه بالتين والبارع واضراريهما في الناحية المعجمية. فمن كتبه التي تمثل الاتجاه إلى الشرح:

ب - فصل المقال في شرح كتاب الامثال لأبي عبيد القاسم بن سلام

لقي كتاب أبي عبيد اهتماماً في المغرب والمشرق والمغرب، واعتني به الأندلسيون أنفسهم في دور مبكر. فلخصه ابن عبد ربه في كتاب العقد، ثم كان من جملة الكتب التي ادخلها القاضي أيضاً إلى الأندلس، وتلقاه عنه تمامته. وبعد كتاب «فصل المقال» من أهم الدراسات والتعليقات الأندلسية عليه. وكتاب أبي عبيد البكري معرض لسعة الاطلاع مؤلفه. فقد اشار فيه إلى ما يقرب من ثلاثين كتاباً نقل عنها، ورجع إلى مؤلفين في الأمثال ممن لم يشر إليهم أبو عبيد القاسم في كتابه ومن هؤلاء:

عبيد بن يرشة، وعلاقة بن كيشم الكشمي، وأبو عمرو بن العلاء (حوالي 154/771)، واللحياني: علي بن حازم، كما أن هنـاك

(1) مقدمة فصل المقال: ك.
مصنفات أخرى هامة استفاد منها البكري، صنفت بعد وفاة أبي عبيد القاسم، ومن أصحابها: ابن الأعرابي (ـ 31/463) الذي ألف كتابا عنوانه "تفسير الامثال"، ويعقوب ابن السكبت (ـ 24/358)، وله كتاب في الامثال، والقاسم ج. (ـ 37/50) وله كتاب في الامثال وقد ورد الجاحظ كذلك مجموعه من الامثال في كتابه الحيوان والبيان والتبين، من المحتمل أن يكون البكري قد استفاد منها - وأبو محمد عبدالله بن قتيبة (ـ 276/389)، وله كتاب "حكم الامثال"، غير أن البكري لم يورد اسم الكاتب بـ "ورد اسم الكاتب فقط، والمفضل بن سلمة المتوفي (حوالي 39/390)", وكتبه "الفاخر في الامثال" من الكتب التي وصلتنا، وأحمد بن يحيى ثعلب (ـ 391/410) وله كذلك كتاب في الامثال.

وقد أوجز البكري منهجه في الكتاب وغايته منه في المقدمة حيث قال: "فاني تصفحت كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام فرأيته قد أعطى تفسير كثير من تلك الامثال، فجاء بها مفصلة وأراع أيضاً عن ذكر كثير من أخبارها، فأوردها مرسلة. فذكرت من تلك المعاني ما أشكل، ووصلت من تلك الامثال بأخبارها ما فصل، وبينت ما أهل، ونثبت على ما ربما أجمل، إلى أبطال كثيرة غير منسوبة نسبتها، وامثال جمة غير (1) طبع بلبنان عام 1915 وحصر عام 1960.
(2) انظر مقدمة المحققين على كتاب فصل القال.

331
مذكورة ذكرت، والفاظ عدة من الفريب فسرت لها.

وأنا قام البكري بهذا العمل لأن الكتاب المشروع اعتمد الإيجاز اسلوبا له، ووقع مؤلفه في الوهم أحياناً، وهذا أتاح للبكري أن يشن هجوما قويا على بعض الهنات في مواضع كثيرة من الكتاب، مثلما فعل في باب "صيانة الرجل الحر نفسه عن خمس الكاسب"؟:

قال أبو عبيد: وقال الشاعر:

فتي كان يديني الذي من صديقه: اذا ما هو استغني ويبعد الفقر.

قال: وهذا البيت يقول بعضهم أنه لعثمان بن عفان ..» فيرد البكري قاكملا:

كيف جهل أبو عبيد أن هذا البيت من شعر الإبرهيم الربوعي، وهو أشهر في الناس من أن يجيله أحد .. وانما روي عن عثمان .. انه قال البيت متشملاً.

وقد تتبع البكري إبا عبيد القاسم في غير ذلك من الإوهام، في النسب وفي صحة الأسماء وفي الشرح والتوجيهات اللغوية.

ولم يكن البكري منصفاً أبداً في احكافه، وكان، في مرات كثيرة، يجابب الصواب. فقد فسر أبو عبيد القاسم المسأل "عند فلان من المال عائرة عين" فإن لديه من كثرة المال ما يملأ العين حتى يكاد يعورها، فقال:

(1) مقدمة البكري: 3.
(2) فصل المقال: 235.

732
البكري: "قبح الله كل مال يكـاد يفيقًا العين حين النظر". والواقع ان علماء آخرين قيلوا هذا التفسير، ولم يرد البكري على ان اختيار توجيه أبي عبida في فهم المثل. كما ان البكري وقع في كثير من الاحيان فيما لاام فيه ابا القاسم، كأن يورد اشعارا دون نسبتها الى اصحابها.

ولا ريب في أن الكتاب قيم من الناحية اللغوية، أولا: بما احتواه من تحقق في الأصول والأخبار وتدقيق في الروايات الشعرية، ثانيا: في ما اعتمد أبو عبيد شرحه من الالفاظ اللغوية. وهو يمثل مع "اللاتلي" جهدًا علميًا في استكمال أصول من أصول اللغة، فيما أشبه شيء بتذليل ملحق عليهم للتوسيع والتصوب، ولا يحسن مثل هذا العمل إلا لغوي واسع الاطلاع كالبكري.

جـ - اللاتلي في شرح امالي القالي

قال البكري في مقدمة كتابه: "هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التي املاها ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي ما اغفل، وبينت من معاني منظومها ومنظورها ما اشكلك، ووصلت من شواهدها وسائر اشعارها ما قطع، ونسبت من ذلك الى قاليه ما اهمل، وكثيراً ما يرد البيت المفرد، والشعر الفغل المجرد.. وذكرت اختلاف الروايات فيما تقله ابو علي ذكر مرجع ناقد، ونبهت على ما وهم فيه تنبه منصف لا متعسف ولا معاند،

(1) المصدر نفسه: 277 والتعليقات.
(2) المصدر نفسه: 212.

333
محجٌ على ذلك بالدليل والشاهد .. 

وأول ما نلاحظ في هذه المقدمة ذلك التقارب بينها وبين خطبه في فصل المقال. فكلنا أهوا ترسم منهج البكري رسمًا واضح الحدود والسرات. لقد كان الاستقصاء ميزة مهمة من ميزات البكري ساعدته على هذا النوع من التأليف. وهكذا الاستقصاء لا يمثل بتبعت الاختفاء فحسب، وإنما يظهر واضحًا أيضًا بالبحث في الصحيح وأيراد الروايات المختلفة فيه وشرح جوانبه الغامضة، سواء آكانت نثرا أم شعراً. 

وستستطيع أن تجد مثالاً على شرح البكري في حديثه عن المههل. فلقد جاء في الكتاب:

» وانشد أبو علي المههل:

فلن نشب المقابر عن كليب ...«

بدأ البكري شرحه بنسب المههل فقال:

» مهلل اسمه أمرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث من بني تغلب بن وائل ..« وقد أورد النسب ولاحظ أن هناك أكثر من رواية في اسمه فقال:

» وقيل اسمه عدي .. وآورد شاهداً على هذا الاسم الآخر، والشاهد قول المههل نفسه: 


(1) الآلائي في شرح الأمالي، المقدمة : 111
(2) المصدر نفسه : 111

334
ضربت صدرها الي وقالت يا عديا لقد وقتك الواقعي
ثم اورد أيضا شاهدا تأييدا لتقول من قال ان اسم المهليل امرؤ القيس:
ضربت صدرها الي وقالت يا امرأ القيس حان وقت الفراق
ثم فسر سبب تسمية امرأ القيس بالمهليل فقال:
وانا لقب مهليل لأنه اول من هلهل الشعر اي رقته ». ثم اورد
قول الطوسي: « سمي مهليل ببيت قال لزهير بن جناب:
لم توعد في الكراع هجينهم هلهلات أثأر جابر او صنبلأ
ثم انتقل من الحديث عن الشاعر الى الحديث عن أخيه ولقبه وعن شعر
المهليل فيه:
شاعر جاهلي، وهذا الشعر يقوله لما ادرك بثأر أخيه كليب:
واسم كليب وائل وكنيته ابو الماجدة، وانا لقب كليما بالجرو الذي
اتخذ»، قال مهليل:
فلو نبش المقار عن كليب فيخبر بالذئاب اي زير
بيوم الشعثين لقر عينا وكيف ايااب من تحت القبور
بيجيرا في دم مثل العبير
وهم كام ين مرة قد تركنا عليه القشعان من النسور
والبكري يأخذ على القالي احيانا انه لا يدفق فيما يرويه. من ذلك,
مثلا، حين ينقل عن القالي البس التالي:

(1) المصدر نفسه: ١٣٠٠.

٣٣٥
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق فيلق البكري قائلا:

"هكذا رواه أبو علي، وما يجعل بين الأروى والنعام، كيف يقر على نفسه بالهجران وهو يدعو من شدة الوعد وزفرات الحب ما يدعه، والرواية الصحيحة:

فما ذقت طعم النوم منذ تأتيتم ...

ومن ذلك أيضا: "وقال أبو علي إن أصل المثل في قولهم: سبق السيف العذل، للحارث بن ظالم، وهذا وهم، وانما اصله لضبة بن أدد والمكتول الحارث بن كعب".

غير أن البكري لم يكن دائم التوفيق في استقصائه واعتراضاته.

ويؤخذ عليه في هذا المجال ملاحظات منها:

1 - أنه اخذ على القالي في كثير من الأحيان وقوعه في اوهام يعود أكثرها .. على اشياخ القالي كابن دريد وغيره.

2 - وهناك أمثلة كثيرة على خلاف البكري مع القالي، في غير موضع للخلاف، حين يختار البكري رواية ما ويرفض الرواية التي اختارها القالي مع ورود الروايتين ووجازهما.

(1) المصدر نفسه: 244 - (2) مقدمة اليمني: س.
والبكري يتهم القالي في مواضيع كثيرة بالخلط بين شعرين مختلفين أو تركيب بيت من شطرين متباعدين أو خلاف ذلك من الأوهام التي مرّت لنا حين تحدثنا عن كتاب البكري الذي جعله بعنوان «النبيه على أوهام أبي علي في أماليه». وقد اعتبرت البكري أبابنا لم يستطع تخريجه وردها إلى أصحابها، أو لم يستطع تفسيرها وذكر مناسباتها. وكان في مثل هذه الأحوال يترك فراغًا ليبدل به على أنه هناك خللا لم يستطع أن يصححه أو لم يتسن له ذلك. ولا هذا نجده في النسخة المطبوعة حيث تلقى العبارة التالية: «بقي كلام المؤلف هنا قدر سطرين مبتس في الأم».

ورغم ما قد يؤخذ على البكري من حماسة ومن شحط احيانا في مقالته لعمل القالي، ورغم ما قد يكون في شرحه من غور ونقص وخطأ احيانا أخرى، فانه قد بذل مجهودًا عظيمًا وتفصيلىاعطانًاوفوائد كثيرة، بما يقت من غوامض الأحداث، وما شرح من شتى المناسبات. وكان على الغالب امتنان في عمله، صابرًا في تتبع شوارع العلم والادب والتاريخ واللغة.

2 - ابن السيد البطيسي 2 كتابه «شرح السقط» و«الاقتصاد»

(1) اللاتين: 88.

107
سيرة ابن السيد

هو عبد الله بن محمد بن السيد البطلييوسي نسبه الى بطليوس، ولد فيها سنة أربع وأربعين وأربعمئة (1048 م). ومع أن بطليوس هي المدينة التي ولد فيها وانتسب إليها، إلا أنها لم تكن أساساً مقاماً للاسرة فان «شبل بضته»، ومنها كانت حركة أبيه وحضسه، وفيها كان قرارهم، ومنها نُوّهم وعراهم، ونسب إلى بطليوس، لولدده بها.)1. على أية حال، لنا نملك من الأخبار ما يعيننا على استكشاف نشأة ابن السيد، لذلك لا نستطيع أن نحدد من ترّك بطليوس، ولماذا تركها. وقد توجه أوّل الأمر إلى مدينة قرطبة وسكنها لفترة من الزمن أيام محمد بن الحاج. غير أنه ورّط نفسه بهوجي ثلاثة صبيان من أولاد أحد التنفيذين، وخفى على نفسه منه ففر من قرطبة وخرج إلى بلنسية. 3. }ويسود ان المقام في بلنسية كان أكثر هدوءاً واستقراراً، فلم يضطر إلى الانتقال إلى بلد جديد، بل مكث هناك، وألف به توالبه الى ان توفي

وقد وفاته سنة احدى عشرين وخمسمئة (1127 م).

(1) ازهار الرياح 2 : 300.
(2) انها الرواة 2 : 143، بغية الوقاء : 288.
(3) انها الرواة 2 : 143 144، بغية الوقاء : 288.
(4) انها الرواة 2 : 143.
ودرس ابن السيد في أول الأمر على أخيه علي بن محمد. ثم كان له استاذة آخر حول روى عن أبي بكر عاصم بن أيوب الأديب، وعن أبي سعيد الوراق، وأبي علي الفساني وغيرهم. وقرأ على عبدالله بن محمد بن خلف الدائي.

وقد درس عليه تلامذة كثيرون وعرف بأنه «كان حسن التعليم جيد التلقين ثقة ضابطًا، أخذ الناس عنه واتبعوا به»، وشهر بالاستاذية في النحو والصرف، فكان الناس يقصدونه ويقرؤون عليه ويتقبعون منه.

وقد امتدحه كثيرون وقالوا عنه أنه «النحوي اللغوي صاحب التصانيف والشعر»، وانه «الامام المشهور في اللغة والصرف»، وأنه كان عالما بالآداب واللغات مستبحا فيهما، مقدما في معرفتهما واتقانهما. غير أن آخرين بالغوا في المديح واطنعوا في التثنية فجاء في...

(1) الصلة 1: 282، الدبيج المذهب: 140.
(2) الصلة 1: 282، الدبيج المذهب: 140-141.
(3) غاية النهاية 1: 449.
(4) الدبيج المذهب: 141.
(5) وفات الأعيان 2: 282.
(6) معجم البلدان 2: 447.
(7) غاية النهاية 1: 449.
بنية الوعاة: 288.

339
كتاب المقري القروي في الفقه الحنفي، الإمام الوند، فيه من حيث كان فقد طبق الأوضاع عامة، وعلاها ذكاء وفهمه. وقال عنه ابن خاقان: "شيخ المعارف وامامها ومن في يديه، ومعروف في النواة، ونهاية هو أصول علم الحنا، وطعن بتعيين جوه بعد الصحو، وله تحقيق في العلوم الحديثة والقديمة وتحرير فرقها القوية، ما خرج بعترته عن مضمار شرع ولا تكب عن أصل السنة ولا فرع磊، وواضح أن ابن خاقان يخلط هنا بين علم ابن السيد وأخلاقه، ويحاول أن يبرز معرفته بالعلوم الحديثة دون أن يورث بهجة التنكب عن الدين. ومن اقتباساتنا السابقة نستطيع أن ندرك أن اللغة والدراسات اللغوية هي التي استأثرت باهتمام ابن السيد، ولكنه كان متكيا من الشعر والترسل، ودراسة هذا القدر الكبير الذي يبقى من أدب يخرجهنا إلى غير ما قصدنا له في هذا الكتاب.

ب - شرح سقط الزناد

ذكرت فئة من المترجمين هذا الكتاب، وامتدحه بعضهم وقالوا أن

<table>
<thead>
<tr>
<th>رقم</th>
<th>المصدر نفسه</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>1</td>
<td>أزهار الرياض 3: 105</td>
</tr>
<tr>
<td>2</td>
<td>أزهار الرياض 3: 105</td>
</tr>
<tr>
<td>3</td>
<td>تلالة عثمان: 194</td>
</tr>
</tbody>
</table>

* انظر تطبيق الاستاذ محمد سليم الجندي على هذا الشرح: الجامع في اختراق أبي العلاء المري، وآثاره: 77، ط 1963. 
<table>
<thead>
<tr>
<th>رقم</th>
<th>وفيات الأعيان 2: 282، شدريت الذهب: 603، ابن الرواة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>2</td>
<td>142، كيفية الوعاة: 288، كشف الظنون: 1942</td>
</tr>
</tbody>
</table>

٣٤٠
ابن السيد «شرح سقط الزند لابي العلاء المعري شرحا استوفى فيه المقصد وهو أجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء السقط». ١

١ - وقد رتب ابن السيد قصائد المعري حسب ترتيب المغارة لحروف الإبجديّة. وهذا الترتيب الذي اتبعه أُخرجه إحدى عن ديوان السقط. لعِدد توفر القوافي التي تسند الحروف كلها. وفي ذلك يقول:

"فاحجته لذلك ان أزيد فيه ما يفي بالغرض"؟ وكان لا بد لكي يفي بالغرض أن يزيد القوافي التالية: الهاء، الخاء، الذال، الفاء، الضاد، الظاء، العين، الهاء من غير سقط الزند. ومع ذلك فإنه لم يشرح كل ما شرحه الآخرون من ديوان السقط. بل ترك أحياناً مقطوعات دون شرح كما هو الحال في المقطوعة التي مطلعها:

اعارض مزن أورد البحر ذووه فلما تروّت قار شوقا إلى نجد

٢ - ويتزاّز أسلوب ابن السيد في شرحه انه يعتمد السجع والترادف في العبادات. غير أن هذا السجع ليس متكيّفاً مستقلًا، وإنما

(١) وفيات الأعيان ٢: ٢٨٢. وانظر أيضاً: كشف الظلون: ٩٩٢، شفرات الذهب: ٦٥.
(٢) أن نشر هذا الشرح مع شرحين آخرين اقتضى من المحققين اعتماد أقدم الشرح وبذلك اضطر البتربيت الذي اختاره المؤلف (انظر مقدمة التحقيق، ص: ٨) لـ (٣) شرح سقط الزند: ١٥. ٣٩٠ - ٣٩١.
(٤) المصدر نفسه: ٣٩٠ – ٣٩١.
يأتي مقبولًا إذا قارننا بأساليب الكثيرين من تلك العهد. يقول في شرح
هذا البيت:

وتوق أمر الغانيات فانه
أمر إذا خالفته لم تنتم
"أحسن الفوارس همة من لا غرض له إلا أخذ المغام، وأعلاهم
همة من عرضه اقناع المكلف، فلا ترض لنفسك الا بأعلى المراتب، ولا
تكسب الأنسى المكاسب. واحذر أمر النساء، فإن الميل اليمين يعوق
عن الترقي إلى الرتب السامية، ونيل الخطط العالية". ۱

۳- ويذهب ابن السيد كثيرًا إلى المقارنة بين أيات أبي العلاء
وما يقابلها من أبيات التنبيء، فالمتنبي مال أبدا لعينه، ولها سبان
أولهما أن ابن السيد قام بشرح ديوان أبي الطيب. وثانيهما أن أبا العلاء
نظم سقط اليد وهو ما يزال تحت تأثير التنبيء وطريقة الشعرية. غير
أنه لا يكتفي بعرض السقط على ديوان التنبيء بل يذهب إلى مقارنته
بأشعار شعراء آخرين كلما وجد العناي متقاربة أو يجعل بعض شعره
مفرًا لبعضه الآخر وبذلك يظهر إطلاعه وتعمله في رواية الشعر.

۴- وكان لمدى هذا الشرح من أن يعكس صورة ابن السيد.

(۱) المصدر نفسه ۱ : ۳۲۷ ۲۳۸.
(۲) انظر اعتبار ابن السيد على المقارنة بالتنبي في ص : ۹۹ ، ۱۶۳ ، ۱۶۶ ، ۲۰۸، وغيرها كثير.
(۳) انظر أمثلة من ذلك : ۱۶۶ ، ۲۷۱ ، ۲۷۹ ، ۲۳۹ ... الخ.

۳۴۲
النحو اللغوي، إذ تكرر فيه المسائل النحوية والتعرض للتحقيقات اللغوية. مثال ذلك، حين يشرح بيت أبي العلاء:

ويضحي والحديث عليه شاك وتكفيه مبادإ النزالة
فائه يقول: "يقال رجل شاك في السلاح، منقوص على وزن قاض، وشاك بضم الكاف والتشديد، وشاك بضم الكاف والتشديد، فمن كسر الكاف وجعله منقوصاً مثل قاض ففي وجهان: أحدهما ان يكون مقلوباً من شاك كما قالوا جرف هار، وأصله هار. والثاني أن يراد به شاك، وهو فاعل من الشككة، فأبدلت الكاف الثانية باه، ثم أعله" كما أعل قاض ...

ومن الطبيعي أن يعتمد كل شارح على الاستشهاد بما يقوى
رآيته أو موقفه، ولذا فإن شرح السقط كثير من كتب الشرح مملوء بالشواهد الواضحة من آيات وحاديث وامثال وتفسيرات لفظية واختلافات في الآراء حول اللفظ الواحدة أحياناً، مع ذكر لصاحب الرأي المعتمد.

لا أن نسبة الآراء إلى قائلها قليلة لديه، ومن هذه المواضع النادرة قوله: ".. والبرود الثابث. وقال أبو حامد: لا يقال لها بعود حتى يكون فيها وشي"، وقاله: "والأمرم: الجيف الكثير، في قول الأصمي، والتشديد، في قول أبي عيدة ..

(1) شرح سقط الزند 1: 66. وانظر كذلك: 1: 134، 164، 171، 226، 263، 299، 331، الخ ...
(2) المصدر نفسه: 2: 119، 120، ..
(3) المصدر نفسه: 1: 121، 321، وانظر 1: 241 وموضوع أخرى.
جـ: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب

ذكر أكثر الذين ترجموا لابن السيد كتابه "الاقتضاب في شرح أدب الكتاب"، وقالوا عنه أنه "شرح مفيد جدا". وقد عرّف بعضهم باسم "الاقتضاب في شرح آداب الكتاب" أو "شرح أدب الكاتب". وقد كان ابن السيد أحد شراح الأندلسين كثيرين تناولوا كتاب ابن قتيبة بالشرح، ولا ندرية كم أفاد من شروح من سببه ولكن ابا عبد الله بن خلصة النحوي كتب رسالة ناقض فيها البطيسي واتهمه بأنه أغار على شرح لابن بلال المرسي واتحل له نفسه وسمه بالاقتضاب.

ولسننا نعلم مبلغ الانتصاف في هذا القول ولكن يبدو أنه من قبيل المغايرة بين المتعاصرين. ويتقّع الكتاب في ثلاثة اقسام:

١ - "تفسير خطة الكتاب الموسم بأدب الكتاب" وذكر اصناف الكتابة ومراتبهم وجلما يحتاجون إليه في صناعتهم". 

٢ - "والجزء الثاني في التنبيه على ما غلط فيه وضع الكتاب أو الناسلون عنه وما منع منه وهو جائز". وفي هذا الجزء يتحدث في نكت من هذا الديوان يجب التنبيه عليها والأرشاد إليها".

---

١. كشف الظنون: ٤٧
٢. الدوالج الذهب: ١٤١
٣. بعية الوعاة: ٢٨٨
٤. الكتابة: ٢
٥. الاقتضاب: ٢-٥
٦. المصدر نفسه: ٢٨٦-٢٨٦
٧. المصدر نفسه.
3 - والجزء الثالث في شرح آياته. وهو هنا يتحدث في «مشكل اعراب آياته ومعانيها وذكر ما يحضر ... من أسماء قائلتها».

ويبدو واضحًا في هذا التقسم الهدف التعليمي للمؤلف مزعجا بعلم عالم لا يكتشف بالشرح وإنما يتتبع الخطا حيث وجوده محاولات الوصول إلى الصواب. كما تبدو، في القسم الثاني، رغبة ابن السيد في اظهار فضل الله عليه على ابن قتيبة.

وهذه هي ضروب الخطأ التي تعبّرها:

1 - المواضع التي غلط فيها ابن قتيبة فله هو عليها. ففي باب

» ومن المصادر التي لا أفعال لها) يقول ابن السيد: «ترجمة هذا

الباب مخالفًا للكثير مما تضمنه لأنه ذكر فيه مصادر لها أفعال مستعملة.

فيها قوله: رجل غمر أي لم يجر الامور بين العمارة من قوم أغمار.

وهذا له فعل مستعمل، يقال: غمر الرجل غمارًا على مثال قبح قبحة؟

» ومنها قوله كلبة صارف بيئة الصريف وثقة صروف بيئة الصريف،

فهذا له فعل مستعمل أيضًا، يقال: صرفت الكلبة؟ مثال آخر على

ذلك نجد حين يتتبع تفسير ابن قتيبة لبيت عمرو بن قميّة:

(1) الاقتضاب 2: 287 - 277.
(2) المصدر نفسه: 182.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه.

445
نذكر ما قومي على أن تركتهم سليمي إذا هبت شمال وريحاً

وقال معناه على وضح: 1 يقول ابن السيد: » كذا قال يعقوب في كتاب

المعاني ومنه نقل أكثر هذه الأبواب. وقد غلب يعقوب في معنى البيت

وتابعه ابن قتيبة على غلبه. وليس في هذا البيت حرف ابدل من حرف،

ولما فيه زائدة على ما قال. اننا ابناه هنا بمعنى القسم وما استفهم

في موضوع رفع على الابتداء، وقومي خبره. والمعنى بحق المواد التي

بني وبنك أي شيء قومي في الكرم والجود عند هوب الشمال، يريد

زمان الشتاء« 2.

3- تتبعت اضطراب ابن قتيبة حين يميز في موضوع من كتابه ما

منه في موضوع آخر. مثال ذلك: » وقال في هذا الباب: أغامت السماء

وأغمضت وغيمت، ولم يجز غامت. قال المفسر: قد أجاز في باب

فلمت وأغمضت باتفاق المعنى: غامت السماء وأغمات، ونسي هنا ما

قاله هناك«. 3. مثال ذلك أيضا: » وقال في هذا الباب وهو بثق السيل

وهو ملك يميني. قال المفسر: قد ذكر في باب ابنية الأسماء من كتابه

هذا أنه يقال بثق وبيق وملك ومِلك، ونسي هنا ما قاله

هناك«.

(1) المصدر نفسه: 256 257 258.
(2) المصدر نفسه: 257. وانظر: 250 ومواقع أخرى كثيرة.
(3) المصدر نفسه: 132.
(4) المصدر نفسه: 132 188 189 190 191 194.
195 الخ.

346
3- أشياء جعلها من لحن العامة "وعول في ذلك على ما رواه أبو حاتم عن الأصمعي وأجازها غير الأصمعي من اللغويين كأبو الاعرابي وأبي عمر الشيباني ويوسف وأبي زيد وغيرهم. وكان ينبغي له ان يقول إن ما ذكره هو المختار أو الافصح، أو يقول هذا قول فلان، ولكن لا يوجد شيئًا وهو جائز من أجل انكار بعض الغويين له، يقول ذلك رأي غير صحيح ومذهب ليس بسديد". ومن أمثلة هذا النوع من انواع التبع: "وقال في هذا الباب -باب ما لا يهم والعوام تهمه- علقت الدابة، ولم يجز أعلقتها. قال المفسر: قد حكى أبو سحاق الزجاج، علقت الدابة وأعلقتها. مثال ذلك أيضاً في "باب ما جاء بالصاد وهم- يأ العامام- يقولونه بالسين": "وقال في هذا الباب -بخصوص عينه بالصاد ولا يقال بخصتها- انا البخس النقاد، وذكر صنعة الميزان والصماخ والصندوق وقص الرجل ورق، ولم يجز السين في شيء من ذلك.

قال المفسر: هذه الاشياء كلها تقال بالصاد والسين. حكى ذلك الخليل وغيره. فاما البخس الذي يراد به النقاد، والسنة التي يراد بها مشاقة الكتان فباسين لا غير".  ولاحظ ان ابن السيد في هذا المثل الآخر. وفي أمثلة أخرى كبيرة، يتجلى على ابن قتيبة ويتجلى عليه بروايات شاذة. وابن السيد نفسه يعرف بذلك في عدد من المواضع، ففي

(1) المصدر نفسه: 16.
(2) المصدر نفسه: 193.
(3) المصدر نفسه: 204.  وانظر كذلك في هذا المجال: 196، 198، 199، 200، 202، 203، 204، 206، 207، 213، 216، 218، 264، 265، 347.
باب ما جاء بالسين وهم — أي العوام — يقولونه بالصاد : « قال 
في هذا الباب: اخذته قسرا ولا يقال قسرا. وقد قصره أي حبصه.
ومنه: حور مقصورات في الخيم، فاما القصر فهو القهر. قال المفسر:
هذا الذي قاله هو المشهور. وقد حكى يعقوب أخذته قسرا وقصرا
بالسين والصاد بمعنى القهر ١. فذكي ذكره ابن قتيبة، إذن، هو،
باعتراف ابن السيد، المشهور.

٤ — النوع الرابع والأخير من أنواع الخطأ التي يتبعها ابن السيد
تلك المواضع التي وقعت غلاة في رواية أبي علي البغدادي. « فلا أعلم
أهي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه » ٢. وقد اشرت اليدا في
الفصل السابق ومن أمثلتها أيضا، ما جاء في « باب النبات » ٣ : « وقال
في هذا الباب: الزرجون الكرم، وقال الأصمعي: هو الخضر، وهو
بالفارسية زركوز، أي لون الذهب. قال المفسر: كذا روي أبو علي
البغدادي زركوز بتشديد الراء. وقال كذا اقرأه أبو جعفر ابن قتيبة.
والصواب تسكنها، ومعنى زر: ذهب، ومعنى كون: لون، كأنه
قال: لون الذهب » ٤.

(١) المصدر نفسه : ٢٠٣ .
(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .
(٣) المصدر نفسه : ١٢٨ .
(٤) المصدر نفسه : ١٣٩ .

٣٤٨
ومن خصائص الكتاب أنه:

١ - في كل هذا يسير وفق ترتيب ابن قتيبة فيتبعهبابا بابا: « وآنا
شارع في تبني جميع ذلك وترتيبه على أبواب الكتاب ، بحسب ما أحاط
به علمي وانتهى إليه فهمي ».

٢ - ويأتي ابن السيد بالعبارة التي يعترض عليها ثم يصفها بعبارة
"قال المفسر " - كما شاهدنا في الأمثلة السابقة - موردا موضوع
الاعتراض.

٣ - وابن السيد رد الأقوال والآراء إلى أصحابها، لذلك فإن
الأسماء تتردد كثيرا: « هذا الذي قاله ابن قتيبة هو المشهور عن
الأصبع وغيره من اللغويين، وقد حكي أبو زيد الأنصاري وذكر قاسم
ابن أصبغ عنه يقال: تصدق إذا سأل. وحكي نحو ذلك أبو الفتح بن
جني، واندلد:

ولو أنتم رزقوا على أقدارهم ألبنت أكثر من ترى تصدق
وذكر ابن الانباري أيضاً في كتاب الاضداد أن المصدق يكون
العطي ويكون السائل، وحكي نحو ذلك صاحب كتاب العين ..».

وهذا الحشد من أسماء اللغويين يصحبه، ولكن في أحيان قليلة نسبياً،

(1) المصدر نفسه: ١٠٦.
(2) المصدر نفسه: ١١٠.

٣٤٩
ذكر لاسماء المؤلفات، كما وجدنا في المثل السابق، وكما يمكن أن نجد
في مواضيع أخرى.

وتتردد عبارة «بعض اللغويين» ۲۰ او «غيره من اللغويين» ۳.

۴ - وربما كانت اهم ظاهرة تنظم هذا الكتاب تلك التي تتعلق
بالتحقيقات اللغوية وال نحوية والصرفية. فابن السيد لا يترك فرصة
تمر دون ان يسجل ملاحظة نحوية او صرفية، او يسجل او يشرح ظاهرة
لغوية. وتبدو لنا هذه الناحية في أول كلمة يقولها: « قال أبو محمد
عبدالله بن مسلم بن قتيبة، اما بعد حمد الله بجميع محامده: أما حرف
خبر يدخل على الجمل المستأثنة، وتتضمن مغني حرف الشرط والفعل
المشروط به ولذلك احتاج إلى الجواب بالتفا، كما يجاب الشرط ۴.

ومثال ذلك أيضا: « ملف بفتح الميم وكسر اللام لأنه مكان للإعتلاف
وكل فعل على وزن فعل يفتح بفتح العمر من الماضي وكسرها من
المستقبل فان اسم المكان والزمان منه مفعل بكسر العين كالمضرب
والمحس». ۵.

۱ (انظر مثالا: ۱۴۴۰، ۱۷۸، ۱۴۵، ۱۸، ۱۸۸، الخ).
۲ (الصدر نفسه: ۱۴۰، وغير ذلك من المواضع).
۳ (الصدر نفسه: ۱۱۰، وغير ذلك من المواضع).
۴ (الصدر نفسه: ۲).
۵ (الصدر نفسه: ۱۱۶ وانظر كذلك: ۱۸۸، ۱۷۸، ومواضع
اخرة كثيره).
وى نستطيع أن نجد، ها هنا أيضاً، مجالاً للروايات والأخبار والطرائف. ومع ذلك فإن المجال لم يكن واسعاً في القسما الأولين وانما معرض ذلك الصالح له هو القسم الثالث حيث شرح الشوهد، والحديث عن مناسباتها ونظائرها، وما إلى ذلك.

(1) الاتجاه إلى التأليف المعجمي
ابن سيده ومعجنه: المخصص والحكم
1- سيرة ابن سيده
ربما كان ابن سيده من أكثر علماء اللغة الأندلسين الذين لاقتوا شهرة واسعة، وانتشار مؤلفاتهم في الأندلس وخارجها. وسوف يظهر لنا مدى استحقاقهم مثل هذه الشهرة أثناء البحث في حياة هذا العالم الجليل ومؤلفاته. يكفي أن نعلم هنا يقول صاحب المغرب: لا يعلم بالأندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة، ولا أعظم تواليه، تغير مراسمه به أعظم فخر، طرذت به برد الدهر، هو عندي فوق أن يوصف

بحافظ أو عالم ١٠٠

اوردت المصادر اسم أبيه وجهة فحسب فهو علي بن اسماعيل بن
سيده. حتى بالنسبة لاسم جده فليس من الواضح تماما هل هو
جهد المباشر أم هو أحد الجدد البعيدين؟

على أي حال فان اسم جده أو لقبه يمكن أن يشير إلى اصل هذا
العالم. وابن سيده لم يكن في الغالب من أصل عربي، بدلاً من
الأولى، انقطع سلسلة النسب عند أبيه أو جده على الأكثر، والثانية،
هذه الصيغة "سيده" فانها أقرب إلى أن تكون اعجية. "وسيده
بكسر السين المهملة، وسكون الياء المثلثة من تحتها وفتح الدال المهملة
وبعدها هاء ساكنة" ٢.

ومع أن أكثر المراجع روت أنه علي بن اسماعيل، فان مراجع
أخرى روت بأنه علي بن احمد، والرواية الأولى أشهر. وهناك من ذكر
الأسئلة، وأورد آخرون أن اسم أبيه مجيد. 

ولم يذكر المؤرخون صراحة البلد الذي ولد فيه ابن سيده، ولكن
اتفق أصحاب التراجم على أنه من أهل مرسية. ومن العسير أن نجزم
بأنه ولد هناك، غير أنه ليس عندنا من الدلائل ما يشير الى ولادته في

(1) المرب ٢ : ٢٥٩.
(2) وفيات الأعيان ١ : ٣١، شدائد الذهب ٣ : ١٣٦.
(3) مطمح الامتناس : ٦، نفح الطيب ٤ : ٣٥١، جذوة المتنبئ.
(4) أباه الرواة ٢ : ٢٣٥.
(5) بنية الوعة : ٣٧٧، نكت الهيمان : ٢٠٤.

٣٥٢
غير هذا المكان. والاخبر عن والد هذا العالم تذكر بأنه «من اهل مرسية» ۱. إلى جانب تلك الحادثة المشهورة بين ابن سيده وأبي عمر الطلمبكي التي وقعت هناك.

ويمكننا بصورة تقريبية أن نحدد سنة ميلاده. فلقد توفي، حسب الرأي الغالب، عام ۴۵۸/۱۰۶۶، وافق أصحاب التراجم الذين ذكروا سني حياته أنه عاش ستين سنة أو نحوها؟. وبذلك نستطيع أن نقول أن مولده كان في حدود عام ۳۹۸/۱۰۰۸.

وأما الإخبار عنه فإنها قليلة للغاية. وهي لا تناسب قط مع الشهرة الواسعة التي نالتها مؤلفاته العظيمة. والواقع أنه ابن بيئة مثقفة. فابنه من قبل كان عالماً، وقد تعلم الفقه، أول ما تعلم، على يديه.

وهناك خبر أو خبران يظهران صورة عنه بعد أن يكون قد استمر عليه وذاع امره. فلؤى صورة نعرفها عنه، صورة العالم الحافظ المشهور، الذي يعتر به أهل مدنته ويفاخرون به الزائرين من العلماء. والرواية التي رويت على لسان أبي عمر الطلمبكي تبرز هذا الجانب من شخصيته: «وقال أبو عمر الطلمبكي: دخلت مرسية فتبثت بي اهلها يسمعون على الغريب المصنف فقلت: انظروا من يقرأ لكم، وأمسكت

(1) ابن بشكوال ۱: ۲۰۵.
(2) أنياه الرواة ۲: ۲۷، نكت الهميان، الصفدي: ۲، بفية الوغاة: ۳۷۲، شذرات الذهب: ۳، ۰۵.
(3) أنياه الرواة ۲: ۲۷۲، بفية الوغاة: ۳۷، نكت الهميان: ۲۰۴.

الحركة اللغوية: ۳۰۲
انا بكتابي، فأنتوني برجل اعى يعرف بابن سيده، فقرأه علي من أوله الى آخره، فحسب من حفظه 
وقت أوردت المراجع هذه الرواية بصورة مختلفة.


وهناك ناحية من شخصيته تعرض لها واحد فقط من الترجمين هو ابن حجر العسقلاني صاحب لسان الميزان، فأنه ينقل عن السعيب بن حزم قوله: «انه كان يرى رأي الشعوبية فيض العجم على العرب» 5. ولا تعرف بالضبط ما لهذا الكلام من قيمة، لأن الرواية بهذه الصورة غير وافية بالغرض، وهي رواية لم تكفر عند غيره من العلماء، فيما أعلم - ولكن على كل حال ربما كان مثل هذا التفضيل، لو وجد 6.

(1) نفح الطيب 4: 351
(2) المصدر نفسه، وذكر ذلك أصحاب الترجمات الآخرون الذين ترجموا لأبن سيده أو ترجموا لأبيه.
(3) ابنا الرواة 2: 225
(4) طبقات الأئمة 77
(5) لسان الميزان 4: 206

354
سبيبا آخر يدعونا إلى الاعتقاد بأن ابن سيده غير عربي الأصل. ومع ذلك فاختار يخفي الظروف التي برز فيها مثل هذا التفضيل، فربما كان الأمر لا يتعدي رد فعل لحادثة معينة أو لأكثر من حادثة. وذلك لا يعني، بطبيعة الحال، تصيغ تيمة الشعورية به.

وآننا لنلخ في حديث ابن سيدة اعجبا شديدا بنفسه، كما تلمح فيه حدة في الحكم على الناس، وذلك واضح في أرجوزته. فهو امرؤ قليل الحلم، سريع الغضب، شتام، هجاء لاذغ النقد إذا تحدث عن نشأته، قال إنه نشأ "بين أئناس لولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحس ما حكمت عليهم بالحيوانة".

وأوضح مرحلة من مراحل حياته هي تلك التي تصل فيها بمجاهد العماري متمتننا عن وطنه الأصلي إلى دانية. وقد كان المتوقع أن يكون لجوءه إلى كنف أمير مثل مسجد مخففا لما في نفسه من نقد على الناس، ولكنه كان يحس بالقلق الشديد وتزاوت الحظوظ فهو يصف موطنه الجديده بأنه "سياح ذفة وشطان بحار ذفة، دشر بلاد الله غربة وأبخش عنصرين: هواء وتربة". ثم نجد ينحو على الناس فيما بأنهم شديد الخصومة "لا تسمع منها الا تسير كذا كذا ... يتطرفون على الدرهم والدينار ولا يتوقعون قبح الأحاديث ولا انتشار العار".

ويظهر أن يجدهم منمنمين بالقيان والجنان والقصور: كل هذا مع

(1) الحكم: 16
(2) الصدر نفسه.
(3) الصدر نفسه: 17
لا بالا إلى تقبل راحتك اليمنى سبيل فان الامن في ذلك واليمنا فعفا عنه، و وقع له الرضى عنه عند وصوله إليه، فرجع. ويبدو أن انقطاعه إلى الموتى افاده من الناحية العلمية كثيرا، إذ اتاح له من التفرغ وكفاية العيش ما جعله يهتم بآمور التأليف. فأنه في دائنة ادرك امانيه فائر تجرده للعلم وفرعه وترفه بتلك الإراغة ولا سيما كتابه المسمى بالمحكم ''فأه ادع كتاب في اللغة وأحكام''.

وقد كان لابن سيدح حظ في الشعر، ولكن لم يبق من شعره الا قصيده التي استعطف فيها اقبال الدولة، ولا أرجوزته.

وقد أدرك ابن سيدح منيته بداية (م/ن: 58/1966) يبدو أنه مات مفجعاً : "كان يوم الجمعة صبحاً سويا في صالة المغرب فدخل المتوضأ وأخرج منه وقد سقط لسانه وانتقطع كلامه وبقي على تلك.

(1) مطلع النفس : 61، وائرئ نكت اليمنا : 4.
(2) جزيرة المنبج : 293، مطلع النفس : 61، نكت اليمنا : 4.
(3) مطلع النفس : 61.
الحالة الى عصر يوم الأحد، ثم قضى نحبه ¹.

أول ما تلمذ ابن سيده على ابنه. وكان والد ابن سيده «مغن النحاة ومن أهل المعرفة والذكاء» ². وكان له اتصالات علمية إذ قيل إبا بكر الزبيري وأخذ عنه خصصر العين. وقد اتفق العلماء على أن ابن سيده روى عن ابنه، وبعض الترجمين يجعلون زمن هذه الرواية أيام نشأة الفتى ³. ونحن نعلم أن ابن سيده ولد في نهاية القرن الرابع للهجرة ومات أبوه بمرسية بعد الاربعين سنة. فالقرن التي درس فيها على والده ليست طويلة فيما أرجح - ويمكن القول باته اخذ عن والده وهو صغير، ثم تركه أبوه ينثقي المزيد من العلم على آخرين.

ويتكرر في المؤلفات ذكر اثنين من العلماء أخذ عنهما، وهما: أبو عمر الطلمانكي وصادق بن الحسن البغدادي. وقد يتوقع المرء ان يكون هناك آخرون. غير أن المؤلفات تثبت ادعاء ذلك وتكتفي بأن تقول: 

وقد روى «عن ابن صادق الطلمانكي وصادق اللغوي وغيرهما» ⁶.

وقد تحدثت عن صاعد في ما مضى، إما أبو عمر الطلمبكي (۳۰۰ – ۲۹/۴۲۸/۹۲۸ – ۱۳۹۶). فهو محدث مفسر وقارئ. ارتجل إلى الشرق ثم عاد إلى قرطبة يدرس فيها، ثم انتقل إلى المرية فمرسية فسرقتة. ويبدو أن إبا عمر هذا لم يكن يمتاز بعلم الحديث والتفسير فحسب وإنما كان كذلك عالما لغويًا مقتدرًا، يدانا على ذلك طلب الناس لصفات اللغة عليه واشتهره بذلك. وربما ساعد على امتيازه في العلوم الدينية ورعه وشدة على البدع. وقد توفي أبو عمر الطلمبكي في طلمبكة. وكان أول اتصال بين ابن سيده وبيته يوم أن دخل أبو عمر مرسيًا وكانت له تلك المقابلة مع الحافظ الأعمي.

وأكثر ما اشتهى به ابن سيده اللغة والنحو، حتى عد إمامًا حافظًا حجة فيها. وقد ظهرت هذه المقدرة في معجمه المشهورين: المحكم والمخصص. غير أنه كان له ضروب أخرى من الاهتمام، من ذلك الأشعار وأيام العرب؟. واهتمامه بالشعر هو جزء من اهتمام العصر، وقد برز ذلك في كتابه «الواقي في علم القوافي»، وفي شرحه للحماسة. وأما أيام العرب فلا تعني أنه اهتم بالتراث بالمبنى الدقيق، وإنما كانت له معرفة بشيء من أخبار العرب وأحداث حياتهم.

وقد وجد شيئا من غنايته إلى المنطق، «كان مع توفره على علوم العربية، متوافرا على علوم الحكمة والمفاهيم وتواضع كبيرة»، وذلك

(2) بعثة، الواحة: ۲۷۷.
(3) نكت الهمايون: ۲۰۸.
(4) الصدر نفسه: ۲۰۴.

۳۰۸
شيء قد ذكرته في غير هذا الموضوع، ويصعب في الواقع البحث في هذا الأمر لأحدها التوابع الكثيرة لم تصلنا، واننا وصلتنا كتب اللغة.

(1) ممن النصوص الهامة هذه القطعة من الأرجوزة التي تحدثت عنها في بيت المؤلفين، ومؤلفاتهم بهذا القرن، هي بين لنا، يربان ابن سيد، ثقافة هذا العالم، والاسطورة الدينية الذين درس عليهم والنصوص والمطابع التي قرأها: انظر مجلة الشرق العدد 36:

190 - 191.

وقبل ست، ثم عندى أجمع نظر في حقائق التأويل الذي أخذنا، ولا يزال سلام تركيا، الجماعة إذا اذكر كل ذلك، عندي قرارات كتب كل جيد ناج، اوضح به للكثر القرآن، من الفقه الطمنكني أحمد عليه، دون كبل مطلوبًا رواية، فعلى لي فحاري جميعها في بقتي، وقيد للغة الفعال فيما عليه، كان فيه جيد حبر بارع في كتب الصفات والاسماء، حتى أتار فجراً، وصاحبًا رواية، فسمد في الحفاظ، من تمرد الشريزي أحمد ذي الفهم، والشوقية الفارسي وابنه عثمان وكل شمار لهم روبرت، ومن برم حقيقة مظلمة.

ومن هذه الإيات، بظهر لنا اهتمام ابن سيد بمختلف العلوم، فللقد درس الفقه والحديث واللغة والمنطق علماً. وعدد لنا شيوخه الباشري وغير الباشريين من العلماء الأول، وذكر لنا كيف أنه بعد العلم طفلاً في الرابعة، فلما تابم السادسة كان قد امت حفظ القرآن، ثم تحوت إلى العلوم الأخرى، وتجد الإشارة هنا إلى أن كتاب سبييله كان لا يزال، في هذا القرن، المتمد الأول للدارس الفقري.

309
وقد خلط المشارقة بين مؤلفاته ومؤلفات ابن سيد الذي عاش في القرن الرابع، فعدت في مؤلفاته ما نسبته من قبل إلى هذا الثاني، من ذلك: شرح كتاب الإخض، والعالم والمتعلم على المسألة والجواب، والعالم في اللغة على الاجناس، وغير ذلك، ولذا كان الاعتماد في سرد أسماء كتبه على المشارقة كالصفدي وابن حجر والسيوطي أمراً مورطاً في الخطا.

ب - المخصص

ج- النادي إلى التأليف

عجب ابن سيد بالمؤلفات اللغوية التي كتبها قبله غيره، ولم يجدها كاملة. فقال: "تأملت ما الله القائم في هذه اللغة العربية الفصحى وصنفوه تلقائيا. هذه اللغة المشهورة قسمتهم قد اورثونا بذلك فيها علمها نقيماً جريحاً، واقتراحنا لنا منها قلباً خفياً غير ذمة إلا أني وجدت ذلك نشراً غير ملتمس وثمراً ليس بمنتظم، إذ كان لا كتاب نعلم به الا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه. ثم اني لم ار لهم فيها كتاباً مشتملاً على جلها فضلاً عن كلها، مع اني رأيت جميع من مديتي تألية يداً واعفا في توطئتها وتصنيفها منهم ذهنا وخلا قاد حرموا.

(1) طبع الكتاب بمسير - الطبعة الكبرى الأميرية في 17 جزءاً 1316/1899 - 1421/1904.
الارتياض بصناعة الأعراض ولم يرفع الزمن عنهم ما أسلد عليهم من كنف ذلك الحجاب» (1). ويبدو لنا ابن سيده من هذا النص معجبًا بنفسه، يتبع سقات غيره من اللغويين: «فانا نجدهم لا ينيون منها انقلبت فيه الآلة عن الياء مما انتقلت الواو فيه عن الياء ولا يحدون الموضوع الذي انقلب الآلة فيه عن الياء أكثر من انتقلها عن الواو مع عكس ذلك، ولا يميزون مما يخرج على هيئة المقلوب ما هو منه مقلوب وما هو من ذلك لسنا، وذلك كجذب وجذ نويس وأيض ورأى وراء وناحه مما استراح في مووضعه مفصلًا محتجًا عليه. وكذلك لا يبكون على ما يسمعونه غير مهموز مما أصله الهمز على ما ينفغي ان يعتقد منه تخليفا قياسيا وما يعتقد منه بدلا سماعيا ولا يفرقون بين القلب والاباد ولا بين ما هو جمع يكسر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع وربما استشهدوا على كلمة من اللغة بيبت ليس فيه شيء من تلك الكلمة ...» (2).

ولما كان أمر الكتب اللغوية والمجامع السابقة على مثل هذه الحال فقد أمل ابن سيده في ان يقدم لنا شيئا يسد النقص: «فاضرأت نفسي عند ذلك الى ان اجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط الي من اللغة إلا ما لا بال له، وان أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليها وأحكم في

(1) المصدر نفسه.
(2) المصدر نفسه.

361
ذلك تشريعها وتأصيلها. وان لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه وتركها على ما ودعوه تحيرا أقيمه وأرهنه وتعبرا انتبه وأزخره» 1.

وتأليف الكتاب داع آخر، يقول ابن سيده: «وبين قبل ذلك لم وضعته على غير التجنيس بأتي لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مجنسا لأدلب الباحث على فضلة الكلمة المطلوبة أدرت أن أعدل به كتابا أضعه موبة حين رأيت ذلك أجدى على القصيم المدره والبلين الفوهة والخطيب الصقلي والشاعر المجيد المدقع ، فانه إذا كان للمسمي اسماء كثيرة وموضوع أوصاف عديدة أتيت الخطيب والشاعر منها ما شاء واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية على مثال ما نجده نحن في الجواهر المحسمة» 2.

وهذا بطبيعة الحال هو الدافع الأول لتأليف الكتاب. غير أن ابن سيده يبع كلامه هذا بحديث يبرز فيه ما يزعم أنه فضل مجاهد العامري في التأليف. ويطلب ابن سيده انتباه شديد في وصف ما لمجاهد من شجاعة وقوي وروعة، وعلم أيضا: «لم تزل العناية بالعلم قدش ومجالسة المئة من حملته وكده حتى فاق كل بارع فلكه وناظق قثله».

1. المصدر نفسه 1: 8.
2. المصدر نفسه 1: 10.

362
فأخبر العلم من الفساد إلى الكون ومن العدم إلى الوجود كما فعل ذلك في غيره من أجزاء القضاة التي اكملت به القلوب وأصبحت إليه النفس كالكرب والعدل والعنف .. ۱. ولا يقف الأمر عند حد التشجيع، كما يقول ابن سيده، وإنما يتجاوز ذلك إلى التعليم والارشاد .. هداني سواء السبيل إلى علم كيفية التأليف وأراني كيف توضع قوانين التصرف وعرفني كيف التخلص إلى اليقين .. ۲. الواقع أن مثل هذا الكلام، وهو قليل من كثير، لا يمكننا أن نأخذ مأخذ الجد. فأولاً، ابن سيده اخبرنا عن السبب الحقيقي للتأليف، وذلك أن حاجة في نفسه تحركت بعد ما رأى من نقص في الكتب السابقة، فحاول استكمال هذا النقص. والكتاب نفسه، ثانياً، يصبح على منوال« الفريق المصنف » يدلنا على أنه من عمل ابن سيده وحده بغير ارشاد ولا نصائح.

۲ - منهج الكتاب

(۱) ينقسم المصنف إلى كتب يبحث كل منها في موضوع محدد، أو على الأقل، كان يفترض أن يبحث في موضوع محدد: « كتاب

۱ 

۲ 

۳ 

۱) المصدر نفسه ۱ : ۹ . 

۲) المصدر نفسه . 

۳۶۳
خلق الإنسان، كتاب الغرام، كتاب النساء، كتاب الخيل، كتاب الأبل، الخ. (ب) وتتيمت هذه الكتب من حيث المبدأ إلى أبواب. غير أن هذه أبواب قد تتباين طولاً، فبينما نراها أحيانا تقتصر إلى نصف سطر، نراها في أحيان أخرى تشغل صفحات كثيرة. على ان هذا التقسيم ليس دقيقا دائماً. فقد يأتي الباب مستقلا عن الكتاب تصرف تحته موضوعات مستقلة. ومصلح باب لم يرد في كل حالة، بل كثيراً ما كانت ترد عناوين كثيرة دون أن تميز، ثم يميز عنوان لاحق بالمصلح باب أو أبواب دون ان يكون لهذا العنوان أهمية خاصة تفرده دون ما سبقه من عناوين. فهنا كتب اللباس مثلما ترد بعده العناوين التالية: عامة الثياب، الرقيق من الثياب، الكثيف من الثياب، المرآب من الثياب، ثم يأتي بعد ذلك باب المخطط من الثياب، فظبيعي ان المصطلح باب هنا لا يميز بشيء هذا العنوان.

المصادر:
1. المصدر نفسه 2. 148.
2. المصدر نفسه 3. 154.
3. المصدر نفسه 4. 135.
4. المصدر نفسه 5. 2.
5. المصدر نفسه 6. 86.
6. المصدر نفسه 7. 146.
7. المصدر نفسه 8. 130.
8. باب الفصاحة 2. 112، أبواب النسب 3. 136.

364
عما سبقه. ومن هنا فإن هذا المصطلح يعتبره الكثير من التشويش والفوضى، ويزده تشويشاً أن المؤلف ربما ترك بابا من غير أن يميزه في حين أنه يعرف عمداً سبقة من أبواب.

(٢) وقد جعل ابن سيده المفردات تدور حول فكرة ما أو موضوع ما أو أسماء متعددة لسمى واحد، ويورد في هذا المجال المفردات جميعها التي يرى أنها تدخل في موضوعه. وبنا الكتاب على حسب الموضوعات ليس من ابتكار ابن سيده. ولقد لجأ إلى العرب إلى هذه الطريقة منذ أواخر تابعهم إلى ضرورة جمع اللغة. فكان اللغوي منهم يذهب إلى البادية ليقابل الاعراب، أو يأتي الاعراب إليه ليقابلوه. وكان حينئذ يلجه إلى جمع اللفظ والشواهد التي تدور حول موضوع واحد. من هؤلاء اللغويين الأصعي في كتاب الغيل، مثلًا.

(٣) وربما كان كتاب النضر بن شمبل (٢٣٠/١٩٨) من أوائل الكتب العامة، التي لا تختص بموضوع خاص، فقد قيل عنه: "هو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب: الجزء الأول يحتوي على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النساء. والجزء الثاني يحتوي على الأخبة والبيوت وصفة الجبال والشعاب والأمتنة. والجزء الثالث لالبل فقط. والجزء الرابع يحتوي على الفن، والطير، الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والالبان، والكماة، والآبار، والحياض، والغيل."
(6) ولعل كتاب «الغریب المصنف» اکثر الكتب تأثیراً في ابن سيده

في تأليفه للمخصص، وقد رأينا كيف كان قادرًا على روايته منذ أول

عهده بالعلم، وبتنه القديم إلى ذلك فقال ابن خير: «ولكتاب

المخصص في اللغة، مرتب كالغریب المصنف» (2). وقال القاضي صاعد:

كتاب المخصص مرتب على الأبواب كغریب المصنف» (3).

وقد اعتمد ابن سيده في كله باب من الأبواب على ما ألف في

ذلك الباب لمؤلف أو أكثر. وكان من نتيجة ذلك أن كثر ورود اسماء

بعينها في الأبواب، وقل في أبواب أخرى، ثابت مثل وهو صاحب

كتاب في خلق الإنسان» (4)، يتردد ذكره كثيرا في الجزء الأول الذي

يدور حول هذا الموضوع، ولكنا سنجد صعوبة بالغة في العثور على

اسمه في الأجزاء الأخرى من المخصص.

1) فهرست ابن التدین: ۵۲ ، وفيات الأعيان: ۲۱۴.
2) فهرست ابن خير: ۵۵، ۶۲.
3) الأصح على الأغلب: كالغریب.
4) طبقات الأمام، القاضي صاعد الإندلسي: ۷۷.
5) طبع في الكويت ۱۹۶۵ بتحقيق عبد الستار أحمد فراج.
(ز) وينبؤ المؤلف في مقدمة كتابه إلى طريقته في التأليف فيًفخصها بقوله: "تقديم الأم فالأعم على الأخص فالأخص، والاتيان بالكلمات قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر والتفقيبة بالاعتراض على ما يستحقه من التقديم والتأثير، وتقدمنا كم على كيف، وسيدة المحافظة على التقييد والتحليل، مسال ذلك ما وصفته في صدر هذا الكتاب حين شرعت في القول على خلق الإنسان، فبدأت بتنقله وتكوينه شيئًا فشيئًا ثم ارتفعت بكلية جوهره، ثم طوائفها وهي الجواهر التي تألف منها كلية، ثم ما يلحقه من العظم والصغير، ثم الكيفيات كالألوان إلى ما يتبعها من الأعراض والخصائص الحية والذمية". ١

٢- خصائص كتاب المخصص

أ- الاستطراد وتوارد الخواطر:

لم يبدأ ابن سيد في مجهره هذا من آفة ذلك الزمان في الاستطراد وعدم التقيد بصلب الموضوع، وكان هذا الاستطراد يجره ما يرد على فكر ابن سيد من أمور مجانية أو أمور مناقضة. وقد بدأ الحديث عن الطعام، وينتهي في آخر الباب بحديث عن المساكن. ٢

(١) المصدر نفسه ١، ١٨
(٢) المصدر نفسه ٤، ١١٨
(٣) المصدر نفسه ٥، ٢

٣٦٧
غير أن هذا الاستطراد ليس في الموضوعات فحسب وانما هو في الألفاظ وفي التفصيلات عامة. فان كلمة ما قد تذبحه إلى كلمة مشابهة أو مناقضة، وان صفة ما قد تذكره بصفة أخرى لوصوف آخر.

ب- ظاهرة الجمع:

من الظواهر البارزة للغاية في تأليف الكتاب جمع التفاسير المتعلقة باللغة الواحدة ورصفها بصورة من الصور. وقد تأتي المادة بهذه الصورة مناقضة بعضها للبعض الآخر وقد تأتي متممة أو مؤيدة:

القطوطي الذي يقارب المشي من كل شيء يقطو في مساحته نشاطاً ومرحاً وبغى، ويقطو يقارب الخطو، والآتي قطوطاً فأما وزنه فذهب أبو عبد إلى إنه فرعولي وأما سبيهه فذهب إلى أنه فطعل وذهب غيره إلى أنه فعوعل 1. لقد اختفت الآراء هنا وتناقضت النتائج، ولكن قد تأتي الآراء متممة فيكون كل واحد منها جزءاً من الحقيقة: "ابن دريد: يقال للاحتم منطقية وقد نبت الذ رجل اذن الرجل انطبها نطبها ضربتها.

ابن السكين: رجل اعراض بين الرعونة احتم. وقد رفع رعونة ورغابة ورغاتنا 2. وما يؤيد بعضه بعضاً، "ابن السكين: عند الرجل عينا: اصبه بعين فهو معين ومعيبون، وأنشد:

(1) المصدر نفسه 10: 8. 0.
(2) المصدر نفسه 3: 49. 0.

368
قد كان قومك يحسبونك سيدا، وأخبار أنك سيد معيون
وهذا مطرد وانما ذكرته لتفرقة، وذكرها الزجاجي وذلك أنه قال:
المعين: المصاب بالعين، والمعيون: الذي به عين».

ج - التحقيقات اللغوية والصرفية:

يميل ابن سيده إلى إبراز الناحية الصرفية في معجمه، ويجمع لنا
الآراء التي ذكرت في مادة من المواد، ذاكرًا بناء اللفظة وأصلها
ومشتقاتها: «سادهم يسودهم سيدة».
ابن جني: واستادهم، أبو
عبيد: وقد سودته... والسعود: فعل منه، وقال: ساودني فسدته
من السيادة... وليس هذا بمطرد عند سيبويه، وقالوا سيد وسائدة.
صاحب العين: رئيس القوم، كبيرهم، والجمع رؤساء وريساء.
قال
علي: ليس لرئاسة عندي وجه البتة، الا أن تكون الهمزة في رؤساء
أبدلت ووا ابداً صحيحاً ليس على حد جون، ثم قالت الواو لغير علة
الآله الخفية، ثم قالت الضمة كسرة لمكان البناء».

د - صعوبة العثور على اللفظة المطلوبة:

ليس من السهل البحث عن كلمة من الكلمات في هذا المعجم
الكبير، والواقع قد يكون ذلك مستحيلًا في كثير من الأحيان، إذ ربما

(1) المصدر نفسه 1: 121.
(2) المصدر نفسه 1: 158 - 160.

الحركة اللغوية 24
369
عثرت على لفظة في مكان لا تست إلى موضوعه بصلة. وقد زاد المشكلة صعوبة مناطق الاستطراد وعدم وجود منهج دقيق.
غير أنه يمكن اعتذار عن ابن سيده، أين الكتاب لم يتوفر
لبحث فيه عن الألفاظ المرفقة، وإنما كما ذكر هو في مقدمة كتابه فقد ارتد إثراء المادة المتكررة للأدب وتسهيل الأمر عليه بجمع هذه المادة له
مبوأة حسب الموضوع الذي ينظم شعره فيه أو يديج خطبته.
هـ شخصية ابن سيده غير واضحة:
كان من نتيجة تراكم المواد وأسلوب الجمع الذي اتبعه أن كان المعجم ناطقا بأسماء اللغويين الذين اخذ المؤلف عنهم، وليس باسم المؤلف نفسه. وربما كان السبب في ذلك أن اللغة، عندني، تأخذ عن الأعراب، وقد كانت الأندلس غير قادرة، لذلك، على الإدلاة بدلاً منبها في هذا المجال، ولم يكن لعلمائها سوى النقل.
ومع ذلك فقد نستطيع أن نثني على آراء لابن سيده وخصوصا
في المشكلات النحوية والصرفية: « أبو حاطم، الظلمي: قلة دم اللغة ولحمها. رجل أظلم وأمرأة طمية. علي بن إسماعيل بن سيده: ليس الظلم من فظ الظماً، ذلك مهمز وهذا معتل، إلا أن يكون تخفيضاً بدلاً وليس هذا بالواسع، ولا فيما مختلفاً الفظين كأحبطات واحبنتي».
والواقع أن ملاحظاته ليست ثارة، وإنما هي ضائعة.

(1) المصدر نفسه: 140
(2) المصدر نفسه: 26، 30، 38، 94، 117، 110، 137، 130، 160، 152، 140
370
في خضم الآراء، وليس لها كيان واضح مجسم.

ومع الظهور الشديد الذي لاحظناه في حديثنا عن مقدمة الكتاب،
ومع زعمه أنه سيصلح أخطاء من سبقه من العلماء ويقدم عملاً نظيفاً،
الآله يوفق حتى في إزالة التناقض في كثير ممن مواضيع نقله. ولم
يكن ابن سيده يلتج إلى التمييز أو التفضيل بل يرصف الآراء بغير ان
يقدم واحداً على واحد. وهذا ما يزيد في طمس شخصيته.
ولعل من الأسباب التي زادت في تفكك شخصيته أنه كثيراً ما كان
يلجأ إلى عبارات غامضة غير محددة المعالم مثل: غيره، وغير واحد،
قيل، وقال آناس من العرب. ويصعب حصر مثل هذه العبارات لأنها
منتشرة في كل صفحة تقريباً. ومن العدل ان نقدر أن هذه التعبيرات
ليست من خصائص ابن سيده وحده، ولكن هذا لا يغير من الحقيقة
شيئاً، وتبقي شخصيته غير واضحة.

ج – الحكم

1 - الداعي إلى تأليف الكتاب

يقول ابن سيده في مقدمة كتابه "قلماً وضح له" للموقف –

(1) صدر منه ثلاثة أجزاء حتى اليوم .

371
مكان الحاجة إلى هذه اللسان الفصيحة، الزائدة الحسن، على ما أوتيه
سائر الأمام من اللسان، أراد جمع القاطرة، فتأمل لذلك كتب رواتها
وحفاظها، فلم يجد منها كتابا مستقلًا بنفسه، مستنيرة عن مثله، مما ألف
في جنسه بل وجد كل كتاب منها يشتمل على ما لا يشمل عليه
صاحبها، وشيًّا لا تعاند عليه وراؤده، وكلا لا تحاقد في مثله رواده،
لا تشع فيه ناب ولا فطيمة، ولا تغني عنه خضرا ولا هشيمة ١. من
هنا نستطيع أن نتصور أن الهدف الأول الذي قصده ابن سيده من
تأليف معجمه كان جمع المواد اللغوية المشتقة في الدراسات والرسائل
المختلفة. وطبيعي أن دور الموقف هنا لا يعود التشجيع وتهيئة جو
التالف.

غير أن هذا التوزع في المواد اللغوية لم يكن الداعي الوحيد
لالتالف فلقد "للكت مناظر تعبيرهم ومسافر تحييرهم، فما أطابق
شيء من ذلك له فأظروا ولا سلك منه جنانا ولا خاطرا، وذلك لما أوتيه
وما حرموه وأوهجوا وأعدموا، من ثقافة النظر، وأصابة الفكر، وكان
أكثر ما نقبه سدده الله عليهم، عدولهم عن الصواب في جميع
ما يحتاج إليه من الأعراض، وما أحوجهن من ذلك إلى ما منعوه ٢.  
فأين سيده لا يأخذ على السابقين التجزئة وعدم الشمول فحسب، وإنما

(١) المحكم ١: ٣٥
(٢) المصدر نفسه ١: ٣٠ - ٤
هو ينعي عليهم "عدمهم عن الصواب". فهو هنا، إذن، يعدنا
بتغيرين جذرین، تغير في النهج وزيادة في الدقة.

٢ - منهج الكتاب

ينقسم معجم ابن سيده إلى حروف مرتبة وفق المخارج على النحو
التالي: العين، الهاء، اللاء، الخاء، الغين، الكاف، الكاف، الجيم،
الشين، الضاد، الصاد، السين، الزاي، الطاء، التاء، الدال، ظاء،
النون، القاف، الفاء، اليم، الهزاء، الياء، الواو، وال-plugin. وكل حرف من هذه الأحرف ينقسم إلى
الأبواب التالية: الثنائي المضاف الصحيح، الثنائي الصحيح، الثنائي
المضاف المعتل، الثلاثي المعتل، الثلاثي المفت، الرمحي، الخماسي،
السداسي، وقد امتلأت هذه الأبواب بالتباليل، وهو النظام الذي
نتبعه مدرسة العين، ورأيناها في كتاب البارع.

ويبدو أن ابن سيده كان واعيا لأمور، وكان يبغى توثيقها والسير
عليها. ووضع في مقدمة كتابه خطة محكمة يرسم بها سبيله في التأليف.
"ومن غريب ما تضمه هذا الكتاب، تميز اسماء الجموع من
الجماع، والتنبيه على الجموع المركب، وهو الذي يسميه التحويلون
جمع الجموع، فان اللغويين جمأ لا يميزون الجمع من اسم الجمع، ولا
ينبهون على جمع الجموع. ومن الأنيبة ما يجوز أن يكون جمعا، وأن

٣٧٣
يكون جمع جمع، وذلك ادّق ما في هذا الجنس المقتضي للجمع. فإذا مرتنا في كتابنا بمثال هذا النوع من الجمع علمنا أيهما أولى به الجمع أو جمع الجمع» ۱.

وسوف يطول لنا الأمر لو نحن حاولنا اقتباس ما قاله ابن سيدة في مقدمة كتابه عن خطته في التأليف، فلقد أطلَّقنا اطالة عظيمة واتى بالامثلة الموضحه، ويمكن تلخيص عمله بما يلي:

أ - حذف ما اعتقد أنه يزيد في حجم الكتاب بلا مبرر، ومن ذلك المشتقات القياسية، وجمع اسم الفاعل من الإجوف على فعَّال، أو الناقص على فعَّال، أو المؤنث على فعال، والمصدر الميمي واسمي المكان والزمان، وافعال التعبج، ولا يذكر من كل ذلك إلا الناشئ.

ب - ونها على أمور شاذة قد يؤدي اغفال ذكرها إلى الالتباس، ومن ذلك: اسم المفعول الذي لا فعل له أو المبني من الفعل اللازم، والفاعل التي لا مصدر أو لا ماضي لها، أو لها مصدر من غير لفظها، والنسب الناشئ، والمؤنث غير علامة، والالتفاظ التي يشعر ظاهرها أنها للمفرد والجمع، وما لا يصغر.

ج - ويذكر أسماء الجمع من الجمع وجمع الجمع، واسم الفاعل الجاري على فعله بعطفه عليه بالفاء من اسم الفاعل غير

(1) المصدر نفسه ۱ : ۸-۱۰

۳۷۴
الجاري عليه بعطفه بالواو، والمهموز أصلا من المهموز شذوذا، والمتل الواوي من اليائي.

د- راعي في ترتيب اللفظ في داخل المواد تقدير المفرد على الجمع، وجمع القلة على الكثرة، والجرد على المزدا.

ويمكن الاستشهاد على هذا كله بكلام المؤلف من مقدمة كتابه، غير أنه، كما سنلاحظ، لم يستطع أن يتقيد تماماً بهذه الخطة، وغلبه المادة الهائلة التي أتى بها في احيان كثيرة فتزعزع ترتيبه.

٣- مصادر الكتاب

يضع ابن سيد في مقدمة كتابه ثبتاً بالمؤلفات التي أخذ عنها، وهو يقسم هذه المؤلفات إلى قسمين: لغوية ونحوية، وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة، فتصنف: أبي عبيد، والإصلاح، والالفاظ، والجمهرة، وتفسير القرآن، وشرح الحديث، والكتاب الموسوم بالعين، ما صح لدينا منه، وأخذناه بالوثيقة عنه، وكتب الأصمعي، والقراء، وأبي زيد، وأبي الأعرابي، وأبي عبيدة، والشيباني، واللحياني، ما سقط الينا من جميع ذلك، وكتب ابن العباس أحمد ابن يحيى: المجاس، والقصيح، والنحو، وكتاب ابن حنيفة، وكتب

(١) راجع فيما يتعلق بهذه الخطة كتاب المعجم العربي: ٣٤٦ - ٣٤٧.
كراي، إلى غير ذلك من المختصرات، كالزبرج، والكتكى، والمبنى، والتحتى، والاضداد، والبدل، والمقلوب، وجمع ما اشتمل عليه كتاب سبيويه من اللغة المحلة العجيبة، الملخصة الغريبة، المؤثره لفضله، والمسترادر لثلاها، وهو حلي كتابي هذا وزنه، وجماله وعينه، مع ما أضفته إليه من الابناء، التي قالت كتاب سبيويه محلة، عربية كانت أو دخيلة. واما ما نشأ عليه من كتب التحويين المتاخرن، المنضمة لتعليم اللغة، فكتب أبي علي الفارسي: الحليات، والبغداديات، والاهوايات، والتدبيرة، والحجة، والاغفال، والإباح، وكتاب الشعر. وكتب أبي الحسن بن الرمانى، كالجامع، والاغراض، وكتب أبي الفتح عثمان بن جني: كالغرب، والتسائم، وشرحه لشعر الشنقي، والخصائص، وسر الصناعة، والتعاقب، والمحاسب» 2. وكانت هناك مصادر أخرى لم يستطع ابن سيده حصرها اختارها وجمع موادها من هنا ومن هناك، وهو يسجل ذلك يقول: «إلى أشياء اقتضتها من الأشعار القصيرة، والخطب العربية الصحيحة. ويلاحظ أنه نسب مادة كتابه كلها إلى الأصول الشرقية، بغير الالتفات إلىمؤلفات

1) لعله استفاد في ذلك من كتاب «الاسترداد على سبيويه» لابن بكر الزبيدي، الذي تجده موصوفًا في ص 135 - 146 من هذا الكتاب.
2) المحكم 15.
3) المصدر نفسه.
اللغوية الأندلسية. وقد كان لفترة ممن سبق ابن سيده أعمال تشهد لهم بالتقدم والمقدرة، كما رأينا عند القالي والزبيدي وابن القوطية. وأغلب الظن أن ابن سيده استفاد منهم واطلع على مؤلفاتهم، وإن كان يصعب اثبات ذلك لأن مصادر القالي والزبيدي وابن القوطية وابن سيده هي في الأساس واحدة، جاءتهم من الشرق، وجميعهم طوروا أساليب وطرق اخذوها عن المشارقة، لذلك ليس سهلا التأكد هل استفاد من الفرع أم رجع إلى الأصل. ولا بد أنه عرف أيضا مصادر شفوية عديدة غير أنه لا يفرق في معجمه بين مثل هذه المصادر وبين المصادر المكتوبة.

\[2\] خصائص كتاب الحكم

ان اختيار مادة من المواد ودراستها وتحليلها يجعلنا اقترب إلى خصائص ابن سيده في هذا المعجم، واقتدر على إبراز الخصائص الهامة.

ولتكن مادة «العين والقاف والاتاء».

«التق: خلاف الرق.

"عذق عذق، عذق، وعذقا وعذقا، فهو عذق وهو عذق عذقا".

فقد أعطانا أولا الأسم ومعناه، ثم الفعل الثلاثي المجرد ومصدره المختلفة ثم الصفة منه في حالتى الأفراد والجمع.

(1) المصدر نفسه 1: 100 - 102.

377
وأعتقه فهو معتمق وعتيق، والجمع كالجمع، فالنقيل إذا من المجرد إليه المزيد، غير أنه يذكر اسم المفعول القياسي «متعق» وهو هنا لا يفي بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر وأسماء المفاعيل القياسية.


ثم يوجد الاسم مرة أخرى فيذكر أن «العتق الشجر التي تنطخ منها التقي العربي»، والعتيق: فحل من النخل معروف، لا تنفض نخلته، وعتيق الطير الباز، قال لبيد: فاعتضا والابن سلمى قاعد كعتيق الطير يغض ويجل ابن سلمى النعمان، وانا ذكر مقاتته مع الربيع، بين يدي النعمان، فهو...
يلجأ إلى تفسير ما هو غامض مما لا علاقة له بالمادة الأصلية.

"والعتيق: القديم من كل شيء، وقد عتق عتقا وعتقا. والعيش
العتيق: مكة، لقدمه، لأنه أول بيت وضع للناس. ولأنه اعتق
من الغرق أيام الوفان. فيت سمي عتقا، لأنه لم يملكه أحد. فاين
سيده يذكر المعاني المختلفة دون أن يرد الآراء إلى أصحابه، ويكثر من
استعمال كلمة "قيل"، أو "قال بعض حذاق اللغويين".

وأما أبيات الشعر فهناك، في هذه المادة "عتق" التي ندرسها،
سبعة شواهد شعرية ذكر اسماء أصحابها، وهناك شاهدان لم يذكر
اسمي قائلهما، ربما لأنه لم يعرفهما. وإذا صح ذلك فاننا نستطيع القول
بأنه يذكر صاحب الشاهد إذا عرفه.

فأما قول الأعشى:

وكأن الخمر العتيق من الأسائط ممزوجة بـاء زلال
فانه قد يوجه على تذكير الخمر، فامان يكون تذكير الخمر معروفا، وامان
يكون وجهها على إرادة الشراب، ومهله كثير، أعني الحمل على المعنى، قال أبو
حيني: وان شئت جعلت فعليا هذا في معنى مفعول كما تقول: عين كهيل،
فتنكون الخمر مؤنتها، على اللغة المشهورة. هذا يدلنا على اهتمام
أبي سيده بالمسائل الصرفية وادراجها لها في معجمه. وقد رأينا ان من
جملة مصادره مجموعة من كتب النحو والابنیة، وهو يذكر ما في كتابه

٣٧٩
هذا من صعوبة فيقول: «وليس الاحاطة بعلم كتابنا هذا، الا من مهر
بصناعة الاعراب».

وبعد ان يتحدث عن الاسماء يعود الى الفعل المزيد منه وال مجرد
بغير ضابط: "عتق بنيه: عض. وعنك المال عفتا: صلح. وأعتقه
أصلحه. وعشق بعد استعمال فهو عتق: رق. . ثم يعود مرة أخرى
الي الاسماء: "العتيق اسم للشر، عللم، وأنشد قول عنترة:
اذرعت العتيق وما شن بارد. ان كنت سائلاً غبوتاً فاذهبي
والعان: ما بين المنك والعنق.

وبعد ان يستوفي الكلمة بكل ما فيها من فروع ومعان ينتقل الى
مقوله (قثع): قنع يقتع قثوحا: انتف وذأل.».

ويمكننا: اعتقاداً على المادة السابقة وغيرها من المواد، إيجاز
الملاحظات التالية:

أ — لا يفي بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر واسماء
المفعول القياسية.

ب — ولا يفي أيضاً بما وعدنا به من أنه سيراعي في ترتيب الالتفاظ
داخل الموادتقديم المفرد على الجمع، وتقدم المجرد على المزید، وترتيب

(1) المصدر نفسه 14.

380
الاعلام بلا تشويش، مما جعل العثور على اللفظة المطلوبة امرا غريباً، وخصوصا إذا كان اللفظ مزيدا أو مشتقة.

جـ. يلجأ إلى طريقة التفسيرات المتراكمة بغير تصنيف بحيث يأتي بعضها، احيانا، مناقضا لبعض.

دـ. قلل كثيرا من الاعتماد على الاعصار بحيث لم تعد مقصودة لذاتها وإنما تقوم بعملها في توضيح الدلائل اللغوية. وهو يرد الشاهد إلى صحبه إذا عرفه.

هـ. فسر الألفاظ الصعبة التي ترد في النصوص حتى ولو لم تكن من المادة الأصلية التي يتعرض لها.

وـ. لا يهتم بذكر المصادر ولا يرد الآراء إلى أصحابها إلا نادراً.

ويكتب في بلغة قبل أو ما شابها.

زـ. ولكنه كان يسجل اسم صاحب الرأي إذا كان رأيه قاعد، وليس مجرد تفسيراً.

حـ. يهتم بالتفاصيل الصرفية ويعالجها بفاضة.

طـ. قلل من الاستطراد الى الروايات والأخبار التي تجرها لفظة.

(1) انظر المحكم 1:261؛ 2:165؛ 380.
ما، ولكن لم يستطيع أن يتخلص من ذلك نهائياً.

وبرغم الملاحظ التي سجلناها عليه، فإنه استطاع إلى حد ما، أن يقدم لنا هذه المادة الهائلة بما قدر عليه من تنظيم، وبشيء من الاختصار أيضاً، ومالا معجمه بتخريجات نحوية وصرفية.

وقد أثار هذا الكتاب نشاطاً كبيراً، واعتمد اصحاب المجمعات المتاخرة كابن منظور والقيروزابادي، وطنين في السهيلي في الروض عند الكلام على نقض الصحيفة فقال: وما زال ابن سيده يعثر في هذا الكتابً، يعني المحكم؟! ورد عليه ابن برجان عبد السلام بن عبد الرحمن نافد محلاً؟! وأثنى عليه اصحاب التراجم فوصفوه بالشهرة، وقال فيه: لم ير مثله في فنه ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه... لو خلف الحالف اتهت لم يصنف مثله لم يبحث نهائياً.

(1) المصدر نفسه 1 : 578 - 971.
(2) د. لسان الميزان 2 : 105.
(3) الكتمة : 146 - 166 ( الطبعة الأوروبية ) ، وانظر ترجمته أيضاً في مادة الروعة : 132.
(4) تاريخ أبي الفداء 1 : 186.
(5) ابنر الرواة 2 : 125.

382
الآن وقد بلغت كلمة الختام أرى أن أجمل الصورة العامة لهذا الكتاب، فلقد درست الحياة اللغوية النسجية، في حقبة تزيد على أربعة عام. وكانت تلك الفترة ناشطة منذ بدايتها. وان كان القرن الرابع للهجرة هو ما يمكن أن نسمي بالعصر الذهبي لها، فان هذا العصر هو نتيجة لما تقدمه من نشاط، وقوة للتطور الطبيعي في حياة اللغة.

وقد قدمت للبحث بمقدمة عالجت فيها أمور اللغة والمجتمع قبل الفتح العربي وتوزع الاختلافات العربية بهده، وأوضحت مكانة اللغة عند الاندليسيين والعوامل الفاعلة التي كان لها التأثير العظيم المستمر في تطوير اللغة.

وقد تدرجت مع الزمن معالجا منذ الفصل الأول حتى الفصل الخامس والأخير تطور الحياة اللغوية ونموها، ودعت ما وضحه من تيارات مختلفة بأمثلة مفصلة من سير المؤلفين الكبار وأهم مؤلفاتهم. وقد تصدت من هذه السير والمؤلفات إلى إبراز الصورة وتوضيح ما -383
يمكن أن يكون قد ظل غامضاً حين الحديث عن التيارات والأتجاهات والعوامل المؤثرة وألوان النشاط المختلفة.

واعتقد انتي حققت أمرين رئيسيين مهمين:

1 - كان هذا الكتاب بناء جديداً لم يتمكن على بناء سابق، فجاها حركة رائدة، له ما للريادة من فضل التقدم والاستكشاف. وإن تمكن هذه الريادة قد أعطت البحث قيمة، فإنها قد زادته على صعوبة. ففالي جانب عظم الفترة التي تغطيها دراستي فان جدة البحث قد كانت عاملاً يشاقاً يتطلب التنقيب الطويل في المصادر ويجعل تصور الموضوع غاية في الصعوبة. والواقع لم استطع أن أحيط بالمصادر وإن اتصور البحث على صورته الحالية إلا بعد اطلاع واسع وبحث دائب وعمل جاد أمين، لفترة طويلة من الزمن.

2 - والأمر الثاني الذي اعتقد ان له هو الآخر أهمية بالغة، انتي بهذا البحث قد أسهمت في تصور جزء من ثروتنا اللغوي، وقدمت بحثاً عن تاريخ اللغة في الأندلس ارجو ان يفيد منه الدارسون. ولعلنا لا أبالغ إذا قلت ان اللغة في الأندلس جديرة اعظم الجدارة بالدراسة والوصف والتحليل والبناء. وهناك نواحي منها اللغة العامية الأندلسية - لا تزال بحاجة الى دراسات متصلة موضحة، وإذا كنت أقدم مثل هذا المجهود فإنا أرد شيئاً من الحق الى أصحابه. فأهل الأندلس - بجهوداتهم اللغوية المختلفة - قد أضافوا الى ثرياتنا، فحق لهم الاعتراف

384
بالفضل.
ولا أول مرة، فيما أعتقد، يتكامل بحث واحد ليبين دور المؤدين في حياة اللغة بالأندلس، وياخذ بين الجد والاستقصاء جهود المهاجرين من المشارقة والكتب المهاجرة من الشرق والرحلة في طلب اللغة ويتلمس نواحي "النظرية" اللغوية بالأندلس، ويفصل القول في المؤلفات اللغوية الهامة وأصحابها ويعطي للأندلس في الجانب اللغوي ما تستحقه من اهتمام وتقدير.

ولست أقول: إن هذا هو جهد المقل، فكل عمل علمي أئنا هو جهد المقل، أعني أنه لبنة تسداد مع غيرها في نطاق البناء الكلي.
مراجع الدراسات

اً - المراجع العربية

1 - أبو العلاء وما إليه
عبد العزيز اليمني، أعظم كره 1344 هـ.

2 - احكام صنعة الكلام
عبو القاسم محمد بن عبد الففور الكلاعي، مصورة بدار الكتب
المصرية مأخوذة من نسخة خطية بإبترة الاستاذ حسن حسني
عبد الوهاب، وقد ظهر الكتاب بتحقيق محمد رضوان الداية،
دار الثقافة، بيروت 1967.

3 - الاحكام في أصول الأحكام
عبو محمد علي بن حزم الاندلسي، تحقيق أحمد محمد شاكر,
ط القاهرة، 1345 - 1348، 8 ج.

4 - إرجوزة ابن سيده
مجلة الشرق، السنة السادسة والثلاثون.

5 - أزهر الرياض في أخبار عياث
شهاب الدين أحمد بن محمد القرى التلمساني، تحقيق :
مصطفى السقا، إبراهيم الإباري، عبد الحفيظ شلبي،
القاهرة، 1939 - 1942.

387
الاستدراك على سيبوسة

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: أغناطيوس غويدي، روما، 1890.

7- الأرشيف دولة المغرب الأقصى
أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الدار البيضاء، 1954-1956، ج. 9.

8- إصلاح الخلل الواقع في الجمل
ابن السيد البطليوسى، مخطوطة بدار الكتب المصرية.

9- اعمال الاعمال في ميزان قبل الاحتلال من ملوك الإسلام
لسان الدين ابن الخطيب التلمسياني، تحقيق: ليفي بروفيسنال، الطبعة الثانية - بيروت، 1956.

10- الإفعال الثلاثية والرباعية
أبو بكر محمد بن عمر ابن القوطية، تحقيق: أغناطيوس غويدي، ليدن، بريج، 1894.

11- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب
أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسى، قلطف وميداني - بيروت، 1901.

12- الإمامي
أبو علي القالي، الطبعة الثالثة - القاهرة، 1953-1954، ج. 2.

388
13 - الأمثال
ابو علي القالي، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 7442.

14 - آباه الرواة على آباه النجاة
جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، 1950 - 1955، 3 ج.

15 - الاستنصر من عدل عن الاستنصر
ابوب محمد عبد الله بن السيد البطليوس، تحقيق: حامد عبد المجيد، القاهرة، 1955.

16 - الانصاف في التنبيه على الإسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم
ابوب محمد عبد الله بن السيد البطليوس، مطبعة الموسوعات، بعمر، 1319 ه.

17 - البازح في اللغة
ابوب علي القالي، تحقيق: 1. س، فلن، لندن، 1933.

18 - بفية اللتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس
احمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، ط مجريط 1884.

19 - بفية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1926.
20 - البيان الغرب في أخبار المغرب
إبن عذاري المراكني، تحقيق: ليفي بروفسال، ط باريز،
1940.

21 - تاريخ الأدب الأندلسي
عصر سيادة قرطبة، الدكتور احسان عباس، نشر دار
الثقافة - الطبعة الأولى - بيروت، 1960.

22 - تاريخ الأدب الأندلسي
عصر الطوائف والرابينت، الدكتور احسان عباس، نشر دار
الثقافة - الطبعة الأولى - بيروت، 1963.

23 - تاريخ الأدب العربي (1)
كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة,
1959 - 1965، 3 ج.

24 - تاريخ افتتاح الأندلس
محمد بن عمر ابن القوطية، تحقيق: عبد الله أنيس الطبايع,
دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957.

25 - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس
عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي، القاهرة،
1954، 2 ج.

26 - تاريخ قصة الأندلس
أبو الحسن بن عبد الله النباهي، تحقيق: ليفي بروفسال,
دار الكاتب المصري - 1948.

(1) حين كنت استعين بالأصل الألماني كنت أضيف: «طبعة ليدن»،
أو اكتفي بلفظة: «المحقق».

395
27 - تذكرة الحفاظ
ابو عبد الله شمس الدين الذهبي، الطبعة الثالثة - مطبعة
حيدر آباد ، 1955 - 1958 ، 4 ج.

28 - تعريف العلماء بابي العلاء
الخريج: الدكتور طه حسين ، القاهرة ، 1944.

29 - التقرب لحد المنطق والمداخل الهية
ابو محمد علي بن حزم الادلسي، تحقيق: الدكتور احسان
عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، 1959.

30 - التكملة لكتاب الصلاة
ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار، القاهرة،
1955 - 1956 ، 2 ج.

31 - التكملة لكتاب الصلاة
ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار، الطبعة
الأوروبية.

32 - التنبيه على أوهام ابي علي في أماله
عبد الله بن عبد العزيز البكري، الطبعة الثالثة - القاهرة،
1954.

33 - توضيح التشبيه
صلاح الدين خليل بن ابيه الصفدي، تحقيق: البير حبيب
مطلق، دار الثقافة - بيروت، 1966.

34 - الجامع في أخبار ابي العلاء وآثاره
محمد سليم الجندي، دمشق، 1962 ، 2 ج.
35 - جذوة المتبس في ذكر ولادة الإندلس
محمد بن فتح بن عبد الله الحميدي، تحقيق: محمد تاويت الطنجي، الطبعة الأولى، القاهرة، 1952.

36 - الجغرافيا والجغرافيون في الإندلس
الدكتور حسين موسى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد 7، 8.

37 - جمهرة أشعار العرب
محمد بن أبي الخطاب القرشي، دار صادر، بيروت، 1967.

38 - جمهرة أنساب العرب
أبو محمد علي بن حزم الإندلسي، تحقيق: ليفي بروفوسال (1948)، وتحقيق: عبد السلام هارون (1967)، دار المعارف بمصر.

39 - الحقائق في الطالب العالية الفلسفية
أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثرى، الطبعة الأولى، القاهرة، 1365 ه.

40 - حضارة العرب في الإندلس
ليفي بروفوسال، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

41 - الحل في شرح آيات الجمل
ابن السيد البطليوسي، مخطوطة بدار الكتب المصرية.
٢٣ - الخطة السيرة
أبو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الآبار، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣، ٢ ج.

٢٤ - خزاتة الأدب ولب لب لسان العرب
عبد القادر بن عمر البغدادي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩، ٤ ج.

٢٤ - خلق الإنسان
ثابت بن أبي ثابت، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٦٥.

٣٤ - دار الطراز في عمل الموشحات
ابن سناء الملك، تحقيق: جودة الركابي، دمشق، ١٩٤٩.

٣٦ - دول الطوائف
محمد عبد الله عمان، الطبعة الأولى، مطبعة التأليف والتجميل والنشر، ١٩٦٠.

٣٧ - الدباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب
برهان الدين إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٥١ ه.

٣٨ - ديوان ابن قزمان
محمد بن عيسى بن عبد الملك ابن قزمان، نشر دافيد جنربرغ، ١٨٩٦.
49 - النذرة في محسن أهل الجزيرة

ابو الحسن علي ابن سام الشنترني، القسم الأول من الجزء الأول، القسم الثاني من الجزء الأول، القسم الأول من الجزء الرابع، القاهرة، 1939، 1942، 1951.

50 - النذرة في محسن أهل الجزيرة

ابو الحسن علي ابن سام الشنترني، القسم الثاني والقسم الثالث، مخطوطة بغداد.

51 - ذكر بلاد اليندلس

مؤلف مجهول، مخطوطة الرباط رقم 85 ج.

52 - النيل والنكسة لكتابي الوصول والصلة


53 - الرد على النحتة

احمد بن عبد الرحمن بن ماضآ القرطبي، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الأولى - دار الفكر العربي، القاهرة، 1947.

54 - رسائل ابن حزم الإندلسي

تحقيق: الدكتور احسان عباس، مكتبة الخارجي بمصر، 1954.

55 - رسائل في اللغة

(من بينها جزء من المسائل والاجوبة لأبي محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي) ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، بغداد، 1964.
56 - رسالة في أعراب: أن الصارب الشام والده كان زيدا
أبو القاسم بن العريف، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت
رقم: 207 نحو.

57 - الروض المطار في خبر الاقطار
أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري، تحقيق: ليفي
بروفسال، القاهرة، 1937.

58 - روضات الجنت في أحوال العلماء والسادات
محمد باقر موسوي، الطبعة الثانية، طهران، 1347.

59 - الرجل في الأندلس
عبد العزيز الأهوازي، القاهرة، 1957.

60 - شهادات الذهب في أخبار من ذهب
عبد الحي بن عبد الحامد الحنيلي، القاهرة، 1350 - 1351 هـ.

61 - شروح سقط الزند
أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (وآخرين) القاهرة،
1948 - 1949.

62 - الصلة
أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، القاهرة، 1955.

63 - صورة الأرض
أبو القاسم بن حوقل النصبي، منشورات دار مكتبة الحياة
- بيروت.
64 - طبقات الأطباء والحكماء
ابو داود سليمان بن حسان الأندلسي ابن جلجل، تحقيق:
فؤاد سيد، القاهرة، 1955.

65 - طبقات الامم
ابو القاسم صاعد بن احمد الأندلسي، تحقيق: الآب لويس
شيخو، الطبعة الكاثوليكية - بيروت، 1912.

66 - طبقات النحوين واللغويين
ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل
ابراهم، الطبعة الأولى - القاهرة، 1954.

67 - القاتل الحالي والرخص التالي
صفي الدين الحلي، تحقيق: وليم هونرهاخ، فيسبادن،
1950.

68 - الفبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون)
عبد الرحمن ابن خلدون، طبعة بولاق، 1284 هـ، 7 ج.

69 - عيون الانباء في طبقات الأطباء
موافق الدين احمد بن القاسم ابن ابي اصبعه، دار الفكر،
بيروت، 1956.

70 - غاية النهاية في طبقات القراء
شمس الدين ابو الخير محمد ابن الجزري، تحقيق: ج.
بجستراير، القاهرة، 1932، 3 ج.

71 - فجر الأندلس
حسين مؤنس، الطبعة الأولى - القاهرة، 1959.

396
23 الفصل في الملل والأهواء والتحلل
ابو محمد علي ابن حزم الأندلسي، الطبعة الأولى - القاهرة،
1317 هـ، 5 ج.

24 فصل المقال في شرح كتاب الأمثال
عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: الدكتور احسان
عباس والدكتور عبد المجيد عابدين، الخرطوم، 1958.

25 الفهرست
ابن النديم، تحقيق: فلوجل، بيروت، 1962.

26 فهرسة ابن خير
ابو بكر محمد ابن خير، تحقيق: بوديرا وربيرا، بيروت،
1963.

27 فوات الوفيات
محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: محي الدين عبد الحميد،
القاهرة، 1951، 2 ج.

28 قضاة قرطبة
محمد بن حارث الخشني، نشر عزت المطار الحسيني-
القاهرة، 1372 هـ.

29 قلائد العقيان
الفتح بن خاقان، ط بولاقي، 1283.

30 كتاب سبويه
ابو بشر عمرو بن قنبر سبويه، الطبعة الأولى - 1316 -
1317 هـ، 3 ج.

397
80 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
حاجي خليفة، استامبول، 1941 - 1943، 2 ج.

81 - اللألافي في شرح الأمالي
عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني،
القاهرة، 1946، 2 ج.

82 - لحن العوام
ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: الدكتور رمضان
عبد التواب، الطبعة الأولى، القاهرة، 1964.

83 - لسان الميزان
شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر العسقلاني، الطبعة
الأولى - حيدر آباد الدكن، 1329 - 1331 هـ، 6 ج.

84 - اللغات
ابن السيد البطليوسي، مخطوطة بدار الكتب المصرية،
مجمع ش. 2.

85 - المحم والمعيط الأعظم في اللغة
علي بن اسماعيل ابن سيده، نشر مصطفى الببلي الحي،
القاهرة، 1958، 3 ج.

86 - اختيار الخالدين
اختيار الخالدين، تحقيق: محمد بدر الدين العلوي، مطبعة
الاعتماد - القاهرة، 1944.
87 - المخصص
علي بن اسماعيل ابن سيده، طبع بصرى، المطبعة الإمبرية الكبرى، 1894-1904، 17 ج.

88 - مرآة الجنان وعبرة اليقظان
ابو محمد عبد الله بن اسماعياليفاعي، حيدين آباد، دائرة المعارف النظامية، 1327-1329 هـ، 4 ج.

89 - الزهر في علوم اللفاء وأنواعها
 Gül الدين السيوطي، القاهرة، 1865/1282.

90 - المسالك والممالك
عبد الله بن عبد العزيز البكري، مخطوطة الرباط، 88 ق.

91 - المطر من أشعار المغرب
أبو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية، تحقيق: إبراهيم الإبادي، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، القاهرة، 1954.

92 - مطروح النفس ومسرح التناس في ملح أهل الإندلس
أبو نصر الفتح بن محمد ابن خاقان، الطبعة الأولى، مطبعة الجوانب - القسطنطينية، 1302 هـ.

93 - العجب في تلخيص أخبار المغرب
محري الدين عبد الواحد بن علي النجيمي المراشي، مطبعة السعادة بصرى، 1324 هـ.

399
94 - معجم الآداب
شهد الدين ياقوت الحموي الرومي، مكتبة عيسى البابي الحلبى، 1968، 2، ج،

95 - معجم البلدان
شهد الدين ياقوت الحموي الرومي، دار صادر، بيروت، 1965، 7 مجلدات.

96 - المجمع العربي
الدكتور حسين نصار، دار الكاتب العربي بمصر، القاهرة.
1966، 2، ج.

97 - المغرب في حلي المغرب
علي بن موسى بن سعيد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1963، 2، ج.

98 - المقتبس في تاريخ رجال الأندلس
ابو مروان حيان بن خلف ابن حيان، تحقيق: الأب انطونية ملشور، باريس، 1967.

99 - المقتبس في تاريخ رجال الأندلس
مخطوطة مدريد.

100 - مقدمة ابن خلدون
عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد، وافي، القاهرة، 1967، 4، ج.

101 - الكتب وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية
خوليان ريبيرا، مجلة معهد المخطوطات، المجلد الرابع، الجزء الأول: 77، المجلد الخامس، الجزء الأول: 69.

400
101 - نفح الطيب من غصن الإندلس الرطيب
أحمد بن محمد القرفي الشمسي، تحقيق: محيي الدين
عبد الحميد، المكتبة التجارية، 1949، 1 ج.

102 - زكت الهميان
صلاح الدين خليل بن ايك الصفدي، ط مصر.

103 - نهاية الأدب في فئون الأدب
أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب
المصرية – القاهرة، 1923، 1955، 18 ج.

104 - الوافي بالوفيات
صلاح الدين خليل بن ايك الصفدي، بعناية هلموت ريتر
واخرين، ج 1 - 4.

105 - الوافي بالوفيات
صلاح الدين خليل بن ايك الصفدي، مخطوطة بمكتبة احمد
الثالث رقم 166.

106 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: محيي
الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، 1948، 6 ج.

107 - يتيمة الدهر
ابو منصور عبد الملك بن محمد الثمالي، تحقيق:
محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1956، 4 ج.

الحركة اللغوية م 291
Geschichte der arabischen litteratur:
C. Brockelmann
Leiden, 1937 - 1949
5 vols.
Hispano-Arabic Poetry:
Nykl, A. R.
Baltimore, 1948
Histoire de l'Espagne Musulmane:
Levi-Provencal, vol. I - III
Paris, 1950 - 1953
Islam d'Espagne:
Henri Terrasse
Paris, 1958
Nouvelle Histoire d'Espagne:
Maurice Legendre
Paris, 1938
Origines del Espagnol:
Ramon Menendez Pidal
3rd ed., Madrid, 1950
Spanish Islam:
R. Dozy
London, 1913
الفهرست

أسماء الأعلام والأماكن والكتب والمصطلحات

ابن أبي عبيدة ٧٧
ابن أبي غزالة ١٧٩
ابن أبي الوليد الأعرج ١٦٧
ابن أرم ٤٨
ابن الإمام الخولاني ١٧٧
ابن الأشاعري ١٨٠
ابن يزيد ١٨٧
ابن أمين ١٧٧
ابن بسام ٢٤٨
ابن بشكوال ١٠٤
ابن جني ٢٩٩
ابن حمديس ٢٩٧
ابن حنذابة (ورد خطا ابن خنزابه) ١٩١
ابن حوقل ٢٧
ابن حيان ١٨٠، ١١٣
ابن خالويه ٢٩٩
ابن خشخاش ١٢
ابن خير ٢٧
ابن كل ١٢٧
ابن إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ١٩٢
ابن إبراهيم بن أبي الفضل بن حجاج ٢٠٢
ابن إبراهيم بن حجاج ١٧٦
ابن إبراهيم بن السري الزجاح أبو أسحق ٩٧
ابن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم ١٨٠
ابن إبراهيم بن أحمد بن زكريا ١٨١
ابن الأفيلي (٣٣ ١٧) يتكرر
ابن إبراهيم بن محمد بن عفوة أبو عبدالله بن طولو ٩٣، ١٩٣، ١٨٠، ١٩٤
الإبل: الأصمعي ١٨
الإبل ونناجا وجميع أحوالها: القالي ١٧٤، ١٢٧، ٢٤٦
ابن الإبار ١٦، ١٩٥، ١٩٦
ابن إبراهيم بن أبا تمام ١٧٧
ابن إبراهيم بن الحبيب النحوي ١٧
ابن أبي سفيت ١٨٢
ابن هشام 139.
ابن وقاص الفراشمي 04.
ابن ولد النحوي 132.
ابن يحيى 277.
ابن يونس 147.
النية في أدب الكتب: ابن قتيبة 171.
ابن بكر بن خاطب الكوفي 99.
ابن بكر بن المربي 445.
ابن تمام حبيب الطائي 305.
ابن تمام النحوي 223.
ابن الجراح 319.
ابن جعفر البندادي 63.
ابن جعفر بن عباس الوزير 7.
ابن جعفر بن النحاسي 105.
ابن جعفر الدينوري 56.
ابن جعفر السنجابي 219.
ابن حاتم السجستاني 57.
ابن داود السجستاني 354.
ابن الحسن الأسفخش 54.
ابن الحسن بن خروف 132.
ابن الحسن بن كسان 217.
ابن الحسن الشاربي 129.
ابن الحسين بن الفارس 91.
ابن خلدة 195.
ابن خير 219.
ابن زرعة الفزاري 193.
ابن زيد الكثابي 93.
ابن مجعل 82.
ابن مطلب الأنصاري 108.
ابن مخلد 147.
ابن نسيم 171.
ابن رضوان 228.
ابن رضوان الهجري 228.
ابن رضوان الباهلي 59.
ابن رضوان رفيق 316.
ابن سعد السراجي 277.
ابن سعد السراجي 277.
ابن سعيد الديني 124.
ابن الساءي 337.
ابن السمح 11.
ابن سناء الملك 288.
ابن شرف الفيروائي 295.
ابن شهيد 282.
ابن صلاح 238.
ابن عاصم 7.
ابن عبد البر النحري 76.
ابن عبد رببه 36.
ابن عبد الغفور الكلاعي 9.
ابن عذاري 51.
ابن عمر 26.
ابن الفراص 316.
ابن فرحون 71.
ابن الفرضي 267.
ابن فطيس الوزير 86.
ابن الفراش 246.
ابن قزام 187.
ابن قطن الأسکافي 192.
ابن الكورفي 292.
ابن لاباب 177.
ابن محمد 339.
ابن مصطفى 7.
ابن ملوك الوطسي 385.
ابن محارث 379.
ابن ميمون 277.
ابو سهل الحراني ۳۰۶ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۳ ، ۳۱۷ ، ۳۱۹ ، ۳۲۱ ، ۳۲۳ ، ۳۲۵ ، ۳۲۷ ، ۳۲۹ ، ۳۳۱ ، ۳۳۳ ، ۳۳۵ ، ۳۳۷ ، ۳۳۹ ، ۳۴۱ ، ۳۴۳ ، ۳۴۵ ، ۳۴۷ ، ۳۴۹ ، ۳۵۱ ، ۳۵۳ ، ۳۵۵ ، ۳۵۷ ، ۳۵۹ ، ۳۶۱ ، ۳۶۳ ، ۳۶۵ ، ۳۶۷ ، ۳۶۹ ، ۳۷۱ ، ۳۷۳ ، ۳۷۵ ، ۳۷۷ ، ۳۷۹ ، ۳۸۱ ، ۳۸۳ ، ۳۸۵ ، ۳۸۷ ، ۳۸۹ ، ۳۹۱ ، ۳۹۳ ، ۳۹۵ ، ۳۹۷ ، ۳۹۹ ، ۴۰۱ ، ۴۰۳ ، ۴۰۵ ، ۴۰۷ ، ۴۰۹ ، ۴۱۱ ، ۴۱۳ ، ۴۱۵ ، ۴۱۷ ، ۴۱۹ ، ۴۲۱ ، ۴۲۳ ، ۴۲۵ ، ۴۲۷ ، ۴۲۹ ، ۴۳۱ ، ۴۳۳ ، ۴۳۵ ، ۴۳۷ ، ۴۳۹ ، ۴۴۱ ، ۴۴۳ ، ۴۴۵ ، ۴۴۷ ، ۴۴۹ ، ۴۵۱ ، ۴۵۳ ، ۴۵۵ ، ۴۵۷ ، ۴۵۹ ، ۴۶۱ ، ۴۶۳ ، ۴۶۵ ، ۴۶۷ ، ۴۶۹ ، ۴۷۱ ، ۴۷۳ ، ۴۷۵ ، ۴۷۷ ، ۴۷۹ ، ۴۸۱ ، ۴۸۳ ، ۴۸۵ ، ۴۸۷ ، ۴۸۹ ، ۴۹۱ ، ۴۹۳ ، ۴۹۵ ، ۴۹۷ ، ۴۹۹ ، ۵۰۱ ، ۵۰۳ ، ۵۰۵ ، ۵۰۷ ، ۵۰۹ ، ۵۱۱ ، ۵۱۳ ، ۵۱۵ ، ۵۱۷ ، ۵۱۹ ، ۵۲۱ ، ۵۲۳ ، ۵۲۵ ، ۵۲۷ ، ۵۲۹ ، ۵۳۱ ، ۵۳۳ ، ۵۳۵ ، ۵۳۷ ، ۵۳۹ ، ۵۴۱ ، ۵۴۳ ، ۵۴۵ ، ۵۴۷ ، ۵۴۹ ، ۵۵۱ ، ۵۵۳ ، ۵۵۵ ، ۵۵۷ ، ۵۵۹ ، ۵۶۱ ، ۵۶۳ ، ۵۶۵ ، ۵۶۷ ، ۵۶۹ ، ۵۷۱ ، ۵۷۳ ، ۵۷۵ ، ۵۷۷ ، ۵۷۹ ، ۵۸۱ ، ۵۸۳ ، ۵۸۵ ، ۵۸۷ ، ۵۸۹ ، ۵۹۱ ، ۵۹۳ ، ۵۹۵ ، ۵۹۷ ، ۵۹۹ ، ۶۰۱ ، ۶۰۳ ، ۶۰۵ ، ۶۰۷ ، ۶۰۹ ، ۶۱۱ ، ۶۱۳ ، ۶۱۵ ، ۶۱۷ ، ۶۱۹ ، ۶۲۱ ، ۶۲۳ ، ۶۲۵ ، ۶۲۷ ، ۶۲۹ ، ۶۳۱ ، ۶۳۳ ، ۶۳۵ ، ۶۳۷ ، ۶۳۹ ، ۶۴۱ ، ۶۴۳ ، ۶۴۵ ، ۶۴۷ ، ۶۴۹ ، ۶۵۱ ، ۶۵۳ ، ۶۵۵ ، ۶۵۷ ، ۶۵۹ ، ۶۶۱ ، ۶۶۳ ، ۶۶۵ ، ۶۶۷ ، ۶۶۹ ، ۶۷۱ ، ۶۷۳ ، ۶۷۵ ، ۶۷۷ ، ۶۷۹ ، ۶۸۱ ، ۶۸۳ ، ۶۸۵ ، ۶۸۷ ، ۶۸۹ ، ۶۹۱ ، ۶۹۳ ، ۶۹۵ ، ۶۹۷ ، ۶۹۹ ، ۷۰۱ ، ۷۰۳ ، ۷۰۵ ， ۷۰۷ ، ۷۰۹ ، ۷۱۱ ، ۷۱۳ ، ۷۱۵ ، ۷۱۷ ، ۷۱۹ ، ۷۲۱ ، ۷۲۳ ، ۷۲۵ ، ۷۲۷ ، ۷۲۹ ، ۷۳۱ ، ۷۳۳ ， ۷۳۵ ، ۷۳۷ ، ۷۳۹ ، ۷۴۱ ， ۷۴۳ ， ۷۴۵ ， ۷۴۷ ， ۷۴۹ ， ۷۵۱ ، ۷۵۳ ، ۷۵۵ ، ۷۵۷ ، ۷۵۹ ， ۷۶۱ ، ۷۶۳ ، ۷۶۵ ، ۷۶۷ ， ۷۶۹ ، ۷۷۱ ، ۷۷۳ ، ۷۷۵ ، ۷۷۷ ، ۷۷۹ ， ۷۸۱ ، ۷۸۳ ، ۷۸۵ ، ۷۸۷ ، ۷۸۹ ، ۷۹۱ ، ۷۹۳ ، ۷۹۵ ، ۷۹۷ ، ۷۹۹ ، ۸۰۱ ، ۸۰۳ ، ۸۰۵ ، ۸۰۷ ، ۸۰۹ ، ۸۱۱ ، ۸۱۳ ، ۸۱۵ ، ۸۱۷ ، ۸۱۹ ، ۸۲۱ ، ۸۲۳ ، ۸۲۵ ، ۸۲۷ ، ۸۲۹ ، ۸۳۱ ، ۸۳۳ ، ۸۳۵ ، ۸۳۷ ، ۸۳۹ ، ۸۴۱ ، ۸۴۳ ، ۸۴۵ ، ۸۴۷ ، ۸۴۹ ، ۸۵۱ ، ۸۵۳ ، ۸۵۵ ، ۸۵۷ ، ۸۵۹ ， ۸۶۱ ، ۸۶۳ ، ۸۶۵ ، ۸۶۷ ، ۸۶۹ ، ۸۷۱ ， ۸۷۳ ، ۸۷۵ ، ۸۷۷ ， ۸۷۹ ، ۸۸۱ ، ۸۸۳ ، ۸۸۵ ، ۸۸۷ ، ۸۸۹ ، ۸۹۱ ، ۸۹۳ ، ۸۹۵ ، ۸۹۷ ， ۸۹۹ ، ۹۰۱ ، ۹۰۳ ، ۹۰۵ ، ۹۰۷ ، ۹۰۹ ، ۹۱۱ ، ۹۱۳ ، ۹۱۵ ، ۹۱۷ ، ۹۱۹ ، ۹۲۱ ، ۹۲۳ ، ۹۲۵ ， ۹۲۷ ، ۹۲۹ ، ۹۳۱ ، ۹۳۳ ، ۹۳۵ ، ۹۳۷ ، ۹۳۹ ، ۹۴۱ ، ۹۴۳ ، ۹۴۵ ، ۹۴۷ ، ۹۴۹ ، ۹۵۱ ، ۹۵۳ ، ۹۵۵ ، ۹۵۷ ، ۹۵۹ ، ۹۶۱ ، ۹۶۳ ، ۹۶۵ ، ۹۶۷ ، ۹۶۹ ، ۹۷۱ ، ۹۷۳ ، ۹۷۵ ، ۹۷۷ ، ۹۷۹ ، ۹۸۱ ، ۹۸۳ ، ۹۸۵ ، ۹۸۷ ، ۹۸۹ ، ۹۹۱ ، ۹۹۳ ، ۹۹۵ ، ۹۹۷ ، ۹۹۹
الاستفزاز: العري ۲۰۱.
اسحاق بن الحسن الزيات ۱۴۳.
اسحاق بن قسطار ۲۷۱.
اسحاق التصري ۷۵.
أسد ۲۲، ۳۱۱، ۲۷۲.
الأسكندرية ۲۹۸.
اسم القاضي ۱۶۷.
الاسم والاسمي: ابن السيد ۳۲۱.
اسماعيل بن أحمد التاجي (۱۹۶). 
اسماعيل بن ذي النون ۲۵۴.
اسماعيل بن سيد ۱۲۹، (۲۴۳، ۳۷۵).
اسماعيل بن القاسم أبو علي القالي (۱۸۷، ۲۴۴)، يذكر.
اسماعيل بن محمد ابن المحامي ۱۲۷.
الأسود بن يعفر ۳۱۱.
التينيلة ۱۹۶.
الاشتاق: ابن دريد ۱۹۳.
الاشتاق: ابن النجم ۱۹۳.
الاشتاق: ابن النحاس ۲۴۴.
الراج: ۱۹۳.
العشاق: السحر البكري ۲۱۵.
العشق: القوسي: أريـودير ۱۹۱.
الأشقاك السهية الجاهلية ۱۹۵.
۲۴۶، ۲۱۰.
أزهر هليل ۱۹۵.
اصبح ابن عبد الله ۳۲۶.
اصبح الخيل الواقع في الجمل: ابن السيد ۳۱۵.
۲۷۱.
الاستدرك: ابن السكين ۱۶۶.
۱۱۴، ۲۴۷، ۲۴۵، ۲۴۶، ۳۲۲، ۲۴۸، ۲۴۷.
الاستدرك: 적용 ۵۴.
الاستدرك: الأزهار ۲۱.
الاستدرك: سبیله: الزيدي ۱۴۳.
۱۱۴، ۲۴۷، ۲۴۶، ۲۴۸، ۲۴۷.
الاستدرك: الزيدي ۱۱۴، ۱۱۸، ۱۲۱.
الاستدرك: ${۲۱-۲۳}$.
الإضداد : ابن السكين 92 

الإضداد : التوزي 92 196 1

الإضداد : نبل 92 145

الإضداد : 246

الإضداد في النحو : ابن النعيمي 193

اطغش في اللغة : نفطوه 109 1

أغراب القرآن : ابن النحاس 171

الله : اب 195

الله : الإصلاح 85

الله : الإصلاحية 24 2

الله : ابن القوطية (170 187)

الله : يذكر

الإضداد : ابن عبدالله يذكر 115

أقد من كذا : القاني 114

(2 11 1)

الله :ائه الله يذك

الله : بن طريف 195

اقبال الدولة : 271 277 356

الإضداد : ابن السكين 294

الإضداد : 310

الإخضاد : 57 56 58 63

الإضداد : 28

الإضداد : البرت (جبال) 25

الإضداد : البونت 205

الإضداد : البيرة 23

الإضداد : الغار 33

الإضداد : الالفاظ 1 8

الإضداد : ابن السكين 196

الإضداد : الفونسو السادس (الذفونش) 59

الألماني : القاني 91 1

الألماني : اب 173 173

الألماني : ابن السكين 371

الألماني : أبو زيد التنصاري 8 1

الألماني : أبو عبدالله 443

الألماني : أحمد بن يحيى ثعلب

البرانس 44

البرانس 45
بنو زيري الصنهاجُون ۴۲۰.
بنو سالم ۲۵.
بنو سراج ۲۰۷.
بنو سيد ۷۸.
بنو شقيق ۲۸.
بنو شهيد ۲۷.
بنو صماد ۲۶۲.
بنو طاهر ۱۹۸.
بنو عباس ۲۵۴.
بنو عباس ۲۰۵.
بنو عيسى ۲۰.
بنو غزلون ۲۵.
بنو غني ۲۳۱.
بنو الفرق ۲۵.
بنو فطيس ۴۸.
بنو قاسم ۲۵.
بنو قاسم ۲۰۵.
بنو القطرنة ۲۸.
بنو قربان ۲۸.
بنو قوسس ۲۸.
بنو اللوقيه ۲۸.
بنو مرتين ۲۸.
بنو مروان ۲۰۱.
بنو ميثت ۲۷.
بنو مهلل ۲۶۵.
بنو هشام ۴۸.
بنو عيسى ۲۰۸.
بنو هود ۲۵۴.
بنو خزرون ۲۰۸.
البيان والتجزؤ: الجاحظ ۳۳۱.
الجاحظ: ۲۵۴.

ت

التاجه ۲۵.
تاريخ ابن جعفر الطبري ۲۶۵.
تاريخ افتتاح الأندلس: ابن القروطية ۱۹۹.

البربر ۲۰، ۲۱، ۲۲، ۲۳، ۷۸
البتر ۲۴.
البرتغال ۲۴.
برشلونة ۲۹.
برين بن شهر ۲۸.
السياسي ۱۰۷.

بسط الكتابة الإفاق: المافري ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۸۶.
بسطم بن قيس ۱۷۴.
بشر الأعمى ۱۸۷.
البصري ۱۹۴.
البصري (مدرسة) ۱۷۴.
۱۸۶، ۱۹۸، ۲۷۲.
بطليموس ۲۷۱.
بطليموس ۲۷۱.
۱۴۳.

بتكرر.
بغداد.
بغية الوعاة ۱۳۳.
بكر ۲۳.
بكر بن حماد ۱۳۳.
بكر الكناني ۵۳.
البكرون ۵۸.
بلج بن بشر القيسي ۲.
البلديون ۲۱.
۲۴، ۲۳، ۲۵۷.
بلي ۲۳، ۲۷.
بنو الأفطس ۲۵۶.
بنو تهم ۲۵۳.
بنو جهور ۲۵۴.
۲۵۶، ۲۶۶، ۷۶، ۴۰۱.
بنو حكير ۲۷.
۲۴۱.
بنو حمود ۲۰۷.
بنو حنظلة ۲۳.
بنو خزرون ۲۰۵.
بنو ذي النون ۲۰۴، ۲۰۵، ۲۰۹.
تاريخ بني عامر: ابن معاذ النفيدي

تجيب: 21

تتميز (مرسية): 22

التذكرة الإدارية: ابن السيد 23

التذكرة والتثبيت: ابن الأنباري 24

تغلب: 25

تفسير الأمثل: ابن الإداوي 26

تفسير الوعر في كتاب الكشائي 27

تفسير عين سمايل سيبويه: ابن صالح القيسس 28

تفسير القصائد والعلاقات: التألفي 29

تفسير كتاب الجرمي: ابن درستويه 30

التقرب لحد المنطق: ابن حزم 31

نطق العين في اللغة: ابن التيماء 32

تلميذ الفتى 33

تمام بن غالب ابن التيماء 34

تيميم 35

تينيم بن أبي مقبل 36

التنبيه على الآسية إضافة لاختلاف

الن נוספים: ابن السيد 37

التنبيه على أورام: أبي علي: البكري 38

التوتة، القبائل 39

التويز: 10

تيروال: 20

409
الجمل: الزجاجي 326.
الجمهوري أبو الحسن 295.
الحصري أبو الحسن 291.
خدام 61.
النحاسية 224.
الحكم: أبو قتيبة 331.
الحكم المستنصر (42 - 92).
يتكرر.
حلب 91.
الحل في شرح أباب الجمل: ابن السيد (316 - 317).
الجلة: ابن الأبار 328.
حوليرة 28.
علي الإنسان: القاضي 114.
الحجاز 2.
الحماض: أبو تمام 236.
حص الأندلس (اشبيلية) 144.
حص الشام 123.
الحميدي 22.
المحرر 49.
المحرم 26.
الحوار: ابن تمام 236.
الحوار: ابن كعب 236.
حبب بن أحمد الشطيجري (444).
الحجاز 2.
الحذائق في المطلب العالية.
الفلسفة: ابن السيد 229.
الحلقة 49.
الحر بعلي العدوي 192.
الحروف الخمسة: ابن السيد 278.
حسام الكلبي أبو الخطر 126.
حسان بن أبي عبيدة 94.
245.
الحسن بن علي بن محمد الطائي.
الحسن بن علي النمري 226.
الحسن: محمد البطليسي 314.
حسن بن قابل 75.
حسين بن نصر بن العريف 1.
(240).
الحشرات: السجستاني 1.
حشر 297.
خليفة الفصيح: أبو العلاء.
410.
الخطاب الشعبي الكليبي 166.
الخطابي 297.
خف بن سليمان البزار (328).
خف بن فتح بن أبي الوثي 322.
خلق الإنسان: ابن السكينت 92.
خلق الإنسان: الأصمحي 108.
خلق الإنسان: الزجاج 194.
خلق الإنسان: ثابت 203.
240.
244.
287.
خلق الفرس: الأصمحي 108.
خلق الفرس: الزجاج 194.
الخليل بن أحمد يتكدر.
خيران الصقلبي المامري 253.
الخليل: أبو عبيدة 92.
الخليل الصغير: ابن دريد 192.
الخليل الكبير: ابن دريد 192.

دار بلي 24.
دانية 252، 262، 263، 305، 306، 307، 299.
دروقة 22.
دريد بن الصمة 195.
الدلائل: قاسم بن ثابت 72.
244.
دويل، سيزار 24.
دوزي 18، 19.
الدورة 25.
ديار بكر 187.
ديوان زهير 197.

الرثية (معة معاوية، معاونون) 27.
21.
ذو الرمة 93، 196.
ذيل الواد: القالي 114.
120.
227.
219.
219.
89.
524.
254.
192.
219.
237.
120.
219.
السرح واللجم 

الروم 17 ، 18 ، 27 .

الرياضي 57 ، 71 .

ربيرا ، خوليان 86 ، 265 .

الريف 23 .

ریکارددو (المک ) 18 .

رئة 23 .

لاهز : ابن الابناري 193 ، 238 .

الزاهرة 86 ، 98 ، 101 ، 102 .

124 ، 241 .

زاوي بن زيري 250 .

زید 124 .

الزبير بن بكار 194 .

الزجاج 105 ، 118 ، 171 ، 193 .

208 ، 242 ، 245 .

الزجاجي 129 ، 274 ، 310 .

226 .

زکريا بن خطاب 78 .

الزلاقة ( معركة ) 256 .

الزهراء 2 ، 91 ، 100 ، 126 ، 243 .

204 ، 245 .

زهرة بن كلاب 78 .

زهر بن ابي سلمى 197 .

زهر بن جناب 325 .

زهرة الفتى العمري 253 ، 266 .

الزبادي 71 .

زید بن سليمان البارد 73 .

زيد الخيل 211 .

س

سالم 26 .

السبع الطوال : ابن الابناري 193 .

السجع السلطاني : المعرى 201 .

412
شرح الجمل: نابي الجزائري 167
شرح الجمل: سعيد بن الأصفر 143
شرح الحديث: الخصبي 71
شرح الحماسة: ابن سيدة 358
شرح الحماسة: الآلم 311
شرح الحماسة: ثابت الجرجاني 2765
شرح الحماسة: عاصم البلوي 265
شرح الخمسة المقاتلات: ابن السيد 419
شرح ديوان امرئ القيس: عاصم البلوي 250
شرح ديوان زهير: الآلم 324
شرح ديوان عقيلة الفحل: الآلم 320
شرح ديوان المتنبي: ابن الأفيلي 437
شرح ديوان المتنبي: ابن السيد 318
شرح ديوان المتنبي: ابن سيدة 221
شرح ديوان النافنة: الآلم 325
شرح سقط الزند: ابن السيد 315
شرح سبيبة: ابن الزجاج 193
شرح أدب الكتاب: ابن السيد 279
شرح أدب الكتاب: ابن القوطي 114
شرح الشعر السبتي: الآلم 411
شرح الشعر الضاحي: أحمد الرسلي 232
شرح الكتاب الأخضر: محمد بن سيد 119
شرح الجمل: ابن الراحل 166
شرح الجمل: سيدا 122
شرح الجمل: اسحق بن الرياح 413
الشاعر: الأسماعي 105
شاطئة الشام (الشاميون) 2، 1، 225
شانقة بن غرسية 254
شبيل بن عدرة 234
الشجر: أبو زيد الانصاري 108
شدوة 22
شرح أبيات إصلاح المنطق: ابن السيرافي 299
شرح أبيات الإلقاء: ابن السيرافي 299
شرح أبيات الجمل: ابن سيدة 325
شرح أبيات الجمل: الآلم 320
شرح أبيات سيبويه: الآلم 311
شرح أبيات سيبويه: الزجاج 193
شرح أدب الكتاب: ابن السيد 279
شرح أدب الكتاب: ابن القوطي 114
شرح الشعر السبتي: الآلم 411
شرح الشعر الضاحي: أحمد الرسلي 232
شرح الكتاب الأخضر: محمد بن سيد 119
شرح الجمل: ابن الراحل 166
شرح الجمل: اسحق بن الرياح 413
شرح كتاب الكسائي: البغل، 58.
شرح كتاب النبات: ابن اخت غانم، 27.
شرح المختار من شعراً: اسماعيل التجيب، 216.
شرح معاني أباد الحماسة: أبو على النمري، 345.
شرح المفضلات: ابن الاباري، 193.
شبهة بن الحجاج، 163.
شفاء عليل الغربة: البكري، 215.
شبل، 386.
شطش، 172.
الشماخ، 96.
شنتوري، 106.
شنيل (نهر)، 22.
ص
صاعد البغدادي (69 - 102)، 44.
صاعد (القاضي)، 85.
صباح بن معاوية، 27.
صباحي، 27.
صلي الصلبي، 105.
صفبي، 287.
صفاقية، 111.
صقلية، 362.
صة المصول: البكري، 345.
صة الكتاب: ابن النحاس، 244.
ض
ضية بن اد، 346.
ضوء السقط: المري، 141.
عبد الله بن محمد السري 88
عبد الله بن سلمان بن قتيبة، يتكرر.
عبد الله بن المنصور 102، 103.
عبد الله بن هريرة 75.
عبد التواب، رمضان 141.
عبد الدائم بن مروزق الفيزاني 298، 299.
عبد الرحمن بن الحكم 78.
عبد الرحمن بن خلدون 44.
عبد الرحمن بن قطيس 274.
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام 166.
عبد الرحمن الداخل 26.
عبد الرحمن شجاع 27، 48.
عبد الرحمن الناصر 61، 81-82، 91-92، 147، 200، 201، 202، 226، 282.
عبد السلام بن برحان 200.
عبد السلام البصري 105.
عبد السلام بن السمح الهواري 111.
عبد العزيز الكريزي عز الدولة 205.
عبد العزيز بن أحمد عمد الدولة 204.
عبد الملك بن حبيب 43، 44، 77، 78.
عبد الملك بن زيداء الله 275.
عبد الملك بن سراج 274، 275.
عبد الملك بن شهيد 77.
عبد الملك بن طريف 115، 141.
عبد الملك بن قريب الأصمعي.
يتكرر.

العالم: ابن محمد بن عبد الله 118.
العالم الطائر: ابن سيد 117.
العالم والعلم: ابن سيد 119.
العامرون: 259.
عبد بن محمد المعتضد بالله 254.
عباس، احسان 288.
الحب: ابن الفرج الرياشي 77.
عباس بن ناصح 58.
عبدة بن ماء السماء 129، 130.
عباس 147، 148.
عبد الله بن أبي داود السجستاني 191.
عبد الله بن أصبح 75.
عبد الله بن تلين 255.
عبد الله بن جعفر درستويه 194.
عبد الله بن حسين بن الغريب 116.
عبد الله بن حمود الزبدي 147.
عبد الله بن الربيع التميمي 145.
عبد الله بن سليمان درويد 116.
عبد الله بن شعيب الأشولي 140.
عبد الله بن عبد العزيز البكري 137-137.
عبد الله بن عمر بن الخطاب 78.
عبد الله بن الغازي بن قيس 53.
عبد الله بن قاسم 105.
عبد الله بن محمد التفتاوي (ابن
بن منيع) 192.
عبد الله بن محمد بن جناح الدولة 205.
عبد الله بن محمد بن السيد 327، 351.
عبد الله بن محمد التوزي 171.
عبد الله بن محمد الداني 329.
عبد الملك بن مروان 187.
عبد الملك الأشعر 251.
عبد الواحد بن سلام الأحذب 49.
عبد الوهاب بن أمين 128.
عبد الله بن فرج الطوطيمي 117.
(249).
عبد الله بن قاسم 38.
عبد بن شرية 33.
عمان بن إبراهيم الفرجي 7.
عمان بن أبي بكر الصدفي (296).
عمان 48.
عمان بن سعيد ورش 48.
المجاج 190.
الجلي 96.
عمج الدمة (عمج الإندلس) 47.
المدنانية 27.
العدة 2.
عذب بن زيد 195.
عدة 40.
العراق 96.
العراق 197.
العراق 199.
العرب.
العربية: دروب 116.
عورون الوتر 195.
الوط: الرجاج 193.
العبيد 33.
عمر بن مسعود 48.
القدر: ابن عبد ربه 33.
الخليفة 2.
العلاوي بن أبي الغيرة 7.
العلاقة بن كرتش الكلاسي 27.
العقة بن عبد 191.
علي بن إبراهيم الثريزي (297).
علي بن أبي شيبة 176.
علي بن أحمد بن حزم (272).
علي بن عبد الله بن حزم (278).
علي بن اسماعيل بن سيده (251).
قلمت وأفعلت: القالي 417.

قلمت وأفعلت: الغريب الحديث: عبد الملك بن حبيب 111.

غريب القرآن: ابن دريد 192.

القرآن الصغير: أبو عبد البتكر.

القرآن البياني: 245.

غنية 219.

ف

فاتن الحكيم (الخازن) 112.

فوائد في الأشغال: ابن سلامة 237.

الفلسطين (الدولة) 106.

الفتح بن خاقان 129.

فحص البلوط 4.

القراءة 56, 61, 171.

القرآن 179.

القرآن الفرغاني 265.

القرآن: ابن السكين 19.

القرآن: ثابت 92, 109, 237.

القرآن: الرجاء 193.

القرآن السجستاني 481, 195.

القرن 27.

فرنسا 17.

فصل القال: البكري (320).

فصل: صاعد (99, 107).

يتكرر.

الفصل والفصول: المعرى 32.

فحيح لقب 246.

فعلت وأفعلت: الزجاج 118.

فعلت وأفعلت: السجستاني 31, 106.
الكلام 190.
اللباب 171، 219، 242.
فطين 212.
الفلكي 90، 133، 189، 207.
القلب والبدائل: ابن السكك 92.
قلعة آيوب 27، 162.
قلعة بن سعيد (يحضب) 23.
قلعة حولا 23.
قلعة رباح 22.
القلعات 53.
قلعية 4.
قورة 7.
القوط 17، 19، 21.
قومس الأندلس 116.
القرآن 54، 54، 201.
296.
قيس بن الخطيم 190.
قيس يدان 21.
القيسيون 221.

لك
الكاف في النحو: ابن الأنباري.
195، 111، 111.
الكامل: المير 105، 111، 122.
124، 224.
كتاب الأخفشد 77.
كتاب أقليدس 213.
كتاب ديوستوريدوس 89.
كتاب سيبوئه.
كتاب السرافي 135.
كتاب الكسائي 58.
كتاب هروشيشوش 89.
171.
كثير مرة 196.
كلاب 21، 27، 221.

418
المثل: قطرب 1.8 ، 242
المثل في اللغة: ابن السيد (218 - 240).

المثل: ابن الإباري 193.
مجاهد بن أصبغ 71 ، 111.
مجاهد العامري 257 ، 261 ، 272 ، 277 ، 299 ، 350 ، 357.

المجلس: ابن الإباري 193.
مجاهد بن أصبغ 71 ، 111.

التاريخية: 378.

القوطية: 27 ، 33 ، 39.

المكتبة: 232 ، 337.

اللاتينية: 18 ، 21 ، 23 ، 35 ، 37 ، 39 ، 86 ، 90.

اللاتينية عامية: 17 - 20 ، 27 ، 30.

لقي بروفنسال: 20 ، 27 - 29 ، 31 ، 33 ، 36 ، 37.

القرن: 23.

لفظ بن مصطفى أو السبتي: 31.

ما اسمك يا أخا العرب: ابن سيده.

ما سأله عنه لفظاً: ابن دريد.

ما ينصرف وما لا ينصرف: الزجاج.

العالم: 25.

المزني: 51 ، 63 ، 65 ، 244.

المافة: 96 ، 296.

المائم: 89.

المؤمن بن ذي النون: 31.

المبارك بن سعيد ابن الخشاب: 59.

مرحباً: 193.

البني والمغرب: اسحق بن الزيات.

منى بن يونس: 268.

التحف البريطاني: 114 ، 116.

المناهج في اللغة: أبو بكر.

المنهي: 300 ، 326.

محمود بن حسن القلبي: 213.
محمد بن مهدي ۲۷۶.
محمد بن النفيذ ۷۱.
محمد بن مفرح ۲۳۰، ۱۰۴.
محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي ۲۵۸.
محمد بن هشام الصحفي ۲۱۹.
محمد بن وصين القصري ۷۷.
محمد بن وهب السعري ۶۳.
محمد بن زيد المبرد ينكر.
محمد بن يحيى الراجحي ينكر.
محمد بن يحيى الفاقفي ۲۷۴.
محمد بن يوسف الأزرق ۲۱۲.
المخرج في النحو: الأعلم ۳۱۱، ۳۲۴.

مختصر الزاهي: الراجحي ۱۲۹.
مختصر سيرة ابن أمعق: ابن هشام ۱۲۹.
مختصر شرح أدب الكتاب: ابن القوطية ۱۷.
مختصر العين: الزبيدي ۸۸، ۱۱۴، ۱۲۰ (۱۲۹، ۱۳۰).
۲۴۳، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۴۸، ۲۴۹.
مختصر في النحو: الزجاج ۱۲۹.
مختصر لحن العوام: الزبيدي ۱۲۹.
۱۱۳، ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۴۸.
مختصر الواضحة: المفضل بن سلمة ۱۲۹.

مختصر الفراء: ابن سيده ۶۷، ۶۷، (۷۱).
المدخان في اللغة: المطر ۱.
المدور ۲۵۴.
المدينة ۲۴۱.
مكينة ۲۴.
المذكر والمؤنث: ابن الانباري ۱۳۰، ۱۳۸.
المذهب إلى الأشعري ۲۰۲.
المذهب الظاهري ۲۷۷.

محمد بن حمود الوراق ۷۵.
محمد بن خزرج المحلي ۱۴۵.
محمد بن حزرون القاضي ۵۵.
محمد بن خطاب الأزدي ۱۰۷.
(۲۴۳).
محمد بن زياد ابن الأعرابي ينكر.
محمد بن زيد ۷۸.
محمد بن السراج ۱۹۳.
محمد بن سعید الفقري (۲۳۹).
محمد بن شقير ۱۳۳.
محمد بن طرخان ۸۵.
محمد بن عاصم الفاضي (۲۳۹).
محمد بن عبد الله ۵۶.
محمد بن عبد الله الرازي ۷۶، ۷۷.
محمد بن عبد الله بن القوق ۱۴۷.
محمد بن عبد الرحمن (النمير) ۲۵.
محمد بن عبد الرحمن بن معم ۱.
محمد بن عبد الرحمن المستكفي ۲۸۲.
محمد بن عبد السلام الخشتي ۵۶، ۵۹.
۶۷، ۷۸.
محمد بن عبد الملك التاريكي ۱۴۹.
محمد بن عبد الواحد التميمي ۲۹۸.
(۲۹۸).
محمد بن عبد الوهاب ۱۶۷.
محمد بن عطاء الله القرطبي (۲۴).
محمد بن علي بن الحسن ۷۵.
محمد بن عمر ابن القوطية (۱۲۰).
(۱۸).
محمد بن عمر الجياني ۲۱۳، ۲۳۷.
محمد بن مسعود الخطب ۷۵.
محمد بن مسعود ۱۷۶.
محمد بن عمر ابن أشل غام ۲۱۲.
محمد بن مكن ۲۴۸.
الرايتون 3، 4، 44، 204، 205، 206، 267، 268.

مرسية 27، 72، 201، 202،

المرز (في الموشح) 36.

مروان بن جناب 81.

الروحي 50.

اليهود 27، 1، 273، 274، 275،

مزاحمة بنت مزااح الثففي 78.

المهر: السيوفي 121، 123.

الم “… النثر في النحو: ابن السعد 218.

سجال النحو: ابن العربي 115،

12.

المصل والاجابة: ابن السيد 
(270 - 271).

المسألة الرشيده: الأعلام 211.

المسألة الزبورية: الأعلام 211.

المسألة (الاسالة) 27، 86، 78.

المستدرك: الزيدي 114، 130.

246.

المسترعون 19، 27.

مسلمة بن سعيد الأنصاري 265.

المصر: أبو زيد الأنصاري 108.

المصري (الحاصل) 111.

لم تكنوا.

المطرز 101.

المطرز: ابن الإفطس 276.

المطرز: ابن الإفطس 276.

المطرز: ابن الإفطس 276.

معاذ بن عبد الله البلدي (245).
الملاحش: ابن دريد 108، 192

187

الناظر: ابن أبي الموثى 224

النائب: ابن السكية 22

النائب: أبو حلاقة الديواني 209

النائب: أبو زيد الأنصاري 108

النائب: البكري 23

النحو: ال축ش 244

النائب: الزبير بن بكار 194

سبب: أبي علي البنداد: الفهري 278

النسخ: نصر الغفري 24

النضير: نصر شلتم 196

نظام: نظام الاعتقاس 18

المخرج: الفرعي 24

المقاض: ابن ولاد 244

تعمال: قرئ جبريل والفرزدق 91، 277

تجلب: مسائل: ابن شبيب: ابن

النابي: 195

التكت: في كتاب سيبويه: الإعلام

لكل 298

النمر: فاست 37

نمر: 271

نهر الحجة 24

نوارد: ابن الأعرابي 238

نوارد: ابن الأعرابي 245

نوارد: ابن زيد الأنصاري 181

نوارد: زيد الرجاء 193

نوارد: علي بن عبد العزيز 11

نوارد: القلالي 39

نوارد: المحيطي 92

النورمان 295

التورير: 328

النظام 185

منازجر 187، 189

مناقير السمواد والغريب: القرازم 99

منزل طي 27

منذر بن سعيد البلوطي 65، 73، 88

منذر بن عبد الرحمن المثناة 53، 66

منذر بن محمد (الامي) 78

منذر بن يحيى التاجيبي 254

منصور بن أبي عامر (92-103)

يتككر

المهلل 234، 235، 78

المولى 67، 28

الموجز: ابن السراج 218

السون 48، 54

موري 67، 54

مودي بن ازهر 127

الموفق في النحو: ابن البنداد 193

المولود: 24، 26، 28، 31

مؤمن بن سعيد 50

مؤنس، حسن 22، 26، 45

31، 377، 379

موهب بن عبد القادر الباجي 63

المحيطي 729

ميورقة 273

ن

النافذة 92، 195

النافذة الحمدي 196

النافذة والنسوخ: ابن النحاس

422
نيقولا الراهب ۱۰۰۰.

هارون بن موسى النحوی ۱۱۲
(۲۴۷) ۲۹۱
الهجاء: ابن الإبراهيم
الهجاج: صاعد ۱۹۴
هشام (حفيد عبد الرحمن الثالث).
۲۱۵
هشام بن الحكم الوید ۱۹۷
۱۷۵ - ۱۷۳.
هشام بن عبد العزیز ۴۸
هشام بن عبد الملك ۱۶۷
هشام بن محمد بن الصصافی ۱۰۱
هشام بن محمد المعتد بالله ۲۰۴.
۶
هشام بن الولید الفافی ۴۸.
الهلالیة ۱۹۶.
المحر: أبو زید الانصاری ۱۸.
هوازن ۲۱.
هوارة ۲۴.
۲۰
وادي الحجاری ۲۷.
الوادی الكبير ۲۵۴.
الواضح في النحو: الزیدی ۱۱.
۱۱۹ - ۱۱۶ - ۲۴۵.
الواضح بالواقای: الصدیق ۴۷.
۲۰۰.
الواضح في أحكام التمکین: ابن سیده
۲۴۷ - ۲۴۸.
ودیة بن غیطشة ۱۶۵.
الوجوش: الشجعتة ۱۸.
۱۹۲.
وشقة ۴۷.
الوقف والابتداء: ابن الإبراهيم
۱۹۱ - ۲۳۱.
فهرست المحتويات

تمهيد

الفصل الأول: الحركة اللغوية بالأندلس حتى اواخر القرن الثالث الهجري

مقدمة

1- حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي
2- الاجتماع المختلفة في الأندلس بعد الفتح العربي
3- حال اللغة بين هذه الاجتماع المختلفة
4- مقام اللغة بين الأندلسيين
5- عوامل فعالة في تطور المناية باللغة في الأندلس

الفصل الأول: بواكر الحركة اللغوية في الأندلس

1- نشوء طبقة المؤدبين اللغويين
2- الرحلة ولقاء العلماء المشاركين
3- رحلة لغويين مشاركة إلى الأندلس
4- هجرة الكتب الشرقية إلى الأندلس
5- النشاط الشفوي في ميدان اللغة
6- حركة التأليف اللغوي حتى اواخر القرن الثالث
7- أشهر المدرسين وتألقهم
8- هل كان هذا النشاط اللغوي ومقاوم عناصر العربية في الأندلس

الفصل الثاني: الحركة اللغوية بالأندلس في القرن الرابع الهجري

الفصل الثاني: عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن

المواد الجيدة

420
١ - تشريـَـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِ~

١ - تـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِـِ~

٢ - جهـود الحكم في النهـضة اللغوية

٣ - التصـور بن أبي عمار وآخـر في النهـضة اللغوية

٤ - العوامل التقليدية

٥ - الرحلة إلى الشرق

٦ - التدابـيـب والتدريس

٧ - المظاهر الكبرى

٨ - ظهور الدارـس اللغوي المتخصص

٩ - المناظر اللغوية

١٠ - تنوع حركة التأليف واتساعها

١١ - انصف الإندلس في الميادين اللغوية

الفصل الثاني : أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن

١٢ - أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ومؤلفاته

١٣ - الاستدراك على سيبوه

١٤ - لحن العامة

١٥ - ابن القوطية ومؤلفاته

١٦ - الأمراض

١٧ - أبو علي القالي ومؤلفاته

١٨ - العار

١٩ - كتاب الأمالي

٢٠ - تذيل على الفصل السابق

الفصل الثالث : الحركة اللغوية بالأندلس في القرن الخامس الهجري

الفصل الرابع : العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية

في القرن الخامس

١ - صورة موجزة للإحالات السياسية في هذا العصر

٢ - العوامل الجديدة التي أثرت في الحركة اللغوية

٣ - توضيح بعض الأمور اللغوية في الآداب النحائية

٤ - التفسير اللغوي

٥ - أنظمة اللغة العربية بين القرن الثاني الهجري والقرن الثالث

٦ - تأثر اللغة العربية باللغات الأوروبية

٧ - معالم الحركة اللغوية

٨ - شرح بعض النصوص النحائية

٩ - تفسير بعض الفسيفساء

١٠ - الخاتمة
الفصل الخامس: حركة التأليف اللغوي ووجهاته في هذا العصر

أولاً - صورة عامة للمؤلفات
ثانياً - اتجاهات في التأليف كبران

1. أبو عبيد البكري وكتاباته: فصل المقال واللالي
   a. شيء من سيرة البكري
   b. فصل المقال
   c. اللالي في شرح الأمالي
2. ابن السيد البطيبيسي وكتاباته:
شرح السقط والدحض

1 - سيرة ابن السيد
2 - شرح سقط الزند
3 - الانتقاب في شرح أدب الكتاب

(3) الاتجاه إلى التأليف المعجمي

أبن سيده ومعجماء: الخصص والحكم

1 - أبن سيده
2 - الخصص
3 - الداعي إلى التأليف
4 - منهج الكتاب
5 - خصائص كتاب المخصوص

6 - الحكم

1 - الداعي إلى التأليف
2 - منهج الكتاب
3 - مصادر الكتاب
4 - خصائص كتاب الحكم

خاتمة

مراجع الدراسة

الفهرست